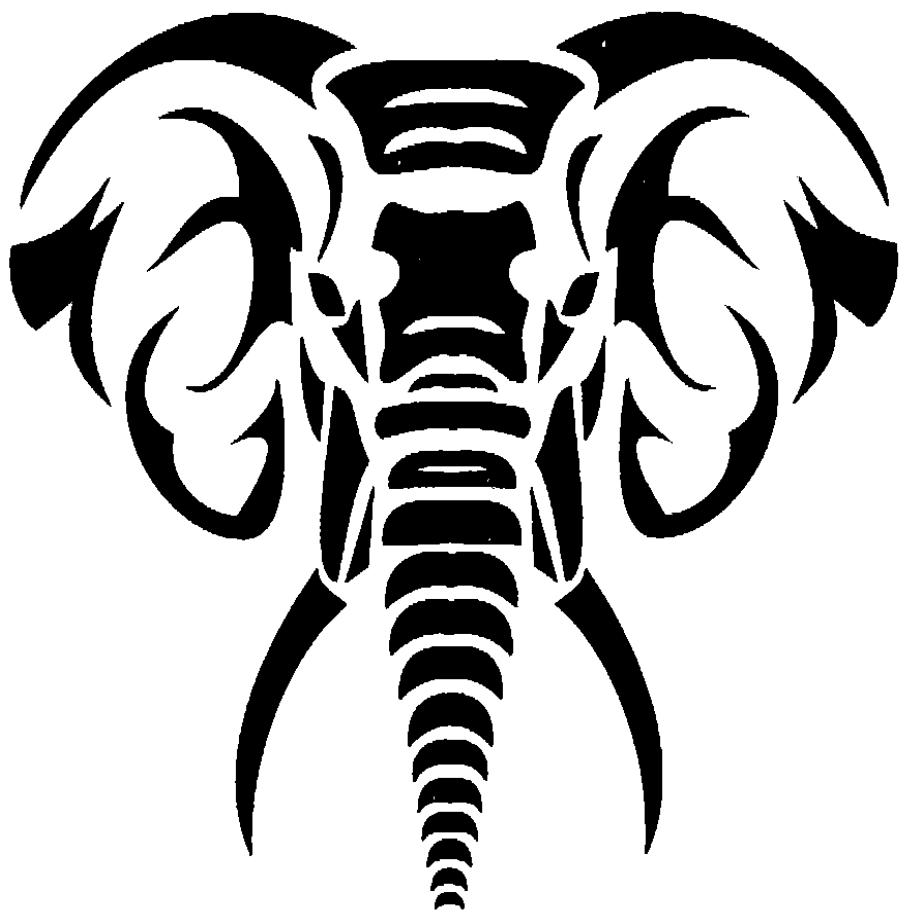


بَيْتَ اِثْرَىٰ مَعَ بَيْتَنَا

اللَّهُمَّ اكْفُنْهُوَ كَفِينَ

أَسَاطِيرُ الْمُسْلِمِ

بساتين عربستان



الساحرة الحجينة

«لا تكن كشجرة أوراقها في مهب كل ريح عابرة
بل كن كصخرة ثابتة بلا جذور..»

أسامي المسلم



كتب PDF عربية

www.kutub-pdf-ar.com



دعا

روح

رتيبة

هنان

خود

ضنة



أفسار

نازانين

سرناز

جريدة

أرتميس

أنمار



هنان

أزرق

ضارم

عاشق نورة

ديموس

الشيطان الأسيف



جَهَنْمٌ

كَامِظٌ

سَقْرٌ

حَاجِبٌ

طَرْمَدٌ



نافحة

زحمد

رافدة

عوراء

كُبْيَت



السيد الكبير

لغ

روشنی

فایو

کلکامش

«بعض البشر كالنار المسيرة.. يمنحك لحظات من

الدفء قبل أن يحرقك..»

أحمد

فقدت ابتسامتي ..



و خسارت کرامتی ..



وَلَمْ يَبْقَ سُونِي سَخْطِي ..

جرادة بيضاء تطن بأجنحتها تحت سماء عربستان الملبدة بالغيوم
الكثيفة..

تتمايل مع ريح شمالية باردة هبت معلنة عن دخول شتائها
القارس..

رحلة طويلة قطعتها بلا انقطاع من جبال الملح..

تحط بأرجلها النحيلة على سبابة يد ارتفعت لاستقباها..
يد امرأة.. نقش عليها خطوط الحناء الحمراء..

تمعن المرأة النظر بتلك الجرادات البيضاء لثوانٍ قبل أن تفتح فمها
وتلتلهمها

تضغفها ببطء وهي تحدق بالأفق.. تسع عينها بعد ابتلاعها..

توجه المرأة ذات الأربع عشرة نجمة الموشومة على وجنتيها نظرها
للغرب بينما أطراف شعرها الأسود الطويل ترافقها مع الرياح
الباردة..

تببدأ السير بأقدامها الحافية لوجهتها الجديدة..

ذئبة الجبل

يصل زعيم (اليعاقبة) في «عربستان» بعد سفرٍ طويل من «أرض الحجاز» إلى الأرض التي استقر فيها قائد़هم وسيدهم الأعظم (الماران) حديثاً ويطلب مقابلته على الفور فيُسمح له بذلك بعد ما تم تفتيشه بشكل دقيق.

(ماران) بعد دخول التاجر اليعقوبي عليه في مهجه وتقبيل يده: «ما الذي أتى بك يا (عتروف).. أنا لم أستدِعك..» (عتروف) حانياً رأسه: هناك أحداث كثيرة تشهد لها «عربستان» يا صاحب البركة وكان لا بد من نقل الأخبار إلى مقامك في الحال (ماران): لم لم ترسل رسولاً لهذا الغرض؟.. أنت سيد التجار في «عربستان» ولديك مهم مهم يجب أن تشرف عليها

(عتروف): ما أتيت لأجله أهم من أي شيء آخر ولم أكن أستطيع أن
أؤمن أحداً عليه

(ماران): هات ما عندك.. ما الذي يحدث في «عربستان»؟.. هل
تسببت العرجاء بالمزيد من الخسائر؟

(عتروف): لم نعد نتعرض لهجمات منها كالسابق لكن الناس أصبحوا
يقاومون وجودنا بينهم بشكل أكبر بسببها

(ماران): اصبروا.. المتنورون يقتفيون أثراها وسيحضرون رأسها لي
وسأرسله لكم لتعلقوه على مدخل المدينة عبرة لكل من آمن بها

(عتروف): العرجاء ليست الخطر الأكبر الآن يا سيدى

(ماران): ماذا تقصد؟

(عتروف): هذا هو سبب سفري الطويل إلى هنا وقد كنت متواتراً
وقلقاً طيلة الرحلة خشية ألا أتحقق أن أحذرك

(ماران) بتوجههم: تحذرني من ماذا؟!.. تحدث فوراً!

(عتروف): كما تعلم يا صاحب البركة أننا في سعينا لإيجاد مكان
العرجاء قمنا بأسر وتعذيب الكثير من الناس



(الماران): نعم وكل محاولاتكم باءت بالفشل وهذا ما دفعني للاستعانة
بالمتورين

(عتروف) مستأنفًا حديثه: قبل عدة أسابيع وصلتنا معلومة من
جواسيينا العرب تفيد بأن أحد شيوخ القبائل المعروفيين بتعاطفهم
مع العرجاء يخطط لاغتيالك بالتعاون مع ساحرة من الجنوب فقبضنا
عليه وقمنا بتعذيبه لمعرفة حقيقة مخططاته ولكي يدلنا على تلك
الساحرة التي ينوي التآمر معها

(الماران): وهل فعل؟

(عتروف): لا.. ومهمًا كنا نذيقه ألوان العذاب كان يرفض الحديث
عنها أو الإرشاد عن مكانها حتى شارف على الموت

(الماران): حضورك إلى هنا يدل على أنك حصلت على المعلومة في
النهاية

(عتروف): صحيح يا صاحب البركة.. لقد زارتني ابنة شيخ القبيلة
طلباً للصفح عنه وعرضت علينا الكشف عن مكان تلك الساحرة
التي تنوي قتلك بالتعاون مع أبيها في مقابل إطلاق سراحه

(ماران) مبتسماً بتهكم: هكذا هم العرب.. يندفعون بعواطفهم ولا يحسبون حساباً للعواقب لذا يتهاون كالذباب أمامنا.. أنا أتنقل على الدوام ولا أستقر في مكانٍ محدد ولا أحد يعرف مكانني سوى المقربين مني أمثالك لذلك عرضها لا قيمة له فتلك الساحرة لن تجدهن أبداً

(عترف): هذا ما قلته ضمناً لابنة الشيخ لكنها أخبرتني بأن هذه المرأة مختلفة وقد رأيت بعينيها قدراتها عندما اجتمعت مع أبيها وعرضت عليّ أن تثبت لي ذلك بأن تدلني على مكانها

(ماران): وهل وجدتها؟

(عترف): نعم.. أخبرتنا ابنة الشيخ أنها تقيم وحدها في منطقة جبلية جنوب الحجاز وعلى الفور أرسلت كتيبة من الفرسان للقبض عليها لكنهم لم يعودوا أبداً فقامت بإرسال مجموعة أخرى قدمتها بنفسها وبعد وصولنا للمكان رأيت حيث فرسان الكتيبة الأولى مبعثرة على سفح أحد الجبال وقد بدأت بالتعفن فأعطيت الأمر لمن كانوا معي بالبحث عنها.. وعندما ظهرت لنا..

(ماران) بقلق: من كانت؟

(عتروف): لم أتمكن من رؤية ملامح وجهها فقد كانت تغطي رأسها بخمارٍ أسود لكنني رأيت بوضوح خيال جسدها من فوق قمة الجبل وهي تراقبنا وقبل أن أعطي الأمر بملاحتها اندفع سرب كبير من الذئاب المسعورة نحونا وقام بتمزيق كل من كانوا معه في دقائق معدودة

(الماران): كيف نجوت إذًا من تلك الذئاب؟

(عتروف): هي من أوقفتهم عندما هموا بقتلي برفع كفها للأعلى ثم رحلت من المكان وانسحبت الذئاب معها.. عدت بعدها على الفور للحجاز وأذقت ذلك الشيخ أقسى أنواع العذاب ليخبرني عن هويتها لكن لم يفعل ومات متأثرًا من التعذيب لكنه قال شيئاً قبل أن يفارق الحياة وهذا هو سبب وجودي هنا اليوم يا صاحب البركة

(الماران) بتوتر شديد: ماذا قال؟

(عتروف): قال بأنها في طريقها الآن إليك بعد ما علمنا ببنيتها وحاولنا القبض عليها بمقرها عند الجبل ولن يستطيع أحد إيقافها لذا أتيت على عجلة لتحذيرك يا سيدى وأنا سعيد بآني وصلت قبلها



مفروعاً من مكانه لدرجة أنه أسقط الكرسي الخشبي الذي كان يجلس عليه ملتفتاً وراءه بأنفاس متسرعة صارخاً: «من؟!»

تحول توتر الماران لعبوس عندما رأى (روشنبي) يقف أمامه يحدق فيه بأعينه الزرقاء مبتسمًا ويقول:

«لم كل هذا الجزع؟.. لم أعهد على الماران العظيم أن يفقد هدوءه بهذا الشكل..»

(ماران) متوجهًا: ما الذي أتى بك؟.. أخبار فشلك تصلني كل يوم ولم يستدعي الأمر أن تأتي بنفسك لتخبرني (روشنبي) رافعاً وشاحه الأبيض الذي توشح به فوق كتفه الأيمن: نعم واجهنا بعض العقبات لكننا لم نفشل بعد

(ماران) رافعاً الكرسي الذي سقط وبعد جلوسه عليه قال بنبرة تهكمية: ومتى ستُقرون بالهزيمة؟.. العرجاء قضت على كل القتلة الذين أرسلتهم في طريقها وقد سقطوا جميعاً وهي لا تزال تعرج للأمام

(روشنبي): مسألة وقت فقط وسوف تحصل على مرادك أيها الماران وأنا هنا لأنقل لك طمأنة السيد الكبير بأن..

(ماران) مقاطعاً: أنا لا أملك وقتاً أكثر لأنني معكم.. لقد منحتكم الفرصة وقد أخفقتم وأن الأوان لأن أوسع دائرة المنافسين على كتاب سليمان الحكيم.. سوف أرسل الرسل لإبلاغ ملوك الجن وأسياد الشياطين بأن الكتاب سيكون من نصيب أول من يحضر لي رأسها

(روشنی): هذا قرار غير حكيم وسوف يحدث فوضى عارمة (ماران): فليحدث ما يحدث.. المهم أن أحافظ على حياتي والوعد الذي بيني وبينكم ليس ملزماً لأي منا خاصة بعد إخفاقاتكم المتتالية (روشنی): دم العرجاء سيهدر بلا شك من الطائفة الجنتية سواء حافظت على عهده معنا أو نقضته.. نحن نثار دوماً لقتلانا

(ماران): افعلوا ما ت שאون وسأ فعل ما أريد..

(روشنی): السيد الكبير لن يُسر لسماع ذلك (ماران): مشاعر سيدكم هي آخر اهتماماتي الآن (روشنی): قرار توسيعة دائرة المشاركين لتعقب العرجاء قد ينقلب عليك

(ماران): كيف؟



(روشنی): نحن حتى وإن كنا قد تعثرنا في مهمتنا مؤقتاً إلا أننا كنا وما زلنا كتومين جداً في عملنا وهذا يعطينا أفضلية المباغطة لكن الجن والشياطين لا يملكون مثل هذا الخرص والانضباط وسوف يتشر الخبر بكل مكان وهناك خونة كثيرون قد يتحالفون معها وينصرونها ناهيك عن سهولة تسخير بعضهم بالطلاقسم.. أنت بها تنوي القيام به سوف تشعل فتيل حربٍ لن تستطيع التنبؤ بأي اتجاه ستسير

(ماران) بتهكم: هل تحاول إخافتني كي يبقى عقد تصفيتها محصوراً عندكم؟.. كف عن التذمر وتقبل حقيقة فشلكم

(روشنی): التذمر والعمل لا يجتمعان.. أنا أحذرك فقط من مغبة ما تنوي القيام به وفي نهاية المطاف لن يقتلها إلا أحد أتباعنا وما ستقوم به مجرد تشویش علينا وفتح بابٍ مجهول العواقب عليك

(ماران) مدبراً نظره عن الوزير المتنور: انتهى اللقاء.. أخبر سيدك بأنه يملك فرصة إلى نهاية هذا الشهر فقط وبعدها سأوكل المهمة لمن هم أكثر قدرة ورغبة منه للحصول على كتاب سليمان الحكيم (روشنی) وخاليه يضمحل في الهواء: سوف أبلغه بذلك..



نهض الماران من مقعده ونادى على كبير حراسه فدخل عليه فارس
ضخم مغطى بالدروع معلقاً سيفاً ضخماً على خاصرته وحنى رأسه
قائلاً: بمَ تأمر أيها المجل؟

(ماران): استدعِ جميع الكهنة والرماء ليرابطوا حول منزلي وعزز
الحراسة أكثر وأعد العدة للرحيل لمكان آخر أول الصباح

(فارس): هل استجد شيء ما؟

(ماران): هذا الموقع لم يعد آمناً ويجب أن نرحل عنه فوراً وفي أقرب
وقت

(فارس): أمرك.. سنكون جاهزين للرحيل خلال ساعات
(ماران): انصرف الآن وأرسل التلاميذ ليحملوا كتبى على الدواب
استعداداً للرحيل غداً

(فارس) وهو يهم بالرحيل: حاضر
خرج الفارس وأغلق الباب خلفه تاركاً الماران يسير بجانب رفوف
مكتبه حتى توقف عند كتاب سليمان الحكيم ليسحبه من الرف
ويفتحه من المنتصف قائلاً:

«سيموت الكثير لأجلك لكنني لن أكون أحدهم.. سأكسر شوكة العرب العرجاء وسأستبيح أرضهم كما يحلو لي بعد هلاكها.. لم تكن الخراف يوماً أنداداً للذئاب..»

صوت أنثوي يحدّثه من الخلف قائلاً: «أصبحت في ذلك أيّها النعجة..» التفت الماران تجاه مصدر الصوت ليسقط كتاب سليمان من يده بعد ما من نصل حاد بشكّلٍ خاطف وسريع من خلال عنقه فارت على أثره دماءه كالشلال ليقع هو الآخر على الأرض صریعاً بجانب الكتاب. التقetta القاتلة الكتاب الملطخ بدماء الماران وهو لا يزال يتفضّ متّحشر جاً بدمائه وخرجت خلسة من المكان كما دخلت..



العرش الرخامي

في قاعة كبيرة بقصرٍ ضخم فوق قمة جبلٍ مغطى بالثلوج شرق «فارس» وغرب «بلاد السند» وقف الوزراء الثلاثة بالطائفة الجنتية حول عرشٍ رخاميٍّ خاوٍ يجري من تحته نهرٌ تتدفق خلاله مياه الجبال الباردة يتناقشون في غياب سيدهم الكبير.

احتدم النقاش بين الثلاثة وأشدتهم غضباً كان الوزير ذا الرتبة الأعلى والمسؤول عن طبقة المتنورين الكهنة أصحاب العلم والحالات القوية وهو كهلٌ نحيلٌ يلبس إزاراً أخضرَ يدعى (آغ) الذي قال في خضم الحديث المشتعل بنبرةٍ ساخطةٍ للوزير الأسمراً الحليق الرأس والوجه: «لقد أخفقت وسببت لنا وللطائفة حرجاً كبيراً!»

الوزير الأصلع ذو الخمس عشرة نجمةً موشومةً على عنقه الذي

كان يلبس حزاماً ذهبياً امتلاً بالخناجر ولباسه كالجلباب الفضفاض المصنوع من الخيش: «ما حدث مع (كلال) كان ضربة حظ لتلك البدوية..»

(روشنى) متھکماً: وهل هذا هو التبرير الذى ستقوله للسيد الكبير يا (فايو)؟

(فايو) بعصبية: أنا لا أبرر!.. لقد تعثرنا ولم نسقط بعد!

(روشنى) مُمراً أصابعه بغرته الشقراء: لقد أصبحت الطائفة أضحوكة ومصدراً للتندر بين الناس هنا.. لقد أوقعنا رجالك في وحل المهانة وقدنا الكثير من مصداقيتنا بسببهم

(آغ): السيد (روشنى) محق.. أقترح أن ننقل مهمة تصفيية العربية للكهنة القتلة فسجلهم حالٍ من الإخفاقات

(فايو) صارخاً بغضب: لا!.. هذه مهمتي وسوف أنجزها!

صوت يصدر من وراء العرش الرخامى الكبير:

«وكيف تنوى القيام بذلك يا قائد القتلة؟»

انحنى الثلاثة بعد رؤيتهم سيدهم الكبير يسير تجاههم وهو يداعب



بقليل.. لذلك يا سيدى أقترح إيقاف حملة تصفيية العرجاء فلا جدوى
من إكمالها بعد موت من أمر بشنها.. لم يعد هناك سبب لقتلها
(فايوا) بغضب: لا!.. تلك البدوية الحافية قتلت رجالي وسوف تدفع
الثمن بدمها!

(روشنى) بنبرة ساخرة واستفزازية متعمدة: لا نريد خسارة المزيد من
أفراد الطائفة يكفى ما لحق بنا من عار حتى الآن بسبب رجالك غير
الأكفاء

(فايوا) بغضب: أطبق فمك يا وزير الثرثرة!
(السيد الكبير) بهدوء: توقفوا جميعاً عن الكلام..

(السيد الكبير): أرى بوادر تفكك تتفاقم بيننا وهذا الأمر لن أسمح
بحدوثه.. موت الماران لن يغير شيئاً.. وأنا من أصدر أمر قتلها
وسوف نمضي قدماً فيه حتى نتمه.. البدوية يجب أن تموت فبقاءها
على قيد الحياة هو شهادة بضعفنا وقصور إمكانياتنا والتي هي تاج
سمعتنا وهذا هو أمري النهائي..

أجاب الوزراء الثلاثة بنفسٍ واحدٍ: سمعاً وطاعة..

(فایو) وهو يهم بالخروج: سوف أذهب بنفسي لـ «عربستان» لأنني
المهمة!

(السيد الكبير): توقف!.. لن تتعاف الطائفه من خبر موت قائد فرقه
القتله حتى وإن ماتت العرجاء بعدها.. ابق مكانك!

(فایو) بحنق وخيبة من شك السيد الكبير في قدرته على إنهاء المهمة:
أعدك يا كبير بآني..

(السيد الكبير) رافعاً كفه مقاطعاً: لقد اكتفيت من الوعود الخاوية..
لن يتمكن أحد من قتل تلك العربية إلا عربية مثلها.. أرسلوا (هند)
لتنهي ما فشل به (كلال)

(آغ): قرار حكيم يا سيدى

(روشنی) بنبرة مشككة خالطها بعض القلق: (هند) متنورة متمكنة
لكن..

(السيد الكبير) بصوته الغليظ: لكن ماذا؟

(روشنی): مزاجها المتقلب قد يشكل لنا مشكلة من وقتٍ لآخر..

هل تذكر يا سيدى ما حدث عندما أوكلنا لها مهمة اغتیال شیخ قبیلة
الهوازن؟.. تراجعت عن مهمتها في آخر لحظة مخالفۃ بذلك عقیدة
الطائفة الجتیة التي أقسمت على خدمتها ولم تکتفی بهذا فقط بل
أرسلت تحذیراً (فایو) بأنه لو تعرض له وأرسل قتلة آخرين فسوف
تقتص منه بنفسها وما زلت إلى اليوم لا أعرف لم غفرت لها ذلك
التجاوز الواقع ولم تأمر بتصفيتها

(فایو): أنا من أقنع السيد الكبير بأن يتتجاوز عنها فهي لم تخنا ولو
 فعلت لكنني أتفهم طبيعتها وطبيعة دمها
 العربي الذي يغلي من وقت لآخر ويُشوش قراراتها فالعرب ليسوا
 مثلنا فعواطفهم تطغى على عقولهم وحميّتهم لأبناء جلدتهم تستيقظ
 فجأة دون سابق إنذار ومن الضروري أن نفهم ذلك

(روشنی): تفهمنا لها يظهرنا بمظاهر الضعف أمام أفراد الطائفة ثم ما
 الذي أيقظ تلك الحمية عندها مع شیخ الهوازن؟.. وكيف نضمن أنها
 لن تستيقظ مرة أخرى مع البدوية العرجاء؟.. من يُخُن مرة تهُن عليه
 الثانية بكل سهولة.. أنا متحفظ على قرار إرسالها في هذه المهمة

(آغ): تحفظك محل احترامنا جميعاً يا (روشنی) لكنني أتفق مع (فایو)..



(هند) متنورة ملخصة وما حدث تلك المرة له ظروفه الخاصة وخبره لم يخرج ويتشر بين أفراد الطائفة وهي لم تكررها مرة أخرى.. ولاؤها كان وما زال للطائفة الجتية وقد قتلت الكثير من شيوخ القبائل العربية تنفيذاً لأوامر السيد الكبير ولم تعترض قط على تصفيه أحدهم ونفذت جميع المهام التي أوكلت إليها بعد تلك الحادثة دون جدال

(فايو): التنسيق مع القتلة هي مهمتي فأرجو من السيد (روشنبي) أن لا يتدخل فيها لا يعنيه.. حمية (هند) لأبناء جلدتها أمر يمكن تسخيره

لصلحتنا

(روشنبي): القرار في النهاية للسيد الكبير وقد عبرت عن وجهة نظري فقط وهذا من حقي

عم المدوء المكان بعد ما وجه الوزراء الثلاثة أنظارهم نحو سيدهم الكبير متذمرين منه القرار النهائي فقال موجهاً كلامه لـ (آغ): نفذ الأمر وأرسل لـ (هند) رسولًا..

(آغ) حانياً رأسه: أمرك

أدخل وزير الكهنة يده في فمه خرجاً جرادة بيضاء كبيرة وبدأ يهمس عند رأسها حلقت بعدها للأعلى خروجاً من المكان..



(فايو) للسيد الكبير: أرجوك يا سيد.. امنحني حق إرسال المزيد من القتلة لعربستان

(آغ): العربية متنورة من الرتبة الرابعة عشرة ولن تحتاج عوناً من أحد ثم لا تنسَ أن هناك قتلة آخرين لا يزالون يعملون بالأمر القديم ولم تصلهم أي أخبار جديدة ولم يعودوا لجبار الملح بعد لذلك لا يوجد سبب مقنع لإرسال المزيد منهم

(فايو): لن أرسلهم ليعاونوها

(السيد الكبير): لأي غرض تريد إرسالهم إذاً؟

(فايو): للتحقق من أن المهمة ستتم على أكمل وجه دون منغصات

(روشني) بتهكم: إذاً فالشك يساورك مثلية

(فايو): حرصي على إتمام المهمة ليس شكّاً في قتلتي.. لا أريد مفاجآت

(السيد الكبير): سأمنحك مطلق الحرية بإرسال من تريد لكن تذكر أن هذه آخر فرصة لك وتذكر أيضاً أنك من نوع من مرافقتهم.. هل تفهم؟

(فايو) يعني رأسه قبل أن يهم بالخروج: مفهوم يا سيد.. لن أخذلك..

خرج قائد القتلة من قاعة العرش الكبيرة وتوجه للجبل المجاور حيث

كان مقر القتلة التابعين للطائفة الذين بلغ عدد الموجودين منهم في جبال الملح وقتها أكثر من خمسين قاتل مصنف برتب مختلفة وبعد دخوله من فوهة الكهف وجلوسه على نصبه الحجري دخل خلفه وانحنى أمامه العشرات من التابعين رجالاً ونساء فخاطبهم قائلاً: «السيد الكبير ساخت على أدائنا مؤخراً وأنا أمام تحدٌ كبير لأنني أثبت له أننا لسنا فرقة هينة يمكن السخرية منها.. لقد تعرضنا لضربات موجعة من خصم واحد ومات من إخوتنا الكثير آخرهم كان (كلال) [الذي قاتل ببسالة حتى النهاية لكن موته الحق بنا عاراً يجب أن نغسله بدماء عدونا].. عدونا بدوية عرجاء تسكن «عربستان» وهي ليست وحدها فالدوااب المستطلعة ذكرت أنها تصاحب مجموعة يعاونونها أحدهم

من الجن الأزرق

نهضت امرأة بأعين بيضاء وبشارة سمراء شاحبة وشم على خدتها سبع نجوم من بين المحننين أمام (فايو) وقالت:

«امنحني هذا الشرف أيها القائد العظيم وسوف أعيد العزة لفرقتنا..»

يقف رجل ضخم يمسك مطرقة حجرية كبيرة بعشر نجوم موشومة على جبينه ويقول بغضب: «أنا من سيقتل هذه العربية!»



أخذ القتلة يقفون تباعاً يعرضون تطوعهم لمهمة قتل العرجاء و(فايو)
يراقبهم بصمت حتى وقف الجميع ولم يبق أحد منهم منحنياً..

(فايو): أعرف أنكم جميعاً تملكون الرغبة والقدرة على إنجاز هذه
المهمة لكنني سوف أختار ثلاثة فقط

أشار قائد فرقة القتلة بسبابته لثلاثة من الواقفين وأشار للبقية
بالانصراف..

(فايو) للثلاثة الذين وقع عليهم الاختيار: أنصتوا جيداً لما سوف أقوله
ونفذوه بالحرف



روح العرب

تفتح العرجاء عينيها ليلاً..

ترى جروحها مطببة ورأسها في مكانه..

نارٌ تشتعل أمامها..

يجلس بجانبها شابٌ صغير بشعرٍ أسودٍ قصيرٍ

قرط ماسي يلمع في إحدى أذنيه..

تحاول الجلوس لكنها تعجز عن ذلك من الألم في خاصرتها..

ينتبه لها الشاب فيقول بعربيّة ركيكة: ما زال الوقت مبكراً على الحركة
يا عرجاء.. جروحك لا تزال جديدة وتحتاج أيامًا عدة لِتبرأ.. السم

كان قوياً لكن لا شيء يستعصي على طرقنا في العلاج..

أعادت العرجاء رأسها للوсадة الناعمة التي وُضعت تحته وقالت بتوجس:

من أنت؟.. ولم لا أزال على قيد الحياة؟

ابتسم الشاب وهو يحدق بالنار وقال: وفري طاقتك الآن لما هو
قادم.. ستحدث لاحقاً

عاودت العرجاء سؤاله مرة أخرى وقالت: أخبرني على الأقل.. هل
أنت عدو أم صديق؟

أجابها الشاب: لا هذا ولا ذاك.. لكن.. كوني لست عدوك فهذا لا
يجعلني صديقك..

العرجاء وهي تزفر: وأين المتنور الفارسي الذي حاول قتلي؟.. هل
هرب؟

الشاب الصغير: لا لم يهرب..

العرجاء: هل هو آخرهم؟

رفع الشاب بقبضته شيئاً كان وراءه ومده أمام وجهها قائلاً:
لا.. سيأتي بعده الكثير.. الكثير جداً



صدمت العرجاء عندما رأت رأس (كلال) يتدلّى من قبضة ذلك الشاب الصغير..

ابتسم الفتى واصعاً رأس (كلال) جانباً وقال: حاوي أخذ قسط من الراحة الآن..

(نافجة) المستلقيّة على جنبها بأعين متّسعة ونبرة مشحونة بالتوتر: لن أغمض عيني قبل أن أعرف من أنت أيها الصبي!
أحب الفتى بعد ما وجه نظره للنار المشتعلة أمامه: أنا (شاور).. أتيت في مهمة من القائد (روشني)

(العرجاء) واصعة يدها على مقبض السيف المبروق الملقي أمامها:
مهمة من أي نوع أيها الأعجمي؟

(شاور) مقلباً النار المشتعلة بعصا نحيلة: حمايتك من الموت..

(نافجة): لقد قلت إنك تابع لـ (روشني).. هذا هو المتنور الذي وجه بقتلي فكيف يريد حمايتي من الموت؟

(شاور): أنا أنفذ الأوامر فقط

(نافجة): لا أرى نجوماً موشومة على وجنتك.. أنت لست من فرقة
القتلة

(شاور): لا.. أنا لي تصنيف مختلف

(نافجة): من الكهنة؟

(شاور) مبتسماً: أنت تعرفين الكثير عن طائفتنا.. لم أتوقع هذا
تحاملت العرجاء على نفسها وجلست بالرغم من الألم الحاد في ظهرها
وحاصرتها من الجرح الذي تسبب به السهم المسموم وقالت: «منذ
متى وأنت تتعقبني؟»

(شاور): منذ عدة أيام فقط.. قبل أن تفترقي عن مجموعتك وذلك
الجني الأزرق.. كان تصرفًا نبيلًا منك أن تضحي بنفسك هكذا
لإنقاذهم من بطش (كلال)

(نافجة): لم أكن سأضحي بهم في معركة خاسرة فهم يستحقون الحياة
أكثر مني

(شاور) رافعاً رأسه للسماء التي تلبدت بغيوم سوداء بعد ما هبت
عليها ريح باردة: برد الصحراء أقسى من برودة جبال الملح الثلجية..



(شاور): جروحك تستلزم أيامًا لتبرأ

(نافجة): جرح كهذا لن يبرأ في أيام

(شاور): لقد طببته بدواءٍ خاص سيعجل بشفائك ولن تكون الفترة
اللازمة لذلك أكثر من عشرة أيام لكنها ستكون أيامًا صعبة

(نافجة) واضعة كفها على خصرها المصاب: السهم الذي أصابني ..

هل تعرف مصدره؟

(شاور): لا فكرة عندي عن مصدره لكن السم الذي اكتحل به رأسه
سم زعاف وما كنتِ لتنجي منه أبداً

(نافجة): جسدي لا يزال يؤلمي من أثره

(شاور): أنت مصابة بالحمى وهذا أمر طبيعي... لقد أخرجت السم
من بدنك لكنك تحتاجين للراحة وإلا انتكس حالتك.. هل تعرفين
مكانًا يمكنك أن تبقى فيه آمنة فترة تعافيك؟

(نافجة): هل تملك القدرة على نقلـي لـ «هجر»؟

(شاور) مبتسمًا: لست من الجن لأنك قدرتي مخصوصة على نقل نفسي
فقط ثم إن الذهاب للمدن الآن أمر لا أصححك به



(نافجة): لم؟

(شاور): نبأ مقتل (كلال) لا شك وأنه قد وصل لجبال الملح وسيثير ذلك سخط السيد الكبير وسيصدر بلا شك أوامره بشأن التصرف معكِ ولن يتهاون هذه المرة وستكون الضربة أقوى وأقسى فسمعة الطائفة على المحك الآن والقتلة الباحثون عن التصنيف في «عربستان»
سينتشرون في كل مدنهما بحثاً عنكِ

(نافجة): أنت من قتل المتنور الفارسي وليس أنا
(شاور): نعم و مهمتي كما أخبرتك انتهت بموت (كلال) فهذا كافٍ
لإظهار (فايو) بمظهرٍ سيع

(نافجة): تقصد قائد فرقة القتلة.. سيدك إذاً يسعى لإزاحة الوزراء
ليرتقى ويستولي على مناصبهم

(شاور): معظم العقبات التي تواجه البشر خلال مسيرة حياتهم نحو النجاح هم «أشخاص» والسيد (روشنی) يستحق أكثر مما نال
وسيحدث ذلك قريباً..

(نافجة): وعندما تصلون لأربكم ستخلصون مني

(شاور): نعم لا أنكر.. وإلى أن يحين الوقت ستبقين على قيد الحياة..

آخر شيء سأقدمه لك قبل رحيلي هو إيصالك لأي مكان ترغبين به

(نافجة) مدمرة نظرها للخلف في عتمة المكان: أين (الغباء)؟

(شاور): (الغباء) من؟

(نافجة): فرسي

(شاور) مثيراً بسبابته: رأيتها خلف تلك التلة

بدأت العرجاء بمحاولة الوقوف بصعوبة مستعينة بالسيف المبروق

كعکاز فنهض الشاب من مكانه قائلاً: ماذا تفعلين؟

(نافجة) وهي تنظر للنجوم: لقد قلت بأنه لا يمكنني اللجوء للمدن

أليس كذلك؟

(شاور): بل.. البقاء في الباية هو خيارك الأفضل الآن

(نافجة): قبيلة «الخيادرة» هم من يمكن أن أحأ لهم والشيخ (هماد) هو

من أثق به فقط لكن مضاربهم بعيدة جدّاً عن هنا

(شاور): ألا يوجد خيار آخر؟

(نافجة) بعد تفكير قصير: ديار «الأزد» قريبة منا.. خذني إليهم

(شاور): وهل تشرين بهؤلاء القوم؟

(نافجة): «الأزد» أهل نخوة وسيجرونني وهم أهل للثقة ولن أخشى خيانتهم..

(شاور): حسناً.. سوف تتحرك أول الصباح عندما تكون الأجواء أقل بروادة

جلست العرجاء مكانها أمام النار بوجه متعب والعرق يتصلب من جبينها..

(شاور) وهو لا يزال واقفاً: هل عادت الحمى؟

(نافجة) بأنفاس ثقيلة: لا أعرف..

بدأ الاثنان يسمعان فحيحاً قادماً من مجموعة من الصخور القريبة منها ظهرت بعدها أفعى بيضاء بأعين زهرية بدأت بالزحف نحوهما..

(نافجة) تحمل السيف المبروق من على الأرض قابضة عليه بقوه:
سأخلص منها!

(شاور) رافعاً كفه خلال سيره تجاه الأفعى البيضاء: انتظري.. هذا رسول



(نافجة) مرخية قبضتها من على السيف وبتعجب: رسول؟

مد الفتى أطراف أصابعه تجاه الأفعى البيضاء التي التفت على ذراعه ليقبض هو على رأسها بيده الأخرى محدقاً بلسانها الأحمر وهو يخرج ويدخل من فمها ثم قام بقضم الرأس ولوكه بين أسنانه بأعين مغمضة..

(نافجة) متعجبة مما تراه أمامها: ماذا تفعل؟

ابتلع المتنور رأس الأفعى المفروم لتحول عيناه للبياض التام لشوانٍ صمت خلاها بضم نصف مفتوح وكأنه دخل حالة من التأمل. رمى (شاور) ما تبقى من جسد الأفعى وعادت عيناه لطبيعتهما ثم أدار نظره نحو (نافجة) قائلاً بشيء من التوتر: «يجب أن نرحل في الحال..»

(نافجة): ما الأمر؟.. ما الذي حدث لك للتتو؟

(شاور): تلك كانت أخباراً من القائد (روشنبي).. لقد قتل الماران وبذلك انتهى العقد المبرم معه لقتلك ويأمرني بالعودة في الحال

(نافجة): هذه أخبار جيدة أليس كذلك؟

(شاور): دمك لا يزال مهدوراً يا عربية.. مهمّة تصفيتك لا تزال قائمة بأمر من السيد الكبير

(نافجة): لا جديد إِذَاً..

(شاور): الرسول نقل شيئاً آخر

(نافجة): ما هو؟

(شاور): أن مهمتك تصفيتك قد أوكلت لـ (هند)..

(نافجة): (هند).. هل هي عربية؟

(شاور) شيء من التشتت: لا يمكنني البقاء هنا أكثر.. سأوصلك لمضارب تلك القبيلة التي تريدين الاحتماء بها وبعدها يجب أن أعود
لجبال الملح فوراً

(نافجة): لم أشعر أن هذا الرسول قد أثار بأخباره الرعب في نفسك؟

(شاور): أنت لا تعرفين (هند).. لو رأته معك فستكون نهايتي

(نافجة): انتابني الفضول حول هذه العربية التي تسببت بجذرك
هكذا

(شاور) متاجهلاً تعليق (نافجة) سائراً نحو التلة التي قال بأن

(الغبياء) خلفها: سوف أحضر لك فرسك لنرحل.. ابقي مكانك

(نافجة) موجهة نظرها للنار المترافقية أمامها محدثة نفسها: أنا لم أبق
مكاني منذ سنوات طويلة..

عاد المتنور الشاب يجر فرس العرجاء من لجامها وما أَن رأَتْ (نافجة)
فرسها تقبل عليها حتى نهضت تقفز بقدمها نحوها إلى أن عانقت
عنقها قائلةً:

«ظننت أني فقدتك يا قرّة عيني!»

(شاور) متعجباً: تحدثين معها وكأنها ابنته
(نافجة) مقبلة خطم (الغبياء) فاركة شعر عنقها متأملة في عينيها: هي
أغلى عندي من أي ابنة كنت سأنجبها

(شاور) بتهمكم: عرب عاطفيون.. لا شيء جديد..

(نافجة) تصعد فوق ظهر الغبياء وتشد على لجامها: العرب هم من
أجبروك على القدوم إلى هنا ذليلاً لحماية أسيادك منهم

(شاور): سنرى من سيحتاج الحماية بعد عدة أيام..

سار الفتى إلى النار المشتعلة وأحمدها بالرمال ثم حمل السيف المبروق
ومده للعرجاء المعتلية فوق فرسها قائلاً: أين يستوطن القوم الذين
ستلجمين لهم؟

(نافجة) رافعة رأسها للسماء معنة النظر بالنجوم: قبيلة «الأزد» ديارها
تقع غرباً من هنا..



(شاور) يمد يده آخذًا اللجام من يد العرجاء: غرباً إذاً..

بعد مسيرة ساعة من الزمان بمنطقة جبلية باردة أقبل الاثنان على
مكانٍ مفتوح من الكثبان الرملية الحمراء ولا شيء يرى غيرها على مد
البصر فقالت (نافجة) بعد ما توقف المتنور يتأمل المشهد أمامه: نحن
على بعد مسيرة يومين من ديار «الأزد».. بعد أن نتجاوز تلك التلال
سوف نصل إلى بقعة خضراء كبيرة يمر بها الكثير من الرعاة بالمنطقة
ومنها سنسير جنوباً

(شاور) متاماً الكثبان الحمراء المنتشرة في الأفق: لن أتوقف عن السير
للراحة حتى نصل.. يمكنك النوم خلال الرحلة وقتها تشائين
(نافجة): هل تملك مثل هذا الجلد أيها الأعجمي؟

(شاور) يشد لجام (الغبياء) مستأنفاً المسير: أنا أملك أكثر من ذلك
يا عربية..

لم يمضِ وقت طويل على سير الاثنين فوق الرمال تاركين خلفهما
سلسلة الجبال السوداء مقبلين على التلال الحمراء حتى قالت (نافجة):
كم عمرك أيها الأعجمي؟



(شاور) مبتسماً ونظره للأمام خلال سيره ويده قابضة على لجام الغبياء: ولم تسألين؟

(نافحة): ينتابني فضول من وصولك لهذه المرتبة العليا في طائفتكم وأنت بهذا العمر الصغير

(شاور): وهل تعرفين ما هي رتبتي؟

(نافحة): مجرد كونك مقرباً من أحد الوزراء يدل على مكانة رفيعة

(شاور): الرتب بطائفتنا لا يحددها العمر أو الأقدمية

(نافحة): ماذا إذًا؟

(شاور): القوة.. القوة فقط..

(نافحة): وأي قوة تملكها أنت خولتك لتصل إلى ما أنت عليه؟

(شاور): كنت طفلاً صغيراً وقتها.. ألعب أمام منزل أحد أصحابي مع بقية الأطفال.. مر هو ورأى شيئاً فيّ لم يره أحد غيره.. أمسكتني من معصمي وسحبني من بين الأطفال بهدوء وأخذني معه.. أخذني بكل بساطة وكأنه ينتقي خروفاً من سوق المواشي.. ومنذ ذلك الوقت لم أر أهلي ولم أعد لمديتي

(نافجة): هل من أخذك كان (روشني)؟

(شاور): لا.. السيد (كلكامش).. هو من اختارني.. هو من اختار

معظمنا

أحسست العرجاء في نبرة حديث المتنور الشاب بعض الحزن والحنين عندما تطرق الموضوع لماضيه فوجدتها فرصة لتأخذ منه المزيد من العلم واستغلال استرساله في الكلام معها وقالت: «ألم تفكر بالعودة لأهلك وزيارتهم بعد كل تلك السنين؟»

(شاور): لا.. كنت صغيراً جداً ولا أذكر اسم المدينة التي أتيت منها ولم أسأل حتى بعد ما كبرت.. جذوري انتزعت من قبل أن تنمو.. السيد (كلكامش) كان قاسياً عليّ وعلى بقية الأطفال لكنه كما كان يقول يريد تحرير طاقاتنا

(نافجة): ومتى تحررت طاقتكم المزعومة هذه؟

(شاور): كنا عشرة أطفال.. تحرر سبعة منا من أرواحهم وبقيت أنا وصبي وفتاة فقط.. نحن من تمكننا من الصمود والانتقال للمرحلة الثانية

(نافجة): وماذا حدث بعدها؟

(شاور): أمرنا السيد (كلكامش) بالاقتتال فيما بيننا كنوع من الانتخاب
ووقتها أصابني نوع من اليقظة

(نافجة): اليقظة؟

(شاور): نعم.. طاقة من مستوى مختلف تحررت بداخلى مكتتنى من
قتل زملائى بسرعة خارقة ما زرع البهجة والسرور في قلب السيد
(كلكامش) لثوانٍ لكن سعادته تضاءلت عندما أدرك أنى لم أصل
لمرحلة معينة كان يزعم أنها موجودة بالرغم من أن جميع الكهنة في
الطائفة مؤمنون بأنه لا يوجد تحرر أكثر مما وصلت إليه

(نافجة): تقصد الطاقة التي يملكها الكهنة؟

(شاور): نعم فالطاقة حسب تقسيم طائفتنا ثلاثة.. الميّة.. الكامنة..
المتحررة والأخيرة تتشعب لمرحلتين مشعة وهي التي يملكها معظم
أفراد الطائفة خصوصاً القتلة المتفجرة وهذه نادرة جداً ولا يملكها إلا
القليل من ضمنهم السيد الكبير لكن السيد (كلكامش) كان يصر أن
هناك مرحلة ثالثة لم تكتشف بعد وقد ذهب ضحية اعتقاده الكبير من



الأرواح سعياً وراءها والسيد الكبير لم يكن يعارضه في سعيه الدموي
هذا لأنه كان يؤمن به وبمعتقداته

(نافجة): وما تلك المرحلة الثالثة التي يزعم (كلكامش) وجودها؟
(شاور): المرحلة النجمية.. لكن كما أخبرتك لا يوجد مرحلة أعلى من
المتفجرة وهي مجرد وهم في رأسه

(نافجة): وأنت قد وصلت للمرحلة المتفجرة؟
(شاور): نعم وهذا يخولني لأكون عضواً بشعبة الكهنة تحت قيادة
السيد (آغ) لكن السيد (روشنبي) تدخل وطلب من السيد الكبير أن
أكون ضمن فريقه مدعياً أن الكهنة لن يقبلونني بسهولة بين صفوفهم
وقد يعاملونني بتحقيق

(نافجة): كنت أظن أن العمر ليس مهمًا في طائفتكم
(شاور): نعم صحيح فيما يختص بالتعيين بمنصب ما لكن هذا لا
يحميك من الإقصاء والسيد (روشنبي) يكره الكهنة في قراره نفسه
ويكره استحواذهم على كل العناصر المميزة بالطائفة وكان يريد أن
يظفر بي وقد حصل على ذلك بعد موافقة السيد الكبير فـ (فايو) يستولي



على جميع المتنورين أصحاب الهالات المشعة ليحوthem لقتلة و (آغ) على أصحاب الهالات المتفجرة ليضمهم للكهنة لأن الهالات المشعة لا تصل لمرحلة التفجر إلا بعد أن يتجاوز صاحبها العقد الخامس من العمر غالباً و حدوث ذلك من النوادر

(نافجة): من كان ينضم لمجموعة (روشنبي) إذا؟

(شاور): الوزير (روشنبي) هو الأقل أتباعاً بسبب هذا التوزيع لذا فقوته تكمن في علاقاته الخارجية فقط مع من تعامل معهم الطائفة وكذلك نقل الأوامر والتوجيهات من السيد الكبير إلى أتباعه

(نافجة): أهذا يحاول سيدك الآن خيانة الطائفة بحرايتي؟

(شاور): هذه ليست خيانة.. إنه يسعى فقط لإزالة (فایو) وضم فرقه القتلة بعد ما يثبت فشلهم تحت قيادته.. بذلك سيكتسب قوة وهيمنة أكبر فالقتلة يعطون قائدتهم مكانة غير مسبوقة وهذا ما دفع السيد

(آغ) قبل عدة سنوات لتأسيس فرقه الكهنة القتلة

(نافجة): الكهنة القتلة؟.. لم أسمع بهم من قبل

(شاور): هذا لأن مشاركتهم الخارجية محدودة وأعدادهم قليلة جداً



لا تتجاوز العشرات لكنهم مجموعة فتاكه ولم يفشلو قط في تنفيذ أي مهمة ولا يلجمهم إلا في الأمور المستعصية

(نافجة): حدثني عنهم أكثر..

(شاور): لقد أفضيتك ما يكفي من أسرار الطائفة؟

(نافجة): لا بأس بإفشاء المزيد لمن خيم ظلال الموت عليه.. أسراركم ستدفن معي قريباً أليس كذلك؟

(شاور) مبتسماً: في هذه معلمٍ حق.. حسناً.. فرقـة الكـهنة القـتلة هـي مجموعة قـام (آغـ) بـإنشـائـها كـرـد عـلـى صـدام حـدـث بـيـنـه وـبـيـنـ (فـاـيوـ) قـبـل سـنـوـات عـنـدـمـا رـفـضـ الـأـخـير إـعـارـة أـحـد قـتـلـتـه لـه لـتـنـفـيـذ مـهـمـة مـا وـهـدـدـ كـبـيرـ الـكـهـنـة بـأـنـه يـسـتـطـيـع القـضـاء عـلـيـه وـعـلـى أـتـبـاعـه بـجـيـشـه المـدـرـبـ والمـتأـهـبـ وـمـجـمـوعـتهـ منـ الـكـهـنـةـ الـمـهـمـيـنـ بـالـعـلـمـ وـالـبـحـثـ لـنـ يـصـمـدـواـ أـمـامـهـ. بـالـطـبـعـ هـذـا لـمـ يـكـنـ سـيـحـدـثـ بـوـجـودـ السـيـدـ الـكـبـيرـ لـكـنـ ذـلـكـ التـهـديـدـ تـرـكـ أـثـرـاـ بـالـغاـ فـيـ نـفـسـ (آغـ)ـ ماـ دـفـعـهـ لـطـلـبـ الإـذـنـ مـنـ السـيـدـ الـكـبـيرـ بـتـأـسـيسـ مـجـمـوعـةـ خـاصـةـ بـهـ مـنـ الـقـتـلـةـ الـمـحـتـرـفـينـ أـصـحـابـ الـهـالـاتـ المـتـفـجـرـةـ لـيـتـولـواـ مـهـامـ حـمـاـيـةـ الـكـهـنـةـ وـصـدـ أـيـ تـرـدـ مـنـ أـتـبـاعـ (فـاـيوـ)ـ وـبـالـفـعـلـ وـافـقـ السـيـدـ الـكـبـيرـ وـبـدـأـ (كـلـكـامـشـ)ـ بـاـخـتـيـارـ مـنـ تـنـطـقـ عـلـيـهـمـ

المواصفات التي طلبها (آغ) ليكونوا ضمن تلك الفرقـة. لم يطلب أن يكونوا أقوىـاء بقدر أن يكونوا أذكــاء وــمع الوقت تمــكن من الحصول على استثنــاء خاص لهم وــحدهــم وهو إمكانــية استخدام الســحر بالرغم من أن ذلك كان محــرماً في الطــائفة لكن تــكالــب (آغ) وــ(كلــكامــش) على السيد الكبير بالإــلــاحــاجــ أثــمــرــ وــاقــتنــعــ بــمــنــحــهــمــ ذلكــ الحقــ.

(ناــفــجــةــ) : وهــلــ لــهــمــ مــرــاتــبــ وــوــشــومــ مــثــلــ الــقــتــلــةــ الآــخــرــينــ ؟

(شاــورــ) : نــعــمــ.. هــنــاكــ خــمــســ مــرــاتــبــ فــقــطــ فــيــ طــائــفــةــ الــكــهــنــةــ الــقــتــلــةــ وــوــشــومــهــمــ لــيــســ نــجــوــمــاًــ بــلــ دــوــائــرــ ســوــدــاءــ مــصــمــتــةــ

(ناــفــجــةــ) : لقدــ أــثــرــتــ ســؤــالــاًــ فيــ عــقــليــ .. لــقــدــ قــلــتــ بــأــنــكــمــ تــســتــعــيــنــوــنــ بــهــمــ فــيــ الــمــهــاــمــ الــمــســتــعــصــيــةــ فــلــمــ لــمــ تــســتــعــيــنــوــنــ بــهــمــ لــقــتــلــيــ حــتــىــ الــآنــ .. أــمــ أــنــيــ لــســتــ عــصــيــةــ عــلــيــكــمــ بــعــدــ ؟

(شاــورــ) : الــكــهــنــةــ الــقــتــلــةــ لاــ يــتــبــعــونــ الســبــيلــ التــقــلــيــدــيــةــ فــيــ الــقــتــلــ لــذــلــكــ لــاــ يــســتــعــانــ بــهــمــ فــيــ مــهــاــمــ الــأــغــتــيــالــ الــعــادــيــةــ مــهــاــ بــلــغــتــ قــوــةــ الــخــصــمــ .. هــمــ لــهــاــمــ مــخــتــلــفــةــ تــامــاًــ

(ناــفــجــةــ) : لــمــ أــفــهــمــ

(شاــورــ) : ســأــعــطــيــكــ مــثــالــاًــ قدــ يــوــضــحــ لــكــ ماــ أــقــصــدــ ..



بذور كلكامش

قبل عدة سنوات لجأ إلينا تاجر كبير من بلاد «ما وراء النهر».. كان فاحش الثراء وعرض على السيد الكبير أموالاً تكفي لبناء قصرٍ من الذهب وذلك مقابل طلب غريب (نافجة): ماذا طلب؟

(شاور) مستأنفاً حديثه: التاجر كان عقيماً وتزوج كثيراً ولم يتمكن من الإنجاب وفي أحد اجتماعاته بملكهم عيّره الملك بذلك بشكل مهين وانتقص من فحولته أمام أعيان المملكة وتفاخر بنسله من أمراء وأميرات وكيف أن لقب عائلته سيمتد أبداً للدهر لأنه زرع بذوره بعكس التاجر الذي سيموت مبتور النسل وستضيع أمواله التي جمعها لسنوات وستنتقل خزينة المملكة وبالطبع لم يستطع التاجر الرد

واضطر للتبسم وابتلاع المهانة وفقدان الكثير من ثقله وكرامته بين وجهاء المملكة

(نافجة): كان يريد قتل الملك إذاً؟

(شاور): لا.. لو كان ذلك طلبه لكلفه الأمر ربع ما عرضه على السيد الكبير ولم يتطلب سوى إرسال قاتل من قتلة (فایو) برتبة لا تتجاوز الخمس النجوم ليقتتحم القصر في مهمة انتشارية وينهي المهمة بسهولة

(نافجة): ماذا أراد إذاً؟

(شاور): أراد أن يذيقه المهانة مثلما حدث معه وأكثر وأن يسقيه من الكأس نفسها وببطء.. وبالفعل هذا ما حدث فبعد عدة أشهر تحقق مراده ونزل الملك على ركبتيه أمام جمع غفير من وجهاء المملكة قام بدعوتهم مسبقاً في قاعة عرشه الكبيرة وخلع حذاءه وبدأ يضرب رأسه ووجهه به وسط ذهول الجميع ولم يحاول أحد منعه لأنه عُرف عنه كره من يتدخل بأي أمر يقوم أو يأمر به

(نافجة) باستغراب: ولم قام بذلك؟ وما علاقة الكهنة القتلة بـا حدث؟

(شاور): عندما سمع السيد الكبير تفاصيل طلب التاجر الغريبة حول



المهمة على (آغ) ليوكلها لأحد الكهنة القتلة وبالفعل أوكلت لكاهن يدعى (مايزك) قام بالتشكل بطلسم التشكيل النادر والتسلل للقصر وأخذ مكان أحد الخدم القدامي بعد ما قتله وأخفى جثته واختياره لذلك الخادم بالذات أتى بعد مراقبة طويلة لسكن القصر ومشاهدته مدى تفاعلهم معه وثقتهم خاصة أبناء الملك وبناته وزوجاته العشر. استغرق الأمر من (مايزك) عدة أشهر كي يقضي على جميع أبناء وبنات الملك واحداً تلو الآخر ويظهر تلك الفاجعات على أنها حوادث متفرقة أو أمراض أصابتهم ليخلق وهمًا مفاده أن سوء طالع أو لعنة قد ألمت وأصابت العائلة الملكية ولم يُبِّق سوى على أصغر أبنائه البالغ من العمر تسعة سنين وكل ذلك فقط ليصل للهدف الرئيس وهو إهانة الملك بالشكل الذي طلبه التاجر

(نافجة) وهي متعجبة مما تسمع: أكمل..

(شاور): تمكن (مايزك) من التسلل للجناح الملكي ليلاً خلال نوم الحاكم مع إحدى زوجاته بالشكل كأحد الحراس الملكيين وقام بتخديرهما بعشبة أحرقها في الغرفة ثم قام بإخضاع الملك وتطيب جرحه بالكي ثم خرج خلسة كما دخل.. بقي الكاهن يراقب تدهور



حالة الملك النفسية لعدة أيام وكيف أن خوفه لفقدان وريثه الوحيد والأخير ارتفع بشكل جنوني فقد تخلى عن معظم حراسه ليقوموا بحراسة الأمير الصغير من أي مكروه قد يصيبه وينقطع بموته نسله للأبد. ترك (مايزك) الملك يتذمّر نفسياً لفترة ليست بالقصيرة حتى اتخذ قرار إنتهاء المهمة بالرغم من أنه كان يمكنه القيام بذلك قبلها بوقت طويـل

(ناـفـجـةـ)ـ:ـ هلـ كـانـ هـنـاكـ حـكـمـةـ أوـ مـقـصـدـ مـنـ تـلـكـ الـمـاـطـلـةـ؟ـ

(شاور)ـ مـبـتـسـماـ:ـ الـكـهـنـةـ الـقـتـلـةـ يـتـمـ اـنـتـقاـؤـهـمـ عـلـىـ أـسـسـ كـثـيرـةـ مـنـ ضـمـنـهـاـ صـبـرـهـمـ الـحـدـيـديـ وـذـكـارـهـمـ الـاستـشـائـيـ وـبـالـطـبـعـ هـالـاـتـهـمـ الـمـتـفـجـرـةـ لـكـنـ أـهـمـ صـفـةـ يـجـبـ أـنـ تـتـوـفـرـ فـيـهـمـ هـيـ عـقـوـلـهـمـ الـمـرـيـضـةـ الـتـيـ تـجـدـ مـتـعـةـ فـيـ التـفـنـ بـتـعـذـيـبـ ضـحـايـاهـمـ وـهـيـ الـأـسـاسـ الـذـيـ يـدـفـعـهـمـ لـإـنـجـازـ تـلـكـ الـمـاهـامـ بـإـتـقـانـ شـدـيدـ فـهـمـ يـجـدـونـ شـغـفـهـمـ مـنـ خـلـالـ هـوـسـهـمـ الـمـرـيـضـ وـالـسـيـدـ الـكـبـيرـ وـالـوـزـيـرـ (آـغـ)ـ لـاـ يـتـدـخـلـانـ أـبـدـاـ فـيـ طـرـقـ تـنـفـيـذـهـمـ لـهـاـمـهـمـ مـهـماـ طـالـ أـمـدـهـاـ لـأـنـهـمـ عـلـىـ يـقـيـنـ تـامـ بـأـنـهـمـ سـيـنـجـزـوـنـهـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ وـإـهـانـةـ الـمـلـكـ كـانـتـ مـهـمـةـ تـطـلـبـتـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ التـكـرـيـسـ وـالـإـخـلاـصـ.

(ناـفـجـةـ)ـ بـتـجـهـمـ:ـ يـسـتـفـزـكـمـ مـنـ يـفـخـرـ بـنـسـلـهـ وـيـمـلـكـ عـزـةـ لـأـنـكـمـ فـاقـدـوـنـ لهاـ!

(شاور) بشيء من الفخر: وقد أهدرنا تلك الكرامة المزعومة.. لم ينفعه ذلك التفاخر بسلامته

(نافجة): من لا يملك ماضياً مجيداً لن يرى حاضراً عزيزاً.. مالكم للسقوط وستري

(شاور): لا يسقط إلا من كان معتلياً قمة.. أليس كذلك؟

(نافجة) تنصت عابسة بصمت..

استأنف (شاور) حديثه: تسلل (مايزك) مرة أخرى في إحدى الليالي للجناح الملكي وكان الحاكم نائماً وحده هذه المرة وقام بالتشكل بهيئته الحقيقية بعد ما ربطه وكممه. استيقظ الملك ليり رجلاً غريباً بشعر أبيض قصير لكن بوجهه يافع وسيم وعلى وجنته وشمت ثلاث دوائر سوداء يجلس بجانبه يتأمله مبتسمًا.. حاول الملك جاهداً النهو ضد وطلب النجدة من الحرس الواقفين بالخارج لكن دون جدوى.

(مايزك): كيف وجدت الحياة بدون فحولتك؟

استشاط الملك غضباً عندما سمع هذا الكلام وبدأ بالصرخ بصوت مكبوت من وراء الكرامة..

(نافجة) متوجهة: ليسوا عرباً بالنسبة لي.. فمن يبيع ولاعه لغير أرضه ويغدر بإخوته في الدم يصبح بلا جذور ولا يحق له الانتساب إلينا ودمه مهدور بالنسبة لي

(شاور): ولاؤنا للسيد الكبير يغنينا عن أي أرض

(نافجة): لا رغبة لي ببذل مجهد في إفهام خائن مثلك معنى الكرامة.. قد تكونون نجحتم في إهانة الملك لكنه انتصر ونسله استمر

(شاور): في الواقع (مايزك) لم يرحل قبل أن يأخذ معه رأس الأمير الصغير كتذكار بسيط وانتقل الحكم للوزير بالانتخاب ومسح نسل الملك للأبد.. «عندما يفشل القتلة يتدخل الكهنة..» هذا هو شعارهم الذي يعتزون به ويحافظون عليه..

(نافجة) بسخرية: لعل يوماً ما تصلون لمرحلة ترسلون لي أحد هؤلاء الكلاب الكهنة ووقتها سنرى إن كانوا فعلاً لا يقهرون

(شاور): أشك أن ذلك سيحدث بعد دخول (هند) بالصورة..

(نافجة): تتحدث عنها وكأنها لا تظهر

(شاور): هناك طاقات نكتشفها من وقت لآخر تكون خارج التصنيف



الذي أخبرتك به.. طاقات بلغت مبلغاً من القوة لا يمكننا أن نضع لها
تصنيفاً محدداً و(هند) هي إحدى تلك الطاقات المخيفة..

(نافجة): تقصد الطاقة النجمية؟.. ألم تقل بأنها وهم لا وجود له؟

(شاور): لا لا.. لم أقصد ذلك النوع من الطاقات.. طاقة مختلفة..
ذات توهج ومنحى مختلفين.. تشبه المتفجرة في قوتها لكنها لا تسير
على القوانين نفسها.. شرحها صعب

(نافجة): وهل رأيت طاقة أخرى من هذا النوع عدا (هند)؟

(شاور): في الحقيقة نعم.. وكانت تسير معي عندما كنت أتعقبك في
الفترة الماضية

(نافجة): تسير معي؟.. عمن تتحدث؟

(شاور): عن الفتاة ذات الشعر الأحمر الفاقدة لإحدى عينيها.. قوتها
مخيفة.. مخيبة جدّاً.. لم أر طاقة متوجهة مثلها من قبل

(نافجة): تقصد (عوراء)؟

(شاور): هل هذا اسمها أم أنك تعيرينها؟

(نافجة): هي من قالت إن الناس ينادونها بذلك.. ثم لا تغير
الموضوع.. أنا لم أر منها أي شيء يدل على ما تقول



(شاور): ألم تتساءلي كيف نجوت من كل متنور حاول قتلك؟

تفكرت العرجاء قليلاً في الأحداث التي حدثت قبل وبعد كل هجمة تعرضت لها خلال رحلتها مع بناتها للبحث عن (شق وسطيح) وبدأت تستدركحقيقة أن أموراً غريبة بالفعل كانت تحدث لهن ولـ (عوراء) بالتحديد وأن (رافدة) و(كميت) حاولتا أكثر من مرة إثارة انتباهاها لذلك فقالت: «هل قوتها هذه تشكل خطراً على من يصاحبها؟.. أقصد بناتي الأخريات؟»

(شاور): لا أعرف.. كل ما أعرفه أن طاقتها قوية بشكل استثنائي وغريب

(نافحة): غريب كيف؟

(شاور): المتنورون بعد تحرير طاقاتهم يستخدمون طريقة للتعرف بعضهم على بعض من خلال الأعين.. فأعينينا تملك لمعة مميزة نتعرف عليها بسهولة ومن خلالها نقيس إلى حد ما حجم طاقاتنا فيما بيننا والطريقة الأخرى هي اهتزاز أجسادنا عندما نقترب بعضنا من بعض وتتأثر حركتنا وقوتنا حسب الطاقة المقتربة منا ولا يتعدى هذا الإحساس شعوراً بسيطاً بالخمول أو الإرهاق أو الرجفة في حالة



وجودنا حول طاقات قوية جدًا أو متفجرة لكن الفتاة لم تملك تلك اللمعة بتاتاً ومع هذا كنت لا أستطيع الاقتراب منكم كثيراً للإحساس بالشلل التام حتى وإن كنت على مسافة بعيدة منها.. لم أشهد طاقة سابقاً تستطيع فعل ذلك بي

(نافجة): هل ما تملكه (عوراء) من طاقة شبيه بها تملكه (هند)?
(شاور): لا.. شيء مختلف تماماً.. الطاقة كانت حوالها وليس بداخلها.. شيء لم أره من قبل.. السيد (كلكامش) كان يؤمن بأن هناك أموراً كثيرة نجهلها في علم الطاقات وأن ما اكتشفناه أقل القليل.. بالرغم من أنه كرس حياته لهذا العلم والبحث فيه إلا أنه لم يصل إلا لشيء بسيط من بحثه والسيد الكبير الوزير (آغ) هما فقط من كانوا مطلعين على أبحاثه عن قرب.. كان أشبه بمشروعهما السري مع (كلكامش) وقد منحه كل الصلاحيات للبحث وإجراء كل تلك التجارب البشعة على الشبان والشابات سعيًا وراء حلمه في إثبات وجود الطاقة النجمية لكنه لم يجدها قط

(نافجة): ولم نتأثر نحن مثلك بطاقة (عوراء)?
(شاور): فقط أصحاب الطاقات الكبيرة والمفعولة تحديداً يشعرون

بذلك والكهنة هم الوحيدين من يستطيعون السيطرة على مدى تأثير
الطاقة القوية عليهم وهذا أحد أسرارهم التي لا يشاركونها مع بقية
أفراد الطائفة

(نافحة): معنى ذلك أن الكهنة القتلة يمتازون عن القتلة الآخرين
بقدرتهم على الاقتراب من أصحاب الطاقات الكبيرة

(شاور): نعم بالضبط

(نافحة): وما الذي يحدد طاقة متنور ما؟

(شاور): كل إنسان في الأصل يولد بطاقة بدرجة ما لكن ما يحركها
ويؤججها في داخله لتخرج أو «تفعل» هي ظروف وعوامل خارجية..
عاطفة من نوع ما.. حزن.. غضب.. ثأر.. وبقدر تلك المشاعر تتفجر
طاقتكم الداخلية وهي إما أن تأتي مصادفة أو مفتعلة مثل ما كان يقوم به
السيد (كلكامش) عندما كان يقوم بتعذيبنا لاستشارة مشاعرنا لتحرير
طاقاتنا ومن ثم تفعيلها لاحقاً.. فالتحرير شيء والتفعيل مرحلة تأتي
بعدها

(نافحة): وما الذي حرر طاقتكم أنت؟



(شاور): أعتقد أنه الحرمان.. حرمت منذ صغرى من أشياء كثيرة..
من عطف أمي التي ماتت بعد ولادي بسنة.. من الحياة الكريمة مع أبي
وإخوتي لأننا كنا فقراء معدمين وكل من يمر بنا يقوم باستغلالنا بأي
شكل يستطيع ويرمي بنا على قارعة الطريق.. كنت أتأرجح على حافة
السقوط منذ سنواتي الأولى على هذه الدنيا.. وسقطت.. بيد السيد
(كلكامش) الذي فعل طاقتى المعدبة ليستغلها لمصلحة الطائفة

لم تكمل العرجاء نقاشها مع المتنور الشاب بعد ما لاحظت عليه الحزن
واهـم وهو يتحدث عن نفسه وماضيه وأثرت الصمت والتوقف عن
ال الحديث معه..

بعد مضي ما يقارب نصف الساعة قضاهما الاثنان في السير بين الكثبان
الرمليـة الحمراء صامتين سمعا ديبـياً متصاعداً آتـياً من خلف تلة رملية
كبـيرة كانا مقبلين عليها فتوقفت (الغبـاء) عن السـير وأخذـت تـضرـب
بحـافـرـها الأـرـضـ والـعـرجـاءـ تـطـبـبـ عـلـىـ رـقـبـتهاـ بـهـدوـءـ مـطـمـئـنـةـ لهاـ.

(شاور) ونظرـهـ عـلـىـ التـلـةـ التـيـ قـدـمـ منـ وـرـائـهـ الصـوتـ: ماـ هـذـاـ الصـوتـ
المـقـرـبـ مـنـاـ؟

(نافـحةـ) وـهـيـ تـخـرـجـ سـيفـهاـ المـبـرـوقـ منـ غـمـدـهـ بـبرـودـ دونـ أنـ تـتوـترـ:
قطـاعـ طـرـقـ.. عـشـرـةـ إـلـىـ عـشـرـينـ مـنـهـمـ عـلـىـ الـأـرـجـحـ

(شاور) ملتفتاً إليها ليرأها متأهبة: هل تنوين مواجهتهم؟

(نافجة) وأعينها منصبة على قمة التلة: خيار الهرب ليس مطروحاً أنها

الأعمى

(شاور) مفلتاً لجام الفرس من يده مبتسمًا: هناك خيار أفضل

خرج من وراء قمة التلة مجموعة من الرجال الملثمين المندفعين
بمجموعة من النياق والخيول مشهّرين سيفهم نحو العرجاء والمتور
الشاب في قاع الهضبة الرملية وكان من الواضح أنهم ينون نهبها لكن
و قبل أن يصلوا إليها انطلق الشاب جريًا بسرعة خاطفة نحوهم وقفز
في الهواء وبدأ يقتلهم واحداً تلو الآخر بطرق مختلفة فتارة يتزع قلب
هذا من صدره وتارة أخرى ينحر آخر بمخلب سبابته الطويل وجموعة
منهم لقوا حتفهم بعد ما ركب وراءهم على دوابهم وحطّم أعناقهم في
لحظة خاطفة. راقت (نافجة) ما كان يحدث مبتسمة وهي تعيد سيفها
المبروق لغمده وبعد ما انتهى المتور من التخلص منهم جمِيعاً قال وهو
يمسح كفوفه بملابسها: «يمكننا استئناف رحلتنا الآن..»

(نافجة) تشد لجام الغبياء عن يد (شاور) الذي حاول الإمساك به

قائلة: «لم يعد هناك حاجة لأن تسير على أقدامك يا فتى..»



(شاور): مَاذَا تَعْنِينَ؟

(نافحة) تومى برأسها لمجموعة النياق والخيول السائبة والتي كان
يمتليها قطاع الطرق: انتِ لك دابة من غنيمتك..

(شاور): غنيمتِي؟

(نافحة): نعم غنيمتِك.. لقد قتلت أصحابها وهي الآن غنائمك

(شاور): أنا لست سارق

(نافحة) ضاحكة: هل ترى القتل أهون من السرقة؟!

(شاور): قتلتُهم دفاعاً عن نفسي فقط لكنني لن أسرقهم

تجاهلت العرجاء كلام الفتى وسارت بفرسها نحو ناقة من النياق
الواقفة وكانت تهدِّر بقوَّة فمسحت على سنامها لتهدِّتها ثم قالت:
«هذه الناقة الحمراء قوية وستتحمل عناء رحلتنا القصيرة..»

(شاور): لن آخذها

(نافحة) تشد بجام الناقة وتسير بها إلى (شاور) وتمده له قائلة: أنا
غنمتها وأهديها لك.. أم أنك لا تقبل الهدايا أيها الأعجمي؟
أمسك (شاور) بجام الناقة وقال: لم أمتطِ واحدة من قبل..



(نافجة): الأمر لا يختلف عن امتطاء الخيول

(شاور): لم أمتطِ خيلاً من قبل كذلك

(نافجة) مبتسمة: هل تحتاج درساً في ذلك؟

(شاور) وهو يحاول صعود ظهر الناقة: لا..

سقط المتنور من على ظهر الناقة بعد ما استقر فوق سمامها لثوانٍ
معدودة و(نافجة) تضحك من منظره وهو ينكب على وجهه فوق
الرمال..

بعد عدة محاولات فاشلة تمكن (شاور) من الاستقرار فوق ظهر الناقة
وشد جامها قائلاً: أعتقد أني تمكنت من السيطرة عليها الآن!

(نافجة) مبتسمة: المسكينة لم تتحرك من مكانها لتسيطر عليها.. سيطر
على نفسك أنت

(شاور): ظهرها كبير وهذا هو سبب عجزي عن ركوبها.. لو كنت قد
اخترت لي جواداً لكان أفضل

(نافجة): تقصد سمامها؟.. الجياد أكثر صعوبة عليك

(شاور): هذا السبب هو حيث تخزن هذه البهائم الماء أليس كذلك؟

(نافجة) : الإبل لا تخزن الماء يا جاهم .. تخزن الشحم فقط

(شاور) : حيوان غريب مثل هذه الأرض

شدت العرجاء لجام (الغبياء) وبدأت بالتقدم صعوداً لقمة التلة

قائلة :

«اتبعني إذاً وكن قريباً مني كي لا تضيع في أرضينا الغريبة كما تقول..»

تقدمت العرجاء تاركة (شاور) بالأسفل يحاول تحريك ناقته بضررها

بکواحله عدة مرات لكنها لم تقدم خطوة واحدة فتبسمت (نافجة)

وهي تراقب منظره خلال صعودها لقمة التلة وهو في حيرة من أمره

وما أن بلغت القمة حتى فوجئت بامرأة تقف أمامها.. امرأة بشعرٍ

أسود طويل وأعين مكحلة بوشم في ذقnya لكن الوشم الذي لفت

انتباها هو أربع عشرة نجمة وشمت على وجنتيها. لم يكن (شاور)

وقتها قد صعد التلة ولم ير تلك المرأة وهي كذلك لم تره وقبل أن تقوم

العرجاء بأي ردة فعل قبضت المرأة على عنق (نافجة) ورفعتها من على

ظهر (الغبياء) وأبقتها معلقة في الهواء وقالت بهدوء خلال تفقدها

بنظرها لقدمها المبتورة: «أنتِ الهدف إذاً..»



حاولت العرجاء المختنقة تحرير نفسها بفك القبضة المحكمة على عنقها وهي تصارع وتركل الهواء لكن دون جدوٍ وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة أرخت المرأة قبضتها وأسقطتها أرضاً تشهق بقوة بحثاً عن النفس. نظرت المرأة لـ (نافجة) بوجهه خالٍ من التعبير وانتبهت لجرحها الحديث وقالت: «أنتِ مصابة..»

(نافجة) بتهكم وهي تسعل بعد ما أدركت أن هذه المرأة لم تكن سوى (هند): «هل ستداويني قبل أن تقتليني يا متنورة؟»

أدارت (هند) ظهرها لـ (نافجة) وقالت: سأعود لاحقاً.. بعد أن تتعافي قليلاً.. ليس من المروءة قتلك وأنتِ بهذه الحالة.. يجب أن تحظى بفرصة كاملة للدفاع عن نفسك

مدت العرجاء يدها وأمسكت ببلجام فرسها ونهضت بثقل قائلة: وأي مروءة وشرف تعرفنها وأنتِ متحالفة مع العجم علينا؟.. أني الأمر الآن فلا حاجة بي لشفقتك

لم ترد (هند) لأنها اختفت عن الأنظار تاركة (نافجة) تمسح على عنقها باحثة بنظرها عنها في الأفق المظلم..



خرج (شاور) من ورائها قادماً على ظهر ناقته من أسفل التلة وقال:
أعتقد أني فهمت أخيراً الطريقة المثلث لامتناع هذه الدابة
(نافجة) تصعد على ظهر الغبساء: وأنا أعتقد أني التقيت للتو مع
المتنورة العربية

(شاور) بخليط من العجب والتوتر: (هند)!؟.. أين؟.. هل ما زالت
بالجوار؟!

(نافجة) بتهمكم: لا تخزع.. لقد رحلت.. من الواضح من نبرة صوتك
أنك كنت ستر كالفار لو أنك رأيتها ولم تكن ستساعدني

(شاور): لو كنت قد تدخلت لكان الأمر سينتهي بموتنا جميعاً.. ما
حدث كان في مصلحتك

(نافجة) وهي تشد لجام الفرس للتحرك: مؤقتاً فقط.. لنرحل من هنا
(شاور): ألن تخبريني بما دار بينكما؟.. ولم لم تقتلك الآن؟

(نافجة): الأمر لا يعنيك يا أعجمي.. هيا الحق بي
استأنف الاثنان رحلتها وهم يسيران بدوا بهما بعضهما بجانب
بعض ببطء تحت غطاء النجوم المضيئة ورياح الشتاء الباردة تداعب
ظهورهما..



(شاور): أليس من الأحرى بنا أن نسرع أكثر؟

(نافجة): لا.. الناقة تحتاج وقتاً كي تعتاد عليك ولو دفعتها للجري فستلتفظك من عليها.. بعد بعض ساعات سوف تألفك لا تستعجل

(شاور): ونسير بسرعة بعدها؟

(نافجة): ستكون الشمس قد أشرقت والجري تحت حرها يرهق الدواب خاصة وأننا لم نر مصدراً للهاء بعد

(شاور): ما هذا التعقيد كله؟.. مسيرة يومين ستتحول لأشבוע

(نافجة): مرحباً بك في أرض العرب.. الأرض التي إن لم تسافرها وتحترمها فستلتهمك في لحظة دون تردد

(شاور): لا أرى سوى أرض متوحشة مثل قاطنيها

(نافجة) بتهمكم: بالرغم من انتقادكم المتكرر لنا إلا أنك للتو كنت ترجف خوفاً من أحد أبنائنا؟.. تجندون عرباً بين صفوفكم وتحتقرونهم.. حماقة لم أشهد لها مثيلاً

(شاور): تقصدين (هند)؟

(نافجة) بحق: نعم (هند).. ما الثمن الذي قدمتموه لها كي تبيع

أرضها وولاءها لأمثالكم؟.. حديثي المقتضب معها مكتنني من معرفة
أنها عربية أصيلة تملك عزة وأنفة فلم توالى أخساء مثلكم؟

(شاور) مبتسماً من عصبية (نافجة) وغضبها: مجرد اسم.. الثمن كان
اسمًّا فقط..

(نافجة): اسم؟.. اسم من؟

(شاور): قاتل أختها

(نافجة): إذا فالثأر كان محركها ومؤجج طاقتها

(شاور): لا.. هي كانت تملك تلك الطاقة من قبل أن نضمها إلينا..
نحن قمنا بتفعيلها فقط وليتنا لم نفعل

(نافجة): كيف انتهى بها الحال لتصبح واحدة منكم؟

(شاور): ولم هذا الاهتمام المفاجئ بها؟

(نافجة): أليست هي من يتعقبني الآن؟.. أريد معرفة كل شيء يخص
من سيحاول قتلي

(شاور): هي لن تحاول.. بل ستنجح في مسعها بلا شك والحديث

عنها سيكون كشفاً لمزيد من أسرار الطائفة وأعتقد أنني كشفت الكثير
لك حتى الآن

(نافجة): أخبرتك سابقاً.. لا يوجد سبب للقلق بهذا الخصوص فما
ستقوله سيموت بعد تصفيتي المحتملة كما تقول
(شاور) وهو يشد على لجام الناقة محدقاً بالأفق أمامه: لا أشك في ذلك
أبداً .. حسناً فالطريق طويلة على أي حال.. لنبدأ من البداية..

ماري ناقمة

جنوب الجزيرة وتحديداً بمدينة «معين» عاشت عائلة ثرية كبيرة تكونت من خمس فتيات وثلاثة صبية عاشوا في رخاء مع أمهم (حميدة) وأبيهم (معناد) الذي امتهن تجارة البهارات واللبان والتي كانت مصدر ثرائه الفاحش. عاشت الأسرة حياة رغيدة لكن الأب كان يخاف على بناته من التعرض لأي مكره خصوصاً الصغيرات منهنّ واللاتي لم يتزوجنَ بعد. الابنة الوحيدة التي لم تحظَ بقدر كبير من القلق والخوف هي ابنته الكبرى (هند) لأنها ملكت عقلاً راجحاً ومتزناً وكانت دوماً تعاونه في السيطرة على بقية إخواتها واندفعاً عليهم وتهورهم من وقتٍ لآخر وتساعده كذلك في حل معظم المشكلات التي تطرأ بينهم خاصة فيما يتعلق بالخروج من المنزل.

البنت الصغرى للتاجر (معناد) كانت الأكثر تدليلاً والأقرب لقلبه

لكنها أيضاً كانت الأكثر تهوراً وهذا سبب خوفه المستمر عليها وتعيينه لحراس دائمين لها يراقبونها حيثما تذهب خشية وقوعها في المشكلات.
ابنته الكبرى لم تكن تشاركه ذلك القلق والحدر الشديد على أختها الصغرى وحاولت مراتاً أن تقنع أبيها بالتخفيض من تلك الحماية الخانقة والبالغ فيها لكن دون جدوى. جلست (هند) مساء أحد الأيام عند أقدام أبيها وأمها وأخذت تدعكها مبتسمة قائلةً: «كيف حال الشمس والقمر اليوم؟»

(معناد): وأي منا القمر؟

(حميدة): القمر هي التي توجه نظرها للشمس كل يوم لتشع بنوره
(معناد) ضاحكاً: هل ترين يا (هند) كيف تستطيع والدتك الحصول على ما تريده بخبط؟

(هند) مبتسمة وهي مستمرة في دعك أقدام أبيها: وهل عشق أمي لك تسميه خبئاً يا أبي؟

(حميدة): أي خبط أملكه تعلمه منه يا تاجر اللبان
(معناد): ماذا عن بناتك؟.. جميعهنّ يملكنّ مكرأً لم يرثه مني خاصة عندما يردن شيئاً ما



(حميدة) ضاحكة: مكر بناتي لا يقارن بعنجهية أبنائك والتي بلا شك لم يرثوها إلا منك

(معناد) ماسحاً على رأس (هند): هذه هي ابتي التي أستند عليها..
حتى إخوانها لا يعتمد عليهم وقت الشدائـد

(هند): إخوتي جميعاً يعتمد عليهم يا أبي وأنا لست سوى ابنتك البكر
(حميدة): أنججتكم في عمر صغير و كنت أمّا ثانية لإخوتك .. لقد حملت
هم تربيتهم معى منذ نعومة أظفارك

(معناد): ولا يوجد هم أكبر من تربية تلك الطائفة (هنان).. هل تعرف إحداكم أين هي الآن؟

(هند) تنهض وتحلّس بجانب أيّها وأضعّة يدّها على ركبته: في السوق؟

(معناد): هل الحراس معها؟

(هند) باسمة: نعم بلا شك.. لم أكن لأسمح لها بالخروج بدونهم

(معناد) وهو يزفر: تلك الفتاة تقلقني كثيراً

(هند) بنبرة مطمئنة: لا تقلق يا أبي.. لن تصاب بأي مكروره

(حميدة): أختك منذ أن بلغت الرابعة عشرة تفكيرها تغير وأصبحت لا تطيق الجلوس في المنزل وتخرج كثيراً



(هند): جمِيعنا كنا كذلك في عمرها يا أمي

(معناد) متوجهًاً: لا!.. هذه الصبيّة مندفعه وستجلب لي مصيبة يوماً ما!

(حميدة) مبتسمة: على ذكر المصائب.. ابن عمك تقدم خطبتكاليوم يا (هند) وقد وافقنا

(معناد): هل تتعتنين ابن أخي بالصبيّة؟!

(حميدة): بل فراق ابتي البكر هو المصيبة..

(معناد): ومن قال بأنك ستفارقينها؟.. منزلنا كبير وقد اشترطت على أخي أن يسكننا معنا هنا وقد وافق

(حميدة): من حق (هند) أن يكون لها منزلها الخاص

(هند): ما يأمر به أبي سيكون يا أمي

(معناد): الزواج سيتم بعد شهر من الآن.. مبارك يا (أم سعد)

(هند) ضاحكة: من (أم سعد) هذه يا أبي؟

(معناد): أنت بالطبع.. ابنك الأول ستسماه على اسم جدك



(حميدة): وإن كانت بنتاً؟

(معناد): لن تكون بنتاً سيكون صبياً

تنظر (هند) باسمة لأمها التي بادلتها الابتسام..

نهاية ذلك اليوم توجهت (هند) لغرفة اختها الصغرى ولم تجدها فتوجهت خارج المنزل بحثاً عن الحراس المعينين بحراستها وسألتهم عنها فقالوا لها بأنهم لم يروها بعد ما عادت عصراً للمنزل.

(هند): أين ذهبت اليوم معكم؟

(الحارس): زارت منزل حكيم العائلة

(هند): حكيم العائلة؟.. هل كانت مريضة؟

(الحارس): لا أعرف.. لم يبدُ عليها المرض

(هند) باستغراب: لم تزوره إذاً؟

(الحارس): لا أعرف يا سيدتي؟.. لكن..

(هند): لكن ماذا؟.. أ Finch

(الحارس): السيدة (هنان) قبل أيام أمرتنا بحصر السحرة بالمدينة..

وأخبرناها اليوم أن المدينة بها خمسة من السحرة.. اثنان منهم يعيشان



في المدينة وأثنان آخران في الجبال والأخير مسافر خارج البلاد. فقررت الذهاب لمن كانا يقيمان بالجبل لكننا رفضنا مرافقتها وهددناها بإخبار السيد الكبير

(هند) بخلط من العجب والقلق: تسأل عن السحرة؟.. لم تفعل ذلك وماذا تريد منهم؟

(الحارس): لا أعرف يا سيدي لكنها وبعد رفضنا أخذها للجبل عادت للمنزل ولم نرها بعدها

(هند) بقلق شديد: أجمعوا جميع الحراس ورافقوني لمنزل الحكيم لنعرف الحقيقة وحذاري أن يصل الخبر لأبي.. هل تفهمون؟

(الحارس): أمرك

توجهت (هند) مع مجموعة الحراس لمنزل الحكيم دون أن تعلم أباها وأمهما بشيء وبعد وصولهم وطرقهم للباب فتح لهم الحكيم قائلاً: مرحباً سيدة (هند).. ما الذي أتي بك في هذه الساعة المتأخرة؟

(هند): أين (هنان)؟

(الحكيم): (هنان)؟.. لا أعرف.. آخر مرة رأيتها فيها عندما أحضرت لي صديق أبيك لعلاجه ورحلت مباشرة

(هند) باستنكار: صديق أبي؟

(الحكيم): نعم.. رجل غريب مصاب قالت بأنه صديق لوالدك وأنه يطلب مني علاجه

(هند): أين هذا الصديق الذي تتحدث عنه؟

(الحكيم) مشيراً للداخل منزله: بالداخل.. تفضل..

دخلت (هند) مع الحراس لوسط المنزل ليروا رجلاً مطيناً من جرح في بطنه ورباط أحمر ملفوف حوله تعرفت عليه في الحال وقالت بتوجههم وغضب شديد:

«من أين أتيت بهذا الرباط الأحمر؟!»

(الرجل المصاب): ربطته (هنان) حول جرمي عندما أحضرتني إلى هنا

(هند) بغضب: وأين هي الآن؟!.. ماذا فعلتم بها؟!

(الحكيم) مشاركاً في الحديث بقلق: ما الأمر يا سيدة (هند)؟

(هند) صارخة بوجهه: اخرس أنت!!

أمرت (هند) الحرس بالقبض على الحكيم والرجل المصاب واقتیادهما



لقصر حاكم المدينة الذي كانت تربطه علاقة قوية بأبيها وشرح لها كل ما حدث فوعدها بأنه سيتم تعذيبها حتى يعترفوا بجرائمها وبمكان اختها.

نقلت (هند) تلك الأخبار المؤلمة لأسرتها وكانت فاجعة كبيرة هزتهم جميعاً وأمضى أبوها وإنواعها شهراً كاملاً في البحث عن (هنان) بالمدينة والمدن المجاورة لكنهم لم يجدوا لها أثراً. بعد مرور شهرين كاملين على حبس وتعذيب الحكيم والرجل المصاب دون الحصول منها على أي اعتراف قرر الحاكم إعدامهما بتهمة الخطف والقتل بالرغم من عدم إقرارهما بالجرم ولا وجود دليل صريح على ذلك. وفي يوم التنفيذ سيق الاثنين لساحة الإعدام وتم قطع رأس الحكيم أولاً وعندما حان الدور على الرجل تحول لطائر أبيض وحلق من المكان وسط ذهول الجميع.

ذلك اليوم انهارت أم (هند) ولم تتحمل الحقيقة التي اقتنع بها الجميع وهي أن (هنان) قد ماتت لذا طلبت من (معناد) الهجرة لأي مكان كي تنسى ما حل بابنتها وبالفعل لم تمض إلا أيام قليلة حتى باع زوجها كل أملاكه وتجارته ورحل عن «معين» مع أسرته. بالرغم من تلك الظروف والأجواء الكئيبة إلا أن (معناد) أصر على إتمام زواج (هند)

من ابن أخيه (قبيـر) فتمت مراسـم الزواج على عـجالـة دون أي مـظـاهر احتـفال أو فـرح رـحلـت بـعـدـها الأـسـرـة وـاستـقرـت بمـديـنـة بـعـيـدة.

جـنى (معـنـادـ) الـكـثـير من الأـمـوـال بـعـد تـصـفـيـة تـجـارـته في «ـمـعـينـ» إـلا أـنـ تـوقـفـه عن العـمل بـسـبـبـ المـرـضـ الـذـي أـصـابـه بـعـدـ موـتـ (هـنـانـ) جـعلـ تـلـكـ الشـرـوـةـ تـنـاقـصـ معـ مـرـورـ السـنـينـ فـقـدـ اـشـتـرـىـ مـنـزـلاـ كـبـيرـاـ لهـ وـلـأـسـرـتـهـ بـالـمـدـيـنـةـ التـيـ اـنـتـقلـلـواـ إـلـيـهـاـ وـزـوـجـ جـمـيعـ أـبـنـائـهـ وـبـنـاتـهـ وـأـصـرـ أـنـ يـقـيمـواـ مـعـهـ وـيـصـرفـ عـلـيـهـمـ وـمـصـادـرـ دـخـلـ الأـسـرـةـ حـصـرـتـ فيـ أـعـمـالـ أـبـنـائـهـ وـأـزـوـاجـ بـنـاتـهـ الـبـسيـطـةـ وـمـعـ ذـلـكـ لـمـ يـنـحدـرـواـ فيـ الـفـقـرـ لـكـنـهـمـ وـبـلـ شـكـ لـمـ يـعـودـواـ أـثـرـيـاءـ كـالـسـابـقـ.

عاـشـتـ (هـنـدـ) معـ زـوـجـهاـ حـيـاةـ مـتـوـتـرـةـ بـعـضـ الشـيءـ بـسـبـبـ إـهـمـالـهاـ لـهـ وـعـنـايـتهاـ الـلـصـيقـةـ بـوـالـدـيهـاـ وـمـهـماـ حـاوـلتـ أـمـهـاـ نـصـحـهـاـ بـالـاهـتـامـ بـزـوـجـهاـ أـكـثـرـ إـلاـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـرـفـضـ وـتـنـضـيـ مـعـظـمـ يـوـمـهـاـ مـعـ أـبـيـهـاـ الـذـيـ نـخـرـ المـرـضـ عـقـلـهـ قـبـلـ جـسـدهـ وـبـقـيـتـ تـعـتـنـيـ بـهـ وـتـهـتـمـ لـكـلـ طـلـبـاتـهـ وـكـأنـهـاـ كـانـتـ تـشـعـرـ بـالـذـنـبـ لـمـاـ حـدـثـ لـهـ وـالـحرـقـةـ فـيـ قـلـبـهـاـ عـلـىـ مـاـ حـدـثـ لـأـخـتـهاـ لـمـ يـزـدـ الـأـمـرـ إـلاـ سـوـءـاـ.

بلغـ إـهـمـالـ (هـنـدـ) لـأـسـرـتـهـ ذـرـوـتـهـ عـنـدـمـاـ أـنـجـبـتـ مـولـودـهـاـ الـأـوـلـ بـعـدـ



سنواتٍ عديدة والذى أسمته (سعد) حسب رغبة أبيها وحملته مباشرة له ووضعه بحجره في محاولة يائسة لإدخال بعض البهجة والسرور على قلبه لكنها صدمت بردة فعله الباردة تجاه حفيده وحالة التوهان التي كان يعيشها والتي وصلت لحد الخرف والتصرف كالأطفال.

(هند) بحزن وهي تأخذ صغيرها من حجر والدها التائب: المرض يجعلك تذوي وتذوب للشيء ذاته الذي بدأت منه..

(معناد): ما بك يا (هنان).. ألم تسأمي من الحزن؟

(هند) ودمعة تباغتها: هو من يتمسك بي ولا يتوقف عن عناقني يا أبي..

(معناد) ماسحًا على رأس ابنته: تعرفين أنِّي أحبك ولا أطيق رؤية الحزن في عينيك

(هند): وأعدك بأنك لن تراه مرة أخرى..

(معناد): عِدِيني فقط يا (هنان) بأن تكوني كغيوم السماء لا تتغير لكنها متتجدة كل يوم لا يمل من ينظر إليها أبدًا..

كان (معناد) يهذي باسم (هنان) دومًا ويراهَا في بناته وينادي عليها



في يقظته ومنامه لذا قررت (هند) يوماً ترك المنزل والسفر عائدة لـ «معين» بحثاً عنها.

(حميدة): هل جنتِ يا ابنة (معناد)؟!.. تبحثين عن ماذا؟!.. أختك ماتت!

(هند) وهي تصر بعض الحاجيات في قطعة من القماش: يجب أن أعرف مصيرها سواء كانت حية أو ميتة

(حميدة) وقد بدأت بالبكاء: لقد قتلها الحكيم وذلك الساحر!.. عن أي مصير تتحدثين؟!

(هند): أنا لا أصدق ذلك.. لدى إحساس بأنها لا تزال على قيد الحياة

(حميدة) صارخة فيها: لقد ماتت!.. ماتت!

(هند) تشد عقدة الصرة القماشية دون أن تلتفت إلى أمها: حتى وإن ماتت.. أريد رؤية جثتها

(حميدة) ودموعها تنهر: ماذا عن ابنك وزوجك؟!.. هل ستهرجينهما؟!.. هل ستضحي بسعادتك معهما بكل هذه البساطة؟

(هند) حاملة الصرة على كتفها: السعادة لا تبدأ أو تنتهي عند أشخاص

لكنها قد تزدهر أو تذبل بسبب أحد هم.. وأنا لم أكن سعيدة يوماً فقط معه.. أبني سيكون عندك وزوجي لن يهنا بي ما دمت أحمل همّاً في قلبي

(حميدة): أنا لست راضية بها سوف تقومين به!

(هند) مقبلة رأس أمها: اعتنى بأبي حتى أعود

دخلت (هند) على أبيها وقبلت يديه وقالت: سوف آتي لك بخبرها يا أبي

(معناد) ماسحًا على رأسها: أين كنت يا (هنان)?.. لم تخرجين على الدوام؟

ابتسمت (هند) بحزن ونهضت من أمام أبيها وتوجهت لغرفتها حيث كان زوجها نائماً فأيقظته وأخبرته عن نيتها بالرحيل فقال وهو مستلقٍ على فراشه: «لن أمنعك من الرحيل لكن بعد عودتك سوف آخذ أبني وأرحل أنا..»

(هند): ولم لا ترحل الآن؟

(قير): لن أحررك من رؤيتك للمرة الأخيرة

لم ترد (هند) عليه وخرجت من المنزل متوجهة لـ «معين» بعد ما امتطت إحدى الدواب في فناء منزههم..

المسافة بين المدينة التي انتقلوا إليها و «معين» كانت طويلة وتقدر بمسيرة أسبوعين قطعت (هند) ثلاثة أيام منها قبل أن تصل لقرية صغيرة مجاورة لجبل كبير قررت التوقف عندها للتزوّد بالماء والزاد. ترجلت من على ظهر جوادها عند بئرة متهالكة لتسقي دابتها وتملاً قربتها وخلال ذلك اقترب منها رجل بدت عليه ملامح الفقر وقال لها: من أي أرضٍ أتيتِ يا امرأة؟

تجاهلت (هند) الرجل وسُؤاله وأكملت ما كانت تقوم به بصمت..
تبسم الرجل وعاود الحديث معها قائلاً: لا تحقرني من يريد تقديم العون لك..

(هند) وهي تسقي دابتها دون أن تلتفت إليه: لا حاجة لي عندك أيها الرجل.. ارحل في الحال..

(الرجل): الشمس ستغيب بعد سويعات.. لا تسيري خارج قريتنا ليلاً

(هند) واضعة القربة الممتلئة على ظهر جوادها: لا شأن لك بما أقوم به
(الرجل): قدمت نصيحتي وأنا برأي ما سيحدث لك بعدها



(هند) ملتفة إليه بتجهم: هل تهددن أيها المنيوذ؟!

(الرجل) مبتسمًا وهو يهم بالرحيل: إلى اللقاء يا ابنة العرب..

شدت (هند) وثاق قربة الماء وصعدت على ظهر الجواد وبدأت بالسير خروجاً من القرية الصغيرة. بعد ابعادها عن حدود القرية بساعة لاحت مجموعة من النخيل المثمرة فتوقفت وترجلت عن دابتها وسارت نحوها للتزوّد بالطعام. صعدت النخلة وتناولت بعض البلح وهي لا تزال فوق النخلة ثم قطعت بخنجر كان معها عذقاً سقط على الأرض بجانب الجواد وهمت بالنزول ومع نزولها انزلت معها الشمس في الأفق. مدت (هند) بعض الثمار الناضجة عند فم الجواد وهي تقول: «تناول هذه...»

في تلك اللحظة التف حبل حول عنقها وسحبها بقوة للخلف لتجد نفسها مربوطة بجذع النخلة ومجموعة من الرجال يحيطون بها ضاحكين. صرخت فيهم لتحريرها لكنهم لم يلقوا لها بالاً وبدأوا بتفتيش وتقليل حاجياتها على ظهر الجواد.

(هند) صارخة فيهم: ماذا تريدون؟!



رفع أحد الرجال رأس سيفه عند وجهها ومرر رأسه على خدتها قائلاً:

ستكون ليلة طويلة.. لا تهدري طاقتكم بالصرخ من الآن

أشعل الرجال البالغ عددهم سبعة ناراً عند الشجرة وجلسوا يتسامرون و(هند) مربوطة بجانبهم عند جذع النخلة تنتظر مصيرها. بعد ساعتين استقر الليل ونهض أحدهم من أمام النار وسار نحوها ممسكاً سيفه وصاحبه من خلفه يقول ضاحكاً: ألن تنتظرون وصول البقية؟

الرجل وهو مستمر بالسير نحوها بأعين تأجج لهفة: القطاf الأول سيكون لي..

أدركت (هند) ما كان ينوي الرجل القيام به فبدأت تدفع جسدها بقوة محاولة تحرير نفسها لكن كل ذلك كان سدى. وصل الرجل ووقف أمامها ومد يده وقبض على عنقها وضغط بقوة حابساً أنفاسها وهو يقول: لم أرَ جمالاً كهذا من قبل..

بصقت (هند) في وجهه بالرغم من شعورها بالاختناق لكن ذلك لم يشنِ الرجل عن صفعها عدة صفعات والبدء بتمزيق ملابسها وسط ضحكات رفاقه المراقبين لما يحدث وهم مجتمعون حول النار.



قضت (هند) ليلة عصبية مع خاطفيها فقدت خلالها الكثير وآخر ما فقدته كان وعيها ولم تستيقظ إلا بعد شروق الشمس لترى أن الجميع قد رحلوا آخذين معهم جوادها تاركها مربوطة تنزف من عدة جروح ألحقوها بها. اشتدت حرارة الشمس مع مرور الوقت وبالرغم من أن النخلة وفرت لها بعض الظل إلا أن العطش تمكن منها في اليوم الثالث من بقائها على تلك الحالة لتدخل في حالة من الهلوسة. قبل أن تنزلق في هاوية الهايا رأت في الأفق خيال رجل يسير نحوها ومع اقترابه منها تعرفت عليه وتذكرت ملامحه فقد كان من حدثها عند البئرة وحضرها من الخروج خارج القرية ليلاً. وصل الرجل عندها وبقى يحدق فيها بصمت.

(هند) برأس متروح وكلمات متقطعة: هل أتيت لتشمت بي؟

(الرجل): المنطقة مليئة بالوحش المفترسة وبالرغم من رائحة الدم التي تفوح من جراحك النازفة إلا أنه لم يقترب أي منها منك..

(هند) وهي في حالة يرثى لها: يكفي الحيوانات التي افترستني (الرجل) متأملاً جسدها المتنهك: ولا حتى ذبابة واحدة حطت عليك..



(هند) بالعة ريقها الجاف وبأعين زائفة: إذا كنت تنوی التعرض لي
مثلهم فاقتلي قبلها
(الرجل) مدیراً نظره خلفه: أريد القيام بشيء آخر لكنني أحتاج إذنك
قبلها

(هند) بتهمكم: منذ متى يستاذن الذئب من الشاة؟
(الرجل): هل ترين نفسك كذلك يا (هند).. شاة ضعيفة؟
(هند): كيف تعرف اسمي؟.. من أرسلك؟
(الرجل): سأمنحك فرصة للحياة.. ليس هذا فقط.. بل سأحقق لك
كل ما تصيبين إليه لكن بشرط
(هند): أخبرتك سابقاً.. لا أريد منك شيئاً..

(الرجل): حتى معرفة مصير أختك؟
انتفضت (هند) فجأة وصرخت بالرجل قائلة: ماذا تعرف عنها؟!..
هل أنت ورفاقك من ألحقوا بها الأذى؟!

(الرجل): أنا (خومج).. «مستسق» وأعمل لمصلحة مجموعة مهتمة
بمن هم مثلك
(هند): تقصد نخاساً يبحث عن العبيد



(خومج): أنتِ تملkin شيئاً نريده ونحن نملك أشياء كثيرة تريدينها..

سنقايضك

(هند) وقد بدأت تفقد تركيزها: اغرب عن وجهي

حل (خومج) وثاق (هند) لتسقط بوجهها على الأرض بفم وأعين
مفتوحة..

(خومج) وهو يدفع قطعة لحم نيئة في فمها المفتوح: ستة اثلين للشفاء..
كبد الثعل سيرمم ما هدم..

لفضت (هند) القطعة واللعاب يسيل من فمها وهي لا تزال مستلقية
على بطنهما: لا أريد منك شيئاً..

أغمضت بعد ذلك عينيها وغطت في نوم عميق..

استيقظت (هند) بعد فقدانها للوعي لفترة غير معلومة لها التجدد نفسها
على فراش متواضع بالقرب من نار صغيرة مشتعلة بمنزل صغير في
تلك القرية عند الجبل الأسود. نهضت ببطء متحسسة جسدها الذي
خلال من أي إصابة حدثة وجميع جروحها شبه التآمت وخلال تعجبها
من حالها دخل عليها الرجل الذي عرف بنفسه سابقاً بـ (خومج)



وقال لها مبتسمًا: استيقظت أخيراً..

(هند) متوجهة لرؤيتها: أريد أن أرحل في الحال!

(خومج): أنتِ لستِ أسيرة عندي ويمكنك الرحيل بأي وقت لكنني
أريد ردًا قبلها

(هند) بعبوس: ردًا على ماذا؟!

(خومج): على المقابلة

(هند) وهي مشتتة الذهن: عن ماذا تتحدث؟!

(خومج): أخبرتك قبل أن تفقدي الوعي بأني تابع لطائفة مهتمة لمن
هم مثلك

(هند): ماذا تقصد بمثلي؟

(خومج): بعضنا يولد بطاقة خاصة تتوجه لأسباب مختلفة وأنتِ
تملkin طاقة لم أرّها من قبل ومن واجبي أن أحاروL تجنيدك لمصلحتنا
لكن ذلك لن يكون بلا مقابل ومقابل مجزٍ

(هند): مازلت لا أفهم عمَّ تتحدث

(خومج): فقط امنحيني فرصة لتحريرها لكِ وسترين ما أعني



(هند): لقد قلت بأنكم تستطيعون منحي أي شيء أريد أليس كذلك؟

(خومج): بلى أي شيء.. البعض يتم تجنيده بالقوة والإجبار والبعض الآخر بالتفاهم وأنا اخترت أن يكون الأمر معك بالتراصي

(هند): لم؟

(خومج): لأنني لا أظن أنني أستطيع إجبارك على شيء لا تريديننه ولست مقتنعة به ولو أوكلت المهمة لمن هم أعلى مني في الطائفة فسوف يتبعون أساليب مقيدة معك يا أخي وأنا لا أريد أن تتعرضي لذلك فهم إن لم يحصلوا على ما يريدون يتحولوا المجموعة من الأوغاد

(هند): اتركني أرحل في حال سبيلي إذاً

(خومج): صدقيني أني أريد لك الخير.. فقط امنحيني الفرصة

(هند): وماذا تريدين مني القيام به؟

(خومج): لا شيء سوى الاستلقاء وأنا سأهتم بالبقية.. طاقتكم قوية جداً وتفعيلها لن يحتاج مجهدًا كبيراً خاصةً بعد ما مررت به قبل أيام

استلقت (هند) على الفراش وهي مرتبة وفي حيرة مما كان يحدث وما أن أستدلت رأسها على الوسادة حتى وضع (خومج) كفه على جبينها

وطلب منها إغراض عينيها ففعلت. بدأ الرجل بقراءة بعض العبارات
ثم رفع كفه وصمت لثوانٍ أحسست بعدها (هند) بلسعة حارقة في قاع
قدمها فصرخت مفروعة لترى (خومج) ممسكاً بسيخ حديدي ملتهب
 عند أقدامها فقالت له بغضب: ماذا تفعل أيتها المجنون؟!

(خومج) مبتسمًا: لقد تم الأمر.. أستطيع رؤية ذلك في عينيك
(هند) بعصبية: رؤية ماذا أيتها المعتوه؟!
(خومج) وهو مدھوش: الطائفة ستبره بك بلا شك ولا أستبعد أن
ينصبوك بين الكهنة
(هند) متفحصة قاع قدمها بتجمهم: أي جنون تعاني منه لتفعل ما
فعلت؟

(خومج) معيناً السيخ للنار المشتعلة في الغرفة: اسمعني يا أخي..
لدينا أيام معدودة قبل أن يصل من سيقومون بتجنيدك وحتى يحين
الوقت يجب أن تتقني استخدام قوتك الجديدة
(هند): تجنيدي؟

خلال اليومين التاليين قام (خومج) بشرح كل شيء يتعلق بالطائفة
الجنتية لـ (هند) ولقنه أساسيات استخدام قدراتها الجديدة وكانت



متعجبة لتمكنها من تحريك الجوامد والتحكم بها بحركة بسيطة من أنا ملها.

(خومج) مبتسماً برضاء: أنتِ جاهزة الآن للمرحلة الثانية
(هند): وما هي المرحلة الثانية؟

(خومج): بعد أن يقبلك الأسياد سوف يأخذونك لجبل الملح
لتعليمك استخدام طاقتكم لأقصى درجة ممكنة وسوف أحصل أنا على
مكافأتي

(هند): ماذا عن المقابلة التي تحدثت عنها؟.. أريد معرفة ما حل
بأختي

(خومج): سيتحققون لك كل ما تريدين عندما يرون طاقتكم الاستثنائية
لكن تذكري أن لا تعاهمهم على شيء قبل أن تحصل على مبتغاك لأنك
بعدها ستكونين ملكهم للأبد

(هند): ملكهم؟.. لن أكون عبدة لأحد

(خومج): حررتكم ستكون المقابل لأي شيء تطلبينه يا أختي

(هند): وإذا رفضت؟



(خومج): لن تسمح لك الطائفة بذلك ولن يرحلوا قبل التخلص منك لكن أرجو بحق أن لا ترفضي

(هند): لم أشعر بأن الأمر بالنسبة لك شخصي وليس مجرد عمل عابر؟

(خومج): هل تريدين الحقيقة؟

(هند): ولا غيرها..

(خومج): هؤلاء القوم بالرغم من أنهم يدعون أنهم يعاملون أفراد الطائفة بمبدأ العدل والمساواة إلا أنهم لا يستطيعون إخفاء حقيقة تحقيتهم لنا كعرب وأننا لا نملك المؤهلات لنكون جزءاً منهم

(هند): أنت جزء من هذه الطائفة وأنت عربي

(خومج) مبتسمًا بحرقة: «المستسقون» لا يعتبرون من المراتب العليا.. كنت أقصد الانضمام لجامعة «القتلة» أو «الكهنة».. كثير منا حاولوا جاهدين الانضمام لتلك المجموعات لكن عنصرية هم الجلية في التعامل معنا كانت واضحة كالشمس المشرقة في وضح النهار.. يتعاملون معنا دوماً بازدراء منها قدمنا لهم وأقصى ما وصل إليه المتنترون العرب هو قتلة يحصلون نجوماً لا تتعدي الخمس حتى وإن استحقوا أكثر من ذلك



(هند): ولم تتحملون هذه المهانة؟

(خومج): الدخول للطائفة مغِّر في البداية لكن وبعد أن نكتشف حقيقة تعاملهم معنا كعرب يكون الوقت قد فات على الانسحاب

(هند): كلامك هذا يتناقض مع دعوتك لي بالانضمام إليهم
(خومج): على العكس تماماً.. كل عربي قمت بتجنيده للطائفة تم تهميشه منها بلغت قدراته لكن أنت لن يستطيعوا تجاهل طاقتكم وستصلين لراتب عليا بلا شك وستكونين صوتنا المسروق ونصيره لنا

(هند): أنت تبني على أمالاً كبيرة لا أظن أني مستعدة لها.. أنا أريد معرفة ما حل بأختي فقط ولست مستعدة لدخول عالمكم هذا

(خومج): أرجوك يا أختي.. كوني سفيرتنا في «جبال الملحق».. لقد سئمنا الإذلال منهم

صمنت (هند) لثوانٍ وهي ترى في أعين (خومج) نظرات التوسل ثم قالت: متى سيصلون؟

(خومج) مبتهجاً: قريباً!.. قريباً جداً!

فجر ذلك اليوم وخلال نوم (هند) في المنزل الصغير أحست بالجدار



حوها وهي تهتز فنهضت على عجلة لترى نوراً قوياً يتوهج من أسفل الباب وسمعت صوت (خومج) وهو يتحدث بالخارج بلغة لم تألفها مع ما بدا أنهم مجموعة من الأشخاص. لم تخرج وبقيت مكانها تنصت لذلك الحوار الذي احتمم وأخذ نبرة مشحونة فيما يبدو. بعد دقائق دخل عليها (خومج) بوجه محبط وقال: «الأسيداد ينتظرونك بالخارج...»

(هند): ما بك؟.. لم أنت مسناه هكذا؟

(خومج) ماسحاً دمعة بظهر يده: لا شيء.. اخرجي لهم فقط

(هند): لن أخرج قبل أن تخبرني

(خومج): لقد عاتبوني لأنني فعلت هالتك دون إذنهم وحرموني مكافأة تجنيدك

(هند): هم لم يروني كي يجنديوني بعد

(خومج): طاقتك يا أختي من القوة بحيث يمكنهم أن يحسوا بها من الخارج وهم مسرورون بها لكنهم وكعادتهم يهضمون حقوقنا في الارقاء بالطائفية



(خومج) بتوتر: يقول بأنه سيتحقق لك كل ما تريدين

(هند): مَاذَا يَتَظَرِّ إِذَاً؟ .. فَلِيُخْبُرْنِي

(ذو الأعين الحمراء) بعربية ركيبة: يجب أن ترحل معنا أولاً كي

تقابلي السيد الكبير

(هند): لَنْ أَرْحَلْ مَعَكُمْ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مَا حَلَّ بِأَخْتِي

(ذو الأعين الخضراء): «أَنْ رَا بَا زُورْ بِيَاوَرِيد ..»

(خومج) للمتنور ذي الأعين الخضراء بقلق شديد: «نَهْ! .. نِيَازِي

نِيَسْتْ بِنَابِرَائِينْ مِنْ بَا او صَحْبَتْ خَواهِمْ كَرْد!»

لم يلق المتنور ذو الأعين الخضراء بالاً لكلام (خومج) وأشار بيده

للمتنور الآخر بالهجوم على (هند) فاندفع نحوها جرياً قابضاً على يده

التي اشتعلت بنار زرقاء وقبل أن يضر بها رفعت كفيها أمامه كردة فعل

عفوية لحماية وجهها فخرج من بينهما وهج قوي أحرق المتنور وحوله

لسحابة من الرماد.

صرخ المتنور ذو الأعين الخضراء مفجوعاً مما رأه قائلاً: «شَهَا أَنْ رَا

بِپِرْدَازِيدْ عَرَب!!»



سقط (خومج) صريعاً على الأرض فرمى المتنور قلبه الذي كان لا يزال ينبض بجانبه قبل أن يهم بالرحيل ..

قبض المتنور ذو الأعين الخضراء يديه ومدهما أمامه كي ينتقل من المكان لكن وقبل أن يفعل انفجرت الأرض من خلفه لخرج (هند) وبحركة خاطفة قسمته من خاصرته إلى نصفين. وقفـت بعدها تنفس بتسارع وهي تعود تدريجياً لحالتها الطبيعية لترى خلفها جثة (خومج).

رفعت بعدها كفوفها الدامية أمام ناظريها وقالـت وهي مهزوزة: «ما الذي يحدث لي؟..؟»

أمضت (هند) الساعات التي تلت مواجهتها مع المتنورين في منزل (خومج) جالسة على الأرض مستندة ظهرها للجدار سارحة بالسقف مذهولة مما جرى وخلال سرحتها سمعت الباب يطرق بطرقـات خفيفة قطعت سرحتها ودفعتها للنهوض بسرعة والوقف أمامه دون أن تفتحـه لتسمع صوتاً يحدثها من خلفه قائلاً: «هل يمكنني الدخول؟»

(هند) بصوت مرتبك ومتوجـس: من أنت؟

- مجرد شخص ي يريد الحديث معك بهدوء

(هند): تحدث أنا منصتاً..

- لن أتحدث مع قطعة من الخشب.. إما أن أدخل أو تخرجني

صمتت (هند) متفكرة قليلاً ثم قالت: ادخل أنت

تحركت درفة الباب ببطء محدثة صريراً حاداً بينما أخذت (هند) بضع خطوات للوراء متأنية لأي مفاجأة لترى رجلاً يلبس وشاحاً أبيض وذا شعر أشقر بأعين زرقاء كلون البحر يدخل عليها مبتسمًا ويقول:

«لقد أحدثت فوضى عارمة بالخارج..»

(هند) بتوجههم: أنت منهم!.. ماذا تريدون مني؟!

- هدئي من روحك.. أنا (روشنبي) وقد أتيت للحديث معك فقط

(هند): إن كنت تريدين أن تقتصر لأصحابك فلتتعلم أنهم هم من هاجموني وليس العكس!

(روشنبي) رافعاً بكفه ما تدلّى من وشاحه على كتفه: لا يهمني أمرهم..

ما يهمني هو أنت وما يمكن أن تقدميه لنا



(هند): لقد أخبرني (خومج) عنكم وعن طائفتكم وما رأيته حتى الآن

كفيك بأن يجعلني أرفض أن أكون جزءاً منكم

(روشنى): ما حدث كان سوء فهم بسيطاً وقصيراً غير مغتفر من

رسلنا وفيما يبدو أنهم دفعوا ثمن ذلك وانتهى الأمر.. لنتحدث في

المستقبل

(هند): أنا لا أعرف ما يحدث لي ولا أستطيع السيطرة على نفسي

(روشنى): هذا أمر طبيعي مع الحالات المتفجرة.. أعطينا الفرصة

لنقوم بصقل موهبتك النادرة

(هند): أخبرني (خومج) بأنكم تستطيعون منحي أي شيء

(روشنى): إلى حدّ ما نعم.. ماذا تريدين مقابل انسحابك إلينا؟

(هند): لدى أخت.. انقطعت أخبارها منذ مدة طويلة.. أريد معرفة

مصيرها

(روشنى): هل تملkin أي أثر لها؟

(هند): لا شيء سوى الأثر المحفور في قلبي فقط..



(روشنی): سنصل لمبتغاك لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت لكنني
أعدك بأننا سنجعل لك طلبك

(هند): كم من الوقت؟.. أيام؟.. أشهر؟.. سنوات؟

(روشنی): الوقت اللازم لإعدادك لتكوني مؤهلة للتصنيف

(هند): أخبرتك بأني لن أنضم إليكم قبل أن أعرف مصير اختي
(روشنی) مبتسماً: هذه أول مرة أكون أنا من يحاول إقناع شخص
بالانضمام إلينا وليس العكس.. على أي حال.. لن تصبحي جزءاً من
الطائفة إلى أن تباعي السيد الكبير على الولاء وهذا لن يحدث قبل أن
تحتازي فترة من التأهيل في «جبال الملحق»

(هند) بتساؤل: وأين تقع «جبال الملحق»؟

(روشنی): غرب «فارس».. سترحلين معى وتمضين عدة أشهر هناك
بين الكهنة ليقيموا قدراتك وفترة أخرى مع فرقة القتلة لتحصلي على
التدريب اللازم بعدها نقرر درجة تصنيفك.. وقبل أن تسألى.. لن
نلزمك بشيء حتى يصلك الخبر اليقين عن مصير اختك.. ما قولك؟

(هند): موافقة.. لكنْ لدى سؤال



(روشني): أسألي ما تشاهين

(هند): كم عربياً ينتمي لطائفتكم وتحديداً في فرقة الكهنة والقتلة؟

(روشني): نحن لا ننظر في الطائفة لأعراقنا بل لقدراتنا.. جمیعننا سواء

تحت ظل السيد الكبير

(هند): وكم منا نحن العرب تحت هذا الظل؟

(روشني) رافعاً نظره للأعلى مستذكرةً: أعتقدك أنك الأولى لكن هذا
لا يعني..

(هند) مقاطعة: لا تبرر شيئاً.. متى سنرحل لـ «جبال الملح»؟

المتنورون لم يكونوا يملكون قدرة للتنقل بمجموعات مثل قدرات السحرة في استخدام طلاسم الانتقال بل كانت قدراتهم محصورة في نقل أنفسهم فقط لذا عندما كانوا يرغبون في نقل أحد من مكان لآخر يستعينون بالسحر بالرغم من أن ذلك كان حرماً بالطائفة لأنه يتنافى مع جميع مبادئهم وعقوبته تصل إلى حد الموت لكن (روشني) والذي ملك بعض علوم السحر كان من المستثنين من هذا التحريم كحال جميع الكهنة والوزراء. وصلت (هند) مع الوزير (روشني) لجبال الملح



بعد ما انتقالا بطلسم الانتقال وما أن حطت أقدامهما على سفح أحد جباله الباردة حتى قالت العربية المغتربة وهي تشاهد الجبال البيضاء تحيط بها: «لم أر مكاناً كهذا من قبل..»

(روشنی) متقدماً نحو بوابة حجرية كبيرة: وسترين أشياء أخرى أكثر إبهاراً يا.. ما اسمك بالمناسبة؟

(هند): .. (هند)..

(روشنی) فاركاً سبابته بإيهامه: اسم جميل.. يحمل لحناً خفيفاً.. معناه بالفارسية «الفتاة القوية والصبور».. هل أنت كذلك؟

(هند): لست فارسية.. أحمل الاسم بمعناه العربي

(روشنی): وأي معنى هذا؟

(هند): مائة من الإبل..

(روشنی): وما المميز في ذلك؟

(هند): بالنسبة لك لا شيء ربما لكن للعرب ناقة واحدة قد تكون الفارق بين الحياة والموت

(روشنی) مبتسمًا: يجب أن أنهل من علوم العرب أكثر



(هند): أنت تجيد لغتنا بشكل جيد..

(روشنی): وخمس لغات غيرها.. اللغة مفتاح العلوم

(هند): وكيف سأتفاهم مع أفراد قبيلتكم وأنا لا أجيد لغتكم؟

(روشنی) مبتسئاً: طائفة وليس قبيلة.. لن تحتاجي إجادة أي لغة

فجميع الكهنة يجيدون العربية وكذلك (فایو)

(هند): (فایو) من؟

(روشنی): من سيتولى تدريبك على القتال بعد أن يتلهي الكهنة من

تقييمك

(هند): وأختي؟

(روشنی): سأبدأ بنشر رسالنا منذ اليوم في أقصى الأرض لتعقب

أخبارها.. ما اسمها؟

(هند): .. (هنان).. اسمها (هنان)..



حلف الدم

سلم الوزير (روشنبي) المرأة العربية التي أحضرها معه لكبير الكهنة (آغ) وأخبره بأنها تحمل طاقة استثنائية ويريد منه تقييمها قبل أن يتم تحويلها إلى (فايو) ليعدها لتصبح ضمن مجموعة القتلة التابعين للطائفة لكن وبعد أسبوع واحد فقط من بقائها في كهوف الكهنة تلقت فيه جميع أنواع الاختبارات الالزمة لتحديد مدى قوة طاقتها دخل (آغ) على (روشنبي) في قصره الرخامي بأحد الجبال التابعة لمقر الطائفة خلال اجتماعه مع بعض مساعديه وقال له: «أريد الحديث معك وحدنا..»

أشار (روشنبي) لمن كانوا معه بالانصراف وبعد رحيلهم تقدم (آغ) وجلس على قطعة رخامية مصقوله معدة لاستقبال الضيوف وقال: من أين أتيت بهذه العربية؟



(روشنی): مثل غيرها.. وجدها أحد المستسقين في «عربستان»
وتواصل معنا يطلب تقييمها للانضمام للطائفة.. لم تسأل؟.. ما الأمر؟

(آغ) بخليط من الحيرة والتوتر: هذه العربية غير طبيعية

(روشنی) مبتسماً: ومنذ متى نجند الطبيعيين؟.. أليس هذا الغرض من
الاستسقاء؟

(آغ) بجدية: أنت لا تفهم.. طاقتها خارجة عن المألوف.. وهناك من
فعلها قبلنا وزاد الأمر سوءاً

(روشنی): طاقتها مفعلة؟.. من قام بذلك؟.. هذا أحد أسرار الطائفة
ولا يجيده أحد سوى أتباعنا

(آغ): هذا ليس أسوأ ما في الموضوع..

(روشنی): ماذا إذا؟

(آغ): العربية عندما أحضرتها لي وأخبرتني بما فعلته بـ (مايكوس)
و(نترب) عندما هاجماها استنتجت أنها تملك طاقة توالي طاقة قاتل
من الرتبة العاشرة أو الثانية عشرة على أقصى تقدير

(روشنی): إذاً فهي تملك رتبة أعلى.. ما المشكلة؟

(آغ) بنظرة قلقة: لا يوجد عدد من النجوم يمكنه أن يصنف تلك

(روشنی) مشارکاً كبير الكهنة قلقه: وماذا تقترح أن نفعل؟

(آغ): أكره التفريط بمثل هذه الطاقة لكنها ستتشكل خطراً علينا ولن نستطيع السيطرة عليها لو تمردت خاصة وأنها من عرق غريب عن أرضنا وتاريخنا مع شعبها ملوث بالصراعات.. لا أرى خياراً أمامنا سوى التخلص منها

(روشنی): ستقتلها؟!

(آغ): بالطبع لن نستطيع قتلها في مواجهة لذا سنستغل ثقتها الحالية بنا وسندرس لها السبب وبذلك تنتهي المشكلة

(روشنی) يقف ويقول بغضب: لا!.. لا بد وأن هناك طريقة أخرى!

(آغ): طريقة أخرى لقتلها؟

(روشنی) بعصبية: انسَ موضوع قتلها!.. كيف تفرط بكثير ثمين كهذا؟!

(آغ): صدقني أنها ستكون لعنة علينا في يوم ما.. لنستغل الفرصة الآن ونخلص منها

(روشنی): اسمع.. أنا لدى اقتراح أفضل

(آغ): أنا منصت..

(روشنی): نحوها لـ (فایو) ونھیئھا تكون ضمن فريق القتلة ونعيدها
لأرضھا لتعمل لمصلحتنا من هناك وبذلك نأمن شرھا

(آغ): لا أعرف..

(روشنی): صدقني هذا هو الخيار الأمثل
(آغ): الخيار الأمثل هو أن نقل كل هذا الحديث للسيد الكبير وهو
من يقرر ما نفعل

(روشنی): موافق

نقل الوزیران قلقھما للسيد الكبير وشرح كل منها وجهة نظره فمن
ناحية أصر (آغ) على أن تصفیة (ھند) والتخلص منها هو الحل الآمن
ومن جهة أخرى طالب (روشنی) بإعطائھا فرصة لإثبات وجودھا
وولائھا وفائدةھا للطائفة.

(السيد الكبير): قبل أن أعطيكما قراری يجب أن تعلموا أن هذه العربية
مھما بلغت من القوة فهي لن تضاهيھي ولن تستطيع يوماً الخروج عن
سيطرتنا هل تفهم ذلك يا (آغ)?



(آغ) بتوتر: بالطبع يا صاحب العظمة فلم يساورني الشك في ذلك أبداً
لكن..

(السيد الكبير) مقاطعاً: سوف تحال لـ (فایو) وفي حال اجتيازها
مرحلة التدريب وتصنيفها ستؤدي قسم الولاء لي وتعاد لأرضها
القاحلة لتنفذ مهامنا من هناك.. مفهوم؟

حتى الاثنين رؤوسهما وقالا بصوت واحد: أمرك..

بعد ما خرج الوزيران من مقر قائدتهم الكبير قال (روشني): أرسلها
لي قبل أن تسلمهما لـ (فایو)

(آغ): لم تعد العربية من ضمن مسؤولياتك والسيد الكبير تعليماً أنه
كانت واضحة

(روشني): لا تنسَ أن ثمن مبايعتها لنا معنـي ولن تكون جزءاً من
الطائفة دوني

(آغ): سأرسلها لك.. وتذكر كلامي جيداً في اليوم الذي تنقلب فيه
تلك العربية علينا

(روشني): لا تقلق.. حتى وإن فعلت فسنكون مستعدين
بعد ساعة من هذا الاجتماع دخلت (هند) على (روشني) في مقره وهي

تلبس ملابسَ غريبة. كانت تلبس رداءً أسودَ التف على كامل جسدها ووشاحاً أحمرَ حول عنقها فقال (روشنبي) مبتسماً: تبدين مختلفة عن آخر مرة التقينا فيها..

(هند): هؤلاء الكهنة غريبو الأطوار.. كانوا يعاملونني وكأنني مصابة بالجرب

(روشنبي) ضاحكاً: ماذا تقصدين؟

(هند): طيلة المدة التي قضيتها معهم كانوا يقتربون مني حد الالتصاق لكنهم لا يلمسونني.. يشتمونني وينفثون عليّ ويتسمتون في أذني بكلمات غير مفهومة وأشياء غريبة أخرى وجدتها ضرباً من الجنون

(روشنبي): هذه هي طريقة تم في تقييم طاقتكم

(هند): وهل انتهوا؟

(روشنبي): نعم.. وقد قررنا أنك ستنضممن لفريق القتلة ومنذ اليوم ستكونين تابعة للسيد (فايو) وهو من سيقوم بتعليمك كل ما تحتاجينه في هذا المجال من استخدام طاقتكم للدفاع والهجوم وكذلك التعامل مع الرسل وترجمة رسائلهم

(هند): ماذا حل بخبر أختي؟

(روشني): مازلنا نبحث.. لا تقلقي سنجد أثرها وسنعرف ما حل بها
سواء كانت حية أو ميتة

(هند): أختي ميتة.. أنا متيقنة من ذلك

(روشني): ما الذي تريدين معرفته إذاً؟

(هند): مكان رفاتها.. وكذلك من قتلها؟.. هل تظن أنني سأسمح له
بأن يبقى على قيد الحياة؟

(روشني): لو احتجت مساعدة في هذا الأمر ف فقط أخبريني وسنزودك
بأي عدد تحتاجينه من القتلة ليعاونوك بالأخذ بثأر أختك

(هند): أحتج فقط أن توجه سباتك نحو القاتل..

(روشني): أسباع معدودة وستكون المعلومة بين يدي.. انصر في الآن
لتبدئي تدريبك

أمضت (هند) ثلاثة أشهر مع الوزير (فايو) تلقت فيها جميع أسرار
الطائفة في فنون القتل والاغتيال واستخدام الطاقات الكامنة وكان
زعيم القتلة مبهوراً بقدراتها حد القلق فهو لم ير أحداً بهذه القدرات
من قبل لدرجة أنه كان يتحاشى الصدام معها أمام بقية المقاتلين خلال



هتف جميع المقاتلين والمقاتلات حماساً ليرفع (فايو) كفه للأعلى
صارخاً: لنبدأ!

اشتبك الاثنان في قتال يدوي في بادئ الأمر وكان القتال محموماً منذ اللحظات الأولى وبالرغم من قدرات (هند) إلا أن (فايو) لم يكن لقمة سائعة لها وملك من الخبرة والمهارة ما مكنته من دحرها عدة مرات حتى قررت أن تستخدم أول ضربة مستعينة بطاقةها المتفجرة. قبضت (هند) بيديها على غرة شعرها وتحولت لكرة من اللهب الأحمر مندفعه بسرعة نحو (فايو) الذي بالكاد تحاشاها ليغرس أنامله في الأرض الصخرية أسفل منه مقتلعاً حجراً كبيراً متجمداً رماه نحوها لكن الحجر تفت لأحجار صغيرة ما أنلامس جسد (هند) التي بدأت بالتصفيق بشكل متسرع محدثة عدة زوابع أحاطت بـ(فايو) وهاجته تباعاً لتفقده توازنه وتسقطه أرضاً وسط ذهول القتلة المتفرجين على النزال.

من على قمة جبل بعيد أعلى من الجبل الذي دار عليه النزال كان (روشني) و(آغ) يراقبان حلقة الصراع ويتحاوران فيما بينهما.
(آغ) ونظره على القتال الدائر من بعيد: كيف ترى أداء العربية؟



(روشنی) وهو يشاركه النظر: إنها لا تقدم كل ما في جعبتها احتراماً
لسيادة (فایو)

(آغ) يهز رأسه موافقاً: نعم صحيح.. يبدو أنها تملك بعض الحكمة
وليس مجرد القوة

(روشنی): سوف تخسر التزال باختيارها.. الفتاة ذكية
(آغ): وهذا الأمر يزيدني قلقاً..

(روشنی): لقد حصلنا اليوم على الأخبار التي طلبتها العربية
(آغ): تقصد مصير اختها؟

(روشنی): نعم..

(آغ): أخبار مفرحة لك إذاً.. تستطيع الآن إنعام تجنيدها

(روشنی): لم أفرح كثيراً.. قتلتها من الفرس.. أحد كبار السحراء في
تحت سليمان سابقاً.. ساحرة كانت تدعى (جهنم) وأمير من أمراء
الجن الأزرق كان المنفذ

(آغ): يبدو أن اختها كانت قوية مثلها..

(روشنی): كانت مجرد ساحرة بسيطة سخرت مجموعة من الشياطين
لمساعدتها



(آغ): السحرة أعداء أزليون لنا وعلى الأخص سحرة تخت سليمان..

هل تظن أنها ستحاول الثأر منهم؟

(روشني) وهو يهم بالرحيل: سنرى ماذا تقرر بعد تلقيها الخبر

في تلك الأثناء بدأت قوى (فايو) بالتضعضع أمام ضربات (هند) المتتالية والتي كانت وبالرغم من قوتها إلا أنها لم تكن قاتلة عمداً منها فقط لترسل له رسالة بأنها أقوى منه وعندما حان الوقت تخلت (هند) عن دفاعاتها أمام إحدى هجمات الوزير (فايو) وتلقت الضربة وسقطت أرضاً ولم تنهض مدعية الهزيمة فتعالت أصوات المقاتلين وصرخاتهم بهجة لانتصار قائهم الذي سار نحو العربية الملقة على الأرض ومد يده نحوها وعاونها على النهوض وهو يقول: «تصرف أحق لكن نبيل..»

(هند) مبتسمة: عن ماذا تتحدث؟

رفع (فايو) ذراعه الضخم مسكتاً هتافات المقاتلين ثم قال بصوته مرتفع: «أربع عشرة نجمة!»

انفجر المكان مرة أخرى بالهتاف وخرج من بين المقاتلين امرأة عجوز

تحمل معها إبرة وقنية وسارت حتى وقفت أمام (هند) وقالت: أين
تريدنها؟

التفت (هند) على (فايو) بوجه متسائل فأجابها بقوله: ضعيها على
وجنتيك كي تبكي الرعب في قلوب أعدائك

(هند): لكنني لم أبايع السيد الكبير بعد
(فايو): حتى لو لم تبايعيه فقد استحقيت وشومك
هذت (هند) رأسها بالموافقة وبدأت العجوز بوشمها بنجومها..

بعد ما انتهت مراسم التصنيف أشار (فايو) لـ (هند) بأن تتبّعه
للمرحلة الثانية وهي مرحلة تقديم الولاء ومعاهدة السيد الكبير على
السمع والطاعة فسارا الاثنان حيث كان القصر الرئيس والمكان الذي
يدير منه الوزراء جميع أمور الطائفة ودخلتا غرفة العرش الكبيرة حيث
كان (آغ) و(روشني) بانتظارهما وبانتظار حضور السيد الكبير.

(روشني) لـ (هند) مبتسمًا: لقد حققت إنجازًا كبيرًا لم يصل إليه الكثير
من قبل في هذه المدة القصيرة

(هند): لم أنا هنا؟.. لن أبايعكم قبل أن أحصل على ما اتفقنا عليه

(روشنی): العلم الذي طلبتِه معي لكن من المتعارف عليه أن تتم مراسم المبادعة بعد التصنيف مباشرة ولا يمكن تأجيلها الآن

(هند) بحدة: بينما اتفاق واضح!.. خبر أختي مقابل مبادعتكم!

(آغ) يدنو منها قائلاً: هل هناك مشكلة؟

(روشنی) رافعاً كفه مطمئناً: لا يا وزير الكهنة لا يوجد مشكلة

(هند) بعصبية: بل يوجد!

(فايو) من ورائها: السيد الكبير في طريقه إلى هنا.. لا تفسدي الأمر

بعنادك

(هند) تدبر ظهرها وتهم بالرحيل: أنا عائدة لأرضي..

لم تأخذ (هند) بضع خطواتٍ مبتعدة حتى سمعت (روشنی) يقول لها: أختك ماتت.. مقتولة.. فصل رأسها عن جسدها وهي تقاتل ساحرة..

استدارت (هند) وأعينها بدأت تنزف دمًا: ماتت؟!

(روشنی): نعم.. اهدئي الآن

(هند) تسير عائدة بأعين غارقة في الدموع وصوت مشحون غضباً:

أين أجد هذه الساحرة؟!



(روشني): بايعي السيد الكبير وسأخبرك بكل شيء
(هند) بغضب: أخبرني الآن!

انقطع الحوار بدخول السيد الكبير مع مجموعة من الحراس فحنى
الوزراء رؤوسهم عدا (هند) الغارقة في دموعها فقام (فايو) من خلفها
بووضع كفه على كتفها وأشار لها بالقيام بالمثل ففعلت وراقبت دموعها
تساقط على الرخام الأملس أسفل منها. جلس السيد الكبير ثم قال
بصوت غليظ: «ارفعي رأسك يا عربية..»

نفذت (هند) أمر السيد الكبير الذي لاحظ دموعها ووجهها المحتقن
فقال: ما بك؟

(هند) ماسحة دموعها بباطن كفها الأيمن: لا شيء..

(السيد الكبير): هل أنتِ جاهزة لترتيب القسم؟

(هند) بصوتٍ يغص حزناً: لا أعرفه..

(آغ): سوف ألقنها العبارات يا سيدي بعد إذنك

(السيد الكبير): لا.. أريد أن تقولها بنفسها وبأي صيغة تريدها

(هند) وملامحها تفيض قهراً: ماذا تريدين مني أن أقول؟



(روشنی) هاماً لها: تحدثي مع السيد الكبير بلباقة أكثر
(هند) متحاملة على نفسها مستنشقة دموعها: ما الذي تريد مني قوله
يا سيد؟

(السيد الكبير): يقال بأن العرب يملكون لغة فصيحة.. أتخفي بيها
عندك

صمتت (هند) لفترة وجيزة وهي تحدق بأعين السيد الكبير ثم قالت:

أعاهدك بعهدي لا ينقطع إلا بقطعي.. ولا إلا ينضب إلا بهلاكي
للك العين واليد والساعد.. العنق والساقي والقدم..

لن أبطن في صدري ولن أحمل على ظهري.. إلا لما يسرك ويرضيك
موالية لك مسلمة مستسلمة..

وساقطع الأرحام لوصلكم ما لم تمسوا من شاركتني رحماً أنجبني..

وجه الحاضرون أنظارهم للسيد الكبير الذي بدا على وجهه خليط من
الرضا والتعجب في الوقت نفسه ثم قال: «سنكرنك بالقبول.. عودي
لعرستان..»

(هند) بتهكم ودموعها تجري على وشومها الحديثة: بالطبع لن تهتم..
خاصة وأن القتلة من أبناء جلدتك.. القتلة الذين أهانوا أختي
وذهبوا كالأشحية

(روشنى): لا علاقة لعرقهم بها أقول ثم إن أختك ماتت بشجاعة
في أرض المعركة ولم ترَض بالذل والهرب من المواجهة وقتلتها لقوا
حتفهم والجنى الأزرق مات بالطريقة نفسها

(هند): ماذا؟.. من قتلهم؟

(روشنى): الأمير الأزرق مات على يد أحد أتباعه والساحرة قتلتها
ساحرة عربية أخرى أقوى منها بكثير

(هند): ساحرة عربية؟

(روشنى): نعم.. ساحرة عربية تدعى (دعجاء بنت وصبان).. وإلى
هنا انقطع علمنا ولم نستطع تحديد مكانها لكننا تحققنا من أنها من أرض
الجزيرة وأدت خصيصاً لقتل (جهنم)

(هند): سلمت يداها..

(روشنى): هل انتهينا الآن؟



(هند): ماذَا عن رفاتها؟

(روشنی): الجنی الأزرق أخذ رأسها و جثماًها لمكان غير معلوم

(هند) منزلة رأسها: قلبي يحترق..

(روشنی): ابتلعي أي شيء يشوش ذهنك.. أنت الآن أحد أفراد
أعظم طائفة في الدنيا وصفاء الذهن من أساسيات قوتنا وبقائنا

(هند): لا تقلق يا ابن العجم سوف أكون لكم كما تريدون

همت (هند) بالرحيل لكن وقبل أن تبتعد استوقفها (روشنی) وقال:
انتظري.. أريد أن أسألك عن نص العهد الذي تلوّته أمام السيد الكبير

(هند): ما به؟

(روشنی): ماذَا قصدتِ بقول: «وساقطع الأرحام لوصلكم ما لم
تمسوا من شاركتني رحمةً أنجبني..»

(هند): الحرف النقي يعكره التفسير..

(روشنی): هل أخبرتك قبلًا بأني لست فارسيّاً؟

(هند): من أي أرض أتيت؟



(روشني): هل يهمك معرفة من أين؟

(هند): لا.. لكن سيدكم الكبير فارسي أليس كذلك؟

(روشني): بلى

(هند) وهي تسير مبتعدة: هذا ما يهمني معرفته فقط..

بعد ما لقن (فايو) قاتلته العربية الجديدة نص طلسن الانتقال أخبرها بأن مهمتها الأولى هي قتل رجل يعيش في «اليمامة» وقدم لها كل المعلومات الالازمة كي تجده وتحدد مكانه وبحكم أنها لم تزر المنطقة من قبل قامت بالانتقال لـ «معين» ومن هناك انضمت لقافلة متوجهة لوسط الجزيرة دون أن تمر بأهلها أو تزورهم وخلال عدة أسابيع وصلت ونفذت مهمتها بكل ببرود وقتلت الرجل وهو بين زوجته وأطفاله في منزله بوضوح النهار ولم تكتثر للجلبة والفوضى التي أحدها عندما استنجدت الزوجة بالناس لأنها اختفت قبل أن يصل أحد لنجدتها.

(شاور) منهياً الحديث عن (هند) مع العرجاء: «ومنذ ذلك الوقت أصبحت (هند) أكثر قتلة الطائفة مهارة ولا يلتجأ لها إلا في المهام

المستعصية في «عربستان» تحديداً..

(نافجة): والتي هي أنا الآن

(شاور): نعم..

(نافجة): الساحرة التي تتحدث عنها.. تلك التي قتلت أخت (هند)

(شاور): .. (جهنم)..

(نافجة): نعم.. أعتقد أنني أعرفها

(شاور): كيف تعرفينها ومن أين؟

(نافجة): قتلت أمها في الماضي.. (أفسار).. وفقدت قدمي بسببها

(شاور): أمها؟

(نافجة): فهمت الآن.. (هنان) كانت إحدى فتيات عصبة (دعجاء)

التي سعت للثأر لهنّ

(شاور): ماذا تعرفين عنها؟ .. نحن لم نجد الكثير من العلم حولها

(نافجة): هي الساحرة الوحيدة التي أكن لها الاحترام والإجلال.. شعلة انطفأت قبل أوانها.. لا تشغلي بالك.. أخبرني.. هل حافظت



(هند) على عهدها معكم حتى هذا اليوم؟

(شاور): غريب أن تسأل مثل هذا السؤال.. لكن.. نعم ولا

(نافجة): كيف؟

(شاور): منذ أن حطت قدمها على أرض «عربستان» ومهام الاغتيال تهافت عليها من الطائفة بلا انقطاع.. شيوخ قبائل وزعماء عصابات لقطع الطريق.. تجار ولصوص.. سحرة وكهنة.. رجالاً ونساء.. القائمة كانت طويلة ومتراکمة والسيد الكبير كان يريد أن ينجز الكثير في وقت قصير

(نافجة): قائمة طويلة ومتعددة بالفعل

(شاور): نحن لا نفرق بين الأهداف ومن يدفع الثمن المناسب يمكنه الاستفادة من خدماتنا منها كان وأيّاً كان الهدف المطلوب تصفيته

(نافجة): إذاً فأنتم لستم سوى مجموعة من المرتزقة

(شاور): لا أنكر أن هذا جزء أساسي من عملنا لكنه ليس أساسه

(نافجة): و(هند) بالنسبة لكم مجرد أداة للتنفيذ



(شاور): هي لا تختلف عن أي عضو من أعضاء الطائفة.. جمعينا نخدم السيد الكبير دون أدنى سؤال أو تشكيك

(نافجة): بداية حديثك أشرت إلى أن (هند) لم تنصع لجميع أوامركم (شاور): أمر واحد فقط.. وكان من المفترض أن يكون ذلك كافياً ليصدر الأمر بإبعادها وتصفيتها هي الأخرى.. لكن..

(نافجة): لكن من الواضح أن هذا لم يحدث (شاور) مستأنفاً حدثه: أرسلنا لها رسولاً لاغتيال أحد شيوخ قبائل الشهاب.. شيخ قبيلة الهوازن.. وكان السيد الكبير مهتماً بالأمر بنفسه وحريصاً على إنجاز المهمة بأسرع وقت لأن ذلك الشيخ قتل أحد أعضاء الطائفة كان قد أرسل لـ «عربستان» في مهمة مختلفة وشكل هذا صدمة لنا فالمتنورون وخاصة القتلة منهم لا يلقون حتفهم على يد شخص عادي لا يملك أي مقومات تؤهله لمقارعة أحد أعضاء

الطائفة الجنتية

(نافجة): شيخ القبائل فرسان منذ الصغر ويتم تربيتهم وتهيئتهم على ذلك



(شاور): مهما كانت حدة نصله وشدة بأسه فهو لم يكن ليستطيع مجاراة
متنور بنجمة واحدة من طائفتنا

(نافجة) بتهمكم: والدليل أنه قتل أحد أتباعكم..

(شاور): وليس أي تابع.. متنوراً من الدرجة السادسة
(نافجة): فقام كبيركم بإرسال (هند) لاستعادة كرامتكم المهانة
(شاور): نعم.. لكن (هند) أهانتها أكثر

(نافجة): كيف؟

(شاور): بعد عدة أيام من استلامها أمر قتل شيخ القبيلة أرسلت هي
رسولاً موجهاً مباشرة للسيد (روشنبي) تحذره من الاقتراب من هذا
الشيخ وأنه لو أرسل متنوراً آخر لإكمال المهمة فإنها سوف تنشق عن
الطائفة وتأتي بنفسها لجبار الملحق لتقتضي منهم

(نافجة): تصرف غريب منها خاصة وأنها لم تمانع قتل غيره في الماضي
(شاور): لا أعرف ما حدث بينها وبين ذلك الشيخ لكن الوزراء كانوا
غاضبين جداً وكاد الأمر يخرج عن السيطرة لو لا أمر السيد الكبير
بإنهاء الموضوع وترك الشيخ في حاله

(نافجة): لمَ غفر كبير المتنورين لـ (هند) تلك الإهانة؟

(شاور): لأنَّه يخشَاها ويريد اتقاء شرها ويعرف أنها قادرة على هز أركان الطائفة الجنتية لو عقدت العزم على ذلك.. تنبؤ (آغ) كان في محله وأنَّها ستكون مصدر قلق مستقبلاً

(نافجة): لا أصدق أنَّ مجرد تهديد بسيط منها يجعل سيدكم الكبير يتغاضى عنها بكل هذه السهولة

(شاور): ومن قال بأنَّه لم يحاول؟.. سبب عفوه عنها هو أنه حاول معاقبتها بطريقة غير مباشرة ليدرك بعدها أنَّ معاداتها ليست بالأمر الحكيم

(نافجة): لم أفهم

(شاور): في بادئ الأمر كان الجميع متفقين على تصفيتها لكنهم لم يريدوا أن يتم ذلك من خلال الطائفة لأنَّهم وقتها لا يزالون يجهلون مدى قوتها بالكامل وخشوا أن يقعوا في دوامة من الصراع معها فاقتصر السيد (آغ) إرسالها في مهمة مستحيلة مقابل ترك شيخ (الهوازن) وشأنه لتلاقي حتفها بعيداً عنهم وبدون تدخلهم حفاظاً على ماء الوجه ورداً لاعتبارهم بالرغم من أنَّ خبر تمردتها لم يتشر في ذلك الوقت بين أفراد الطائفة ولم نعلم به إلا لاحقاً..



(نافجة): وماذا كانت تلك المهمة المستحيلة؟

(شاور): أرسلت الطائفة لها رسولاً يخبرها بأن ثمن رقبة الشيخ هو رقبة شخص آخر.. كاهن منشق عن الطائفة لقب بالكافر الأسود.. ترد على القائد الكبير واعتزل مع مجموعة من المتنورين بأرض «بابل» وكان يعد العدة للانقلاب على الطائفة ولسنواتٍ عديدة لم تتمكن من التخلص منه لأنه يعرف الكثير من أسرارنا ناهيك عن قوته وقوته أتباعه المحيطين به فهم جمِيعاً من الكهنة الأقوياء والقائد الكبير لم يرد الدخول معهم في صدام مباشر خشية تلوث سمعة الطائفة وكيف لا يشاع أن بينما منشقين لا يمكن ضبطهم فتجاهلهم لسنوات طويلة بالرغم من أعمالهم التخريبية ضدنا من وقتٍ لآخر. الكاهن الأسود انعزل مع أتباعه الأحد عشر بـ «جبل سنجار» وكان يجب على (هند) التسلل لقتله هو فقط فهو لم يكن نذراً سهلاً ولو احتمى بأتواه فستكون المواجهة غير عادلة

(نافجة): وكيف تمكنت من تجنبهم والتسلل؟

(شاور): هذا ما أثار خوف السيد الكبير منها فهي لم تتسلل أو تتجنب مواجهة أي من أتباعه.. دخلت بهدوء من مدخل الجبل الرئيس

وقتلتهم جميعاً في هجمة واحدة لنتهي نحن من مشكلة الكاهن
الأسود وحل مكانها مشكلة أخرى.. (هند)

(نافجة): أنا مستغربة حقاً من أنني لم أسمع بها من قبل؟.. حتى عجوز
القدر لم تذكرها لي

(شاور): عجوز القدر من؟

(نافجة): ساحرة مخصرة باليمامه وتملك علمًا واسعًا عن سحرة
الجزيرة وعن طائفتكم وقد لجأت إليها لأنزود من علمها عندما
أحسست بخطركم

(شاور): المتنورون يعملون في الخفاء ويبقون متوارين عن الأنظار
قدراً الإمكان ولا يخرجون ويتركون مواطنهم إلا لتنفيذ المهام فقط على
عكس السحرة الذين يذيع صيتهم بين الناس ناهيك عن أن معظم
المتنورين يأتون من خارج الأرض التي ينwoون تنفيذ مهمة داخلها
وقليل منهم يكون مستقرّاً فيها.. (هند) من الحالات القليلة التي
يكون فيها المتنور مقيماً في أرض واحدة فنحن دائم الترحال وهذا
استثناء منح لها مع الكثير من الاستثناءات الأخرى



(نافجة): بسبب قوتها..

(شاور): ولا تقاء شرها كما قلت لك.. كما قال السيد (آغ) سابقاً: «لو كان الشيطان امرأة فستكون (هند)..»

أمضى المتنور الشاب والرجاء يوماً آخر في عبور الصحراء الحمراء حتى أقبلًا على منطقة جبلية سوداء تحيط بها مسطحات خضراء وسماؤها ملبدة بالغيوم فقالت (نافجة): ديار «الأزد» على بعد يسير من هنا.. يمكنك الرحيل الآن

(شاور): هل أنتِ واثقة من أنك لا تريدين مني أن أراففك لمسافة أطول حتى نراهم؟

(نافجة): لا.. أطلق الناقة هنا وارحل

(شاور) متراجلاً عن ظهر الناقة: كما تشاءين وضع المتنور كفه على صدره وقبل أن يختفي مع الريح قال: «رافقتك السلامة يا عربية..»

(نافجة) وهي تراقب خياله يضمحل: «ولك مثلها أيها الأعجمي.. وبال توفيق في مسعاك الخاص»



وصلت العرجاء لديار «الأزد» نهاية ذلك النهار وكان أول مستقبلها فرسان القبيلة الذين تعرفوا عليها في الحال عندما عرّفت نفسها وطلبت أن تستجير بهم فأخذوها لشيخهم (كهلان) الذي رحب بـ (نافجة) ترحيباً كبيراً وقدم لها كل ما يمكن أن تحتاج إليه من مأوى وزاد وعرضها على مطبب القبيلة ليقوم بالعناية بها وبحرها. منحت العرجاء خيمتها الخاصة وجارية لخدمتها والإشراف على فترة نقاوتها وصُنع لها عكازاً لتتمكن من التنقل بسهولة عندما ترغب في ذلك. دخل الشيخ (كهلان) عليها في خيمتها بعد ثلاثة أيام من وصولها بعد ما استأذن وجلس بجانبها وهي مستلقية وقال: «كيف حالك اليوم يا فخر العرب؟»

(نافجة) معتدلة في جلستها احتراماً للشيخ: أغرق في كرمك وحسن ضيافتك يا شيخ (كهلان)..

(الشيخ كهلان) رافعاً كفه: لا تنهضي من مكانك.. لا يزال أمامك الكثير لستعيدي عافيتك بالكامل

(نافجة): لا يستقيم ظهيри بحضورك يا تاج الرأس
(الشيخ كهلان) مبتسمًا: لطالما أردت لقاء العرجاء التي حاربت



الدخلاء على أرضنا.. أمجادك سبقتك وها نحن اليوم ننعم بحضورك
(نافجة): لا مجد لي دونك يا عزوي.. أرضي هي أرضكم وجميعنا فداء
لها

(الشيخ كهلان): من تسبب لك بتلك الإصابة؟

(نافجة): لا تحمل هذا الهم..

(الشيخ كهلان): لدى ألف فارس يمكنهم أن يقتضوا لك من تعرض
لنك.. وجهيني نحوهم فقط

(نافجة) مبتسمة: كانت أمي (فيصاء) عندما تتشاجر مع أبي وتهدهد
بهجره ويرد عليها بأن لا مكان لها تلجأ إليه تردد عبارة واحدة علقت
بذهني

(الشيخ كهلان) وهو يبادلها الابتسام: ماذا كانت تقول؟

(نافجة): كانت تصرخ بلكتتها الجنوبيّة بغضب: «لو تخل عنّي جمّع
أهلي فسأجده في «الأزد» عزوي..»

(الشيخ كهلان) ضاحكاً: وكيف كان يتعامل أبوك مع دم أمك الفائز؟

(نافجة) مبتسمة بحزن مستذكرة طفولتها: بعذوبة كلماته التي كانت
كعذوبة ينابيع أرضه.. «هجر».. حيث تركت قلبي



(الشيخ كهلان): أعدك بأن أرسلك مع قافلة إلى هناك بعد ما تستعيدين

عافيتك

(نافجة): العودة لـ «هجر» ستأخذ وقتاً أطول يا شيخ (كهلان) لكنني

ممتنة لك على أي حال

(الشيخ كهلان): بالمناسبة.. لمَ لم تخبريني بأنك أتيت مع مرافق؟

(نافجة) متعجبة: مرافق؟.. ألم يرحل ذلك الأعجمي؟

(الشيخ كهلان) باستغراب: أعجمي؟.. لا.. كنت أقصد المرأة التي

أنت للسؤال عنك بعد يوم من قدومك

(نافجة): عن أي امرأة تتحدث؟

(الشيخ كهلان): امرأة قدمت إلينا وسألت عن حالك وصحتك

وقالت بأنها كانت ترافقك في السفر لكنها افترقت عنك قبل عدة أيام

وأرادت الاطمئنان عليك ومعرفة متى سوف تهائين للشفاء وعندما

أخبرها المطلب بأنك تحتاجين عشرة أيام على الأقل رحلت وقالت

بأنها سوف تعود بعد انقضائها

(نافجة) بتوتر: صفها لي يا شيخ
(الشيخ كهلان): أوضح معالمها كان أربع عشرة نجمة موشومة على
وجنتيها..

الساحرة الحسينية

«لا يوجد شيء لتعذرَ عنه.. أنا (أنهار).. وأنتنّ؟»

(عوراء) بحساس: وأنا اسمي (عوراء)!

أرخت (أنهار) قبضتها من مصافحة (كميت) وقالت باسمة: تشرفنا
بكِ يا (عوراء)

(دوسن) وهو محتضن لساقي (أنهار): هذه صديقتي الجديدة يا حالة
(أنهار): تبدو لطيفة.. ماذا عن الآخرين؟

(كميت) منزلة اللثام عن وجهها بطرف سبابتها: أنا (كميت) وتلك
أختي (رافدة).. نحن معنات لمساعدتك



(أنهار) واضعة كفها على رأس الصبي الصغير: كان ردّاً لصنيعك مع صغيري (دوسر)

(رافدة): لم تتحدى بعربيّة ركيكة؟
(أنهار) مبتسمة: لأنها ليست لغتي الأولى
(رافدة): ابنك يتحدثها بشكل جيد.. هل أنت متزوجة من عربي؟
كُميٍت بصوت خفيض لـ (رافدة): ما هذا التطفل؟!

(أنهار) مبتسمة: لا بأس.. لا أمانع تساوئها
(عوراء) مبتهجة: أنا أيضاً لست عربية لكنني أتحدثها!
(دوسر) متخليةً عن احتضانه لساق خالته سائراً نحو (عوراء): هل أنت فارسية مثل خالتى؟
(رافدة) بتوجههم: فارسية؟

(أنهار): نعم.. من «ديلم».. هل تعرفينها؟
(رافدة) بخلط من العبوس والتعجب: لكن لون بشرتك مثلنا
(أنهار): أمي عربية وأبي فارسي
كُميٍت لـ (رافدة): لتوقف عن هذا الاستجواب غير اللائق
ولنرحل قبل أن يعود المزيد من حراس السوق

(أنهار): إلى أين أنت راحلات؟

(كُميٰت): سنترك المدينة بعد ما حدث عند باع الخبر.. لا يمكننا البقاء

هنا.. سنقرر وجهتنا بعد ما نتجاوز أسوار المدينة

(رافدة): يجب أن نعود لإحضار جوادي (الشيم) من أمام الخباز.. لن

أرحل بدونه

(كُميٰت): لكن ذلك سيكون مخاطرة كبيرة

(أنهار): اتر肯 ذلك عليّ.. سوف أحضر لكن الدابة خارج المدينة

(رافدة): ولم تفعلين ذلك؟

(أنهار) وهي تربت على حقيبة جلدية بنية اللون كانت معلقة على كتفها

ومستندة لخاصرتها: أنا أيضاً راحلة من هنا

(كُميٰت): لا نريد أن نشق عليكِ

(أنهار) وهي تبدأ بالسير مبتعدة: عندما تبدأ الشمس بالغيب.. تحرken

في الظلمة شرقاً من هنا وستجدن ثقباً صغيراً بسور المدينة.. اعبرن من

خلاله وانتظرنني هناك

لحق (دوسن) بخالته تاركاً الفتيات الثلاث في حيرة..



(رافدة): أمر هذه المرأة مرير

(عوراء): أعتقد أنها لطيفة..

(رافدة): أنتِ ترين كل شيء لطيفاً

(عوراء) ضاحكة: وقامتها طويلة جدّاً!.. أنتها بجانبها تبدوان كالطفلين الصغارين!

(رافدة): وأنتِ بجانبها تبدين كذا؟

(عوراء) بلا اكتراث: كلامك لن يحرّمني يا بدوية

(رافدة) لـ (كميٍّ): هل سنلحق بها فعلاً؟

(كميٍّ): في الوقت الحالي لا خيار أمامنا سوى مجازاة قدرنا حتى نخرج بسلام

(عوراء): ماذا عن (زبجد)؟.. هل سنرحل قبل أن يعود؟

(رافدة): الفارسي الأزرق يمكنه أن يجذبك بسهولة لا تقلقي

(كميٍّ): لنتحرك إذاً ونتواز عن الأنظار حتى تغيب الشمس ونتوجه للمكان الذي أخبرتنا عنه السيدة (أنهار)

(رافدة) بسخرية: سيدة؟.. لم هذا التبجيل لتلك الفارسية؟

(كُميٰت) متجاهلة (رافدة) موجهة كلامها لـ (عوراء): هيا اتبعيني
وكوني بقريبي ولا تبتعدني عنِي
خرج الثلاث من الزقاق وسرن بين المنازل الطينية محاولات تفادي
النظر في وجوه الناس حتى وصلن لزقاق آخر ودخلته وبقين فيه حتى
بدأت الشمس بالغيب.

(كُميٰت) وهي تطل للخارج من وسط الزقاق: الوقت مناسب الآن
للحرك نحو الفتحة

(رافدة): هل سنرحل قبل أن نبتاع لأنفسنا أسلحة ودابة أخرى كما
كان الاتفاق؟

(عوراء) بتجهم: ولا تنسيا أنكم وعدتماني بملابس جديدة أيضاً!..
هذه الخيمة تشعرني بالحكمة على الدوام!

(كُميٰت) تخطو للخارج بحذر: يمكننا أن نجد كل هذا في مدينة
أخرى.. هيا اتبعاني

وصلت المجموعة لنهاية طرف المدينة الشرقي ورأين أن السور مكتمل

ولا يوجد به أي فتحة فقالت (رافدة) متهكمة: أين الفتحة التي قالت عنها سيدتك؟

(كميت) وهي تسير بمحاذاة الجدار الطيني الشاهق ماسحة عليه بأناملها: لا بد أن تكون هنا..

(عوراء) ملتفتة خلفها: أعتقد أني أسمع أحدها يقترب منا (رافدة): لا يمكننا البقاء هنا أكثر.. من الواضح أن تلك المرأة خدعتنا قبل أن ترد (كميت) على أختها بدأ جزء من جدار السور الطيني بالتشقق بجانبهن ليتهاوى جزء منه كاشفاً عن الصحراء المفتوحة بالخارج فقالت الحجازية: أعتقد أن هذا هو الطريق

(رافدة) وهي تسمع الأصوات من حولهن في التعالي: سواء كان هو أو غيره فلا خيار أمامنا سواء

جرت الثلاث نحو الفتحة الجدارية الحديثة وخرجن من خلالها للخارج وما أن تجاوزنها حتى بدأت قطع الطين والحجارة التي تساقطت بالتحرك والارتفاع لتسد الفتحة مرة أخرى وكأن شيئاً لم يحدث.



(عوراء) بتعجب: من فعل ذلك؟

(رافدة): أمر غريب

(كُميٰت): لا يهم.. لنتوجه لتلك التلة ونختبئ خلفها
جرت (كُميٰت) و(رافدة) نحو التلة لكن (عوراء) لم تلحق بهما وقالت:
أنا سأنتظر (ز Judy)..

(رافدة) تلوح بيدها لها وبصوٌت غاضبٍ مكبوتٍ: لا تكوني حمقاء
واتبعينا قبل أن يرانا أحد!

(عوراء) عاقدة أذرعها: لا!.. سأنتظره هنا!

(كُميٰت) تتوقف وتقول لـ (رافدة): أكملِي أنت السير نحو التلة وأنا
سأعود وأحضرها

(رافدة) مشيرة نحو (عوراء) وبأعين مفروعة: من هذا؟!

وجهت (كُميٰت) نظرها حيث كانت أختها تشير لترى رجلاً ضخماً
يقف خلف (عوراء) يحمل على ظهره سيفاً كبيراً بنصلٍ عريض جداً
فنزلت على ركبتيها بسرعة وشدت سهماً على قوسها صارخة فيها قائلة:
انزلي على الأرض!



حطمت قوسها ورمت بها بعيداً فرفعت (رافدة) نظرها لتشاهد المتنور
الضخم يقف فوقها ممسكاً سيفه الضخم والسهم لا يزال مركوزاً في
عينه يتنفس بثقل ويقول غاضباً:

«ستدفعن ثمن ما فعلته!»

دفعت (رافدة) بـ (عوراء) جانباً على الرمال ووجهت سيفها نحو
المتنور لتطعنه لكنه حطمها بضربة واحدة من سيفه الضخم أتبعها
بنطحة بجذينه على صدرها أو قعتها أرضاً. قبض المتنور على مقبض
سلاحه ورفعه فوق رأسه استعداداً لإنزاله على (رافدة) لكنه بدأ
يتنفس وكأنه أصيب بصعقة وصوت من خلفه يقول: «دع الصغيرات
وواجهني أنا..»

وجه الجميع أنظارهم نحو مصدر الصوت بمن فيهم المتنور ليروا
(أنهار) تلقي بحقيقة الجلدية جانباً ثم تضع راحة كفها الأيسر على
معصمها الأيمن مبتسمة و(دوسر) يقف بجانبها يشد جزءاً من
ملابسها بوجه خائف.

(المتنور) محاولاً النظر لأقدام (أنهار): هل أنتِ العرجاء؟



(أنهار) تسحب كفها الأيسر عبر ذراعها الأيمن مروراً بزندها: ابتعد
يا (دوسر)..

جري الصغير بعيداً عن خالته فجرت (عوراء) نحوه ولحقت به..

خرج من كف (أنهار) ما يشبه الحمم البركانية المتدفقة كالشلال
 وجهتها مباشرة نحو المتنور الذي احتمى بسيفه الكبير لكنه ومع
 ذلك أصيب بالحرق في بعض أجزاء جسده مما دفعه للجري نحوها
 محاولاً الانقضاض عليها فما كان منها إلا أن وضعت كفوفها على
 أكتافها مغمضة عينيها وبدأت بتمتمة بعض الكلمات ليتشكل أمامها
 سبعة سباع بيضاء كبيرة انطلقت جرياً نحو المتنور وهي تزار بوحشية
 واشتبت معه. قاوم المتنور السباع وقتلها جميعاً لكنها تسببت له
 بعض الجروح المتفقة في ظهره وبطنه وقبل أن يستعيد تركيزه
 صفت (أنهار) كفيها بعضها بعض لتنشق الأرض من تحته ويخرج
 منها مجموعة من السلال التي قيدته وسحبته سلاحه من قبضته
 ورمته به بعيداً. بدأت (أنهار) بالسير ببطء نحو المتنور المقيد وهو
 يصرخ غاضباً ومتوعداً وعندما وقفت أمامه قالت بهدوء بالفارسية:
 «چرامی خواهی دختران را بکشید؟»



(المتنور) بتعجب والعرق يتصلب من جبينه:

«آيا شها زبان ما صحبت می کنید؟.. پس چرامی خوای منو بکشی؟»

ابتسمت (أنهار) ورفعت سبابتها لتشتد معها قبضة السلسل على
جسد المتنور وتقطعه إرباً..

في ذلك الوقت كانت (رافدة) قد وصلت لـ (كُميٰت) للاطمئنان
عليها ووجدت أن إصابتها لم تكن بليغة لكنها كانت في حالة تشوش
وقالت: ماذا حدث؟

(رافدة) وهي تعاونها على الوقوف: سيدتك أتت لنجدتنا
(كُميٰت) تفك اللثام عن وجهها لتأخذ نفسها: سيدتي من؟

حركت (أنهار) كفها بشكل دائري ودفت ما تبقى من جنة المتنور تحت
كومة من الرمال وكأن شيئاً لم يكن. حملت بعدها حقيقتها الجلدية على
كتفها ثم أشارت لـ (دوسن) بالعودة إليها وقد كان وقتها مع (عوراء)
المحتضنة له خوفاً عليه فسارت معه الصبية حتى وصلت إليها وقالت:
لا تقلقي فهو لم يُصب بأي أذى

(أنهار) مبتسمة: شكرأً لحماته يا (عوراء)



(أنهار): لقد أخرت يوم مماتكِن فقط.. الموت مصير الجميع ولا يمكن لأحد إنقاذهن منه

(كميت): في كل الأحوال نحن ممتنات لكِ

(أنهار) مبتسمة: لا داعي لذلك.. أكره أن أرى الظلم يقع على أحد

(دوسر) يعود لخالته ويشد لباسها: هل سنبقى هنا يا حالة؟

(أنهار): لا.. يجب أن نرحل من المدينة كي لا يصاب أحد بالأذى

(دوسر): لكنك قوية و تستطعين حمايتنا

(أنهار) ماسحة على رأسه مبتسمة: لم أكن أتحدث عنا..

(رافدة) تسير وتقف بجانبها مشاركة في الحديث قائلة له (كميت):
ونحن أيضاً يجب أن نرحل وبأسرع وقت

(أنهار): وكيف ستسافرن بلا دواب؟.. والمدينة الآن بلا شك في حالة استنفار بحثاً عنكن وعندهما يجدون جثث حراس السوق ستلتتصق بكن التهمة لا حالة

(رافدة) بحماس وكأنها تستذكر أمراً هاماً: ماذا عن لشـ..

(أنهار) رافعة كفها بسرعة خاطفة مقاطعة حديثها: ماذا عن ماذا؟

(رافدة) وملامحها تحول للحيرة: نسيت.. كنت أريد أن أسأل عن أمر

هام لكنني نسيته فجأة

(أنهار) منزلة كفها بهدوء: لم تجتنبي.. كيف ستسافرن بلا دواب؟

(كُميٰت): ستصرف.. لا تشغلي بالك

(أنهار): إلى أين أنتن متوجهات؟

(رافدة): لا نعلم بعد..

(عوراء) مشاركة في الحديث: كيف لا نعلم؟.. ألم تقولي بأننا سنقتل

(الماران)

(كُميٰت) وهي تسد فم (عوراء) بكفها باسمة: بلى! بلى!.. الفئران

(أنهار): الماران؟.. زعيم العاقبة؟.. ما الخصومة التي بينكن وبينه

لتحاولن قتلها؟

(رافدة): سؤال غريب لا يصدر إلا من شخص لا يملك عروبة!

(كُميٰت): لا تكوني فضة!

(رافدة): أنا لم أقل غير الحقيقة

(كُميٰت) لـ (عوراء): اذهبى والعبى مع (دوسراً) بعيداً حتى ننتهي من

الحديث



(عوراء): لماذا؟.. أريد أن أسمع
(كميت): اذهب يا (عوراء) ولا تجادلني!
(عوراء) بعبوس: حسناً!.. تعال يا (دوس)
رحلت الصبية والصبي بعيداً يلعبان في الرمال..
(أنهار) مستأنفة حديثها مع (رافدة) بهدوء: اليعاقبة أقوى بكثير
منكن.. العرب يجب أن يفكروا بعقد سلام مع الماران وينهوا كل هذه
الصراعات؟

(رافدة) بتعجمهم: لا صلح ولا سلام مع سحرة أرض كنعان وقبيلتي
تأي أو لاً..

(أنهار): قبيلتك؟.. ومن هم قبيلتك؟
(رافدة): قبائل العرب كلها قبيلة واحدة الآن!
(أنهار) بنبرة ساخرة: وستعودون للاقتتال فيما بينكم لاحقاً كالعادة..
فهمت

(رافدة): شيء لم تفهمه ولن تفهمه فارسية مثلك
(أنهار) متجاهلة استفزاز (رافدة) لها وموجهة حديثها لـ (كميت): هل
تحتاجن مساعدة؟

(كُميٰت): في ماذا؟

(أنهار) بتهكم وهي تنظر لـ (رافدة): في قتل الفئران..

(رافدة) بعبوس: لا، شكرًا!.. يمكننا تدبير شؤوننا بأنفسنا!

(أنهار): أستطيع أن أكون عوناً لكن

(رافدة): لم تصرّين على عرض خدماتك علينا بلا مقابل.. نحن ممتنات

لما قمت به مع المتنور لكن لا تتحمي نفسك علينا!

(أنهار): من قال إنها ستكون بلا مقابل؟

(كُميٰت): نحن لا نملك شيئاً نقدمه لك.. حتى جوادنا الوحيد فقدناه

(رافدة) مستذكرة: نعم صحيح!.. أين (الشيم)؟!.. لقد قلتِ بأنكِ

ستجلبينه معي!

(أنهار) بوجهٍ مسْتَاءٍ من تذكر البدوية دابتها: لم أجده.. يبدو أن أحداً

قام بسرقته

(رافدة) صارخة: ماذا؟!.. يجب أن نعود ونبحث عنه!

(أنهار): المدينة ليست آمنة الآن ولا يمكن لأيٍ منا العودة إليها في

الوقت الحالي



(رافدة) بعصبية: لن أرحل بدونه!

(كميت) لأنتها الغاضبة: لا تكوني حمقاء!.. السيدة (أنهار) معها حق
(رافدة): لا شأن لي بها تقوله سيدتك!.. سوف أعود وأبحث عنه
وحدي إذا لم تأتي معي!

(كميت) محاولة تهدئتها: بالطبع سأتي معك
(رافدة) بعصبية: هيا بنا إذاً ماذا ننتظر؟!.. وأحضرني (عوراء) معنا
ولا تركيها هنا!

همت (رافدة) بالسير عائدة نحو سور «هجر» لكن ما أن مرت بجانب
(أنهار) حتى أحسست بثقل عظيم يعتلي أكتافها أجبرها على النزول على
ركبتيها. جرت (كميت) نحو أختها وجلست بجنبها وهي تقول
بقلق شديد: ما بكِ؟!

(رافدة) واسعة يدها على صدرها: أشعر بالاختناق
(كميت): هدئي من روحك وحاولي التقاط أنفاسك!

(رافدة) باحثة عن الأنفاس: أشعر بأني سأموت!
كان ذلك يحدث و(أنهار) تتأمل في (دوسر) و(عوراء) وهما يلعبان
دون إظهار أي تفاعل أو اهتمام لحالة البدوية..

تجاوزت (رافدة) نوبة التعب لكنها لم تتمكن من الوقوف على أقدامها فبقيت (كميت) بجانبها تمسح على صدرها بقلق فقالت (أنهار) دون أن تلتف إليها:

«سأعينك على التصدي للهجمات التي تتعرضن لها فمن الواضح أن من هاجمك اليوم لم يكن الأول ولن يكون الأخير.. لكن هناك أمر ما يشغلني وهو كيف تعاملتن مع الهجمات السابقة؟»

(كميت) وهي منشغلة بأختها المتعبة: لا نعرف..

(أنهار) مديرة رأسها نحوهما: كيف لا تعرفن؟

(رافدة) تتنفس بصعوبة قائلة: لم تسألين؟!.. ما شأنك أنت؟!

(أنهار): أخبرتك يا شابة.. أريد مساعدتك

(كميت): مساعدتنا في ماذا تحديدًا؟

(أنهار): في مسعاكن الذي دفع (الطائفة الجنتية) لطاردتكن.. هل تظنين أنني لم أعرف هوية من هاجمك وانتي؟.. هؤلاء القوم لا يطاردون مجموعة بسيطة من الفتيات دون سبب ولا يرسلون قاتلاً بهذه الرتبة إلا إذا فشل من قبله وهم غالباً أقل منه تصنيفاً.. أنا مطاردة من قبلهم



منذ وقتٍ طويٍل فقط لأنني قتلت أحدهم خلال خلافٍ عابر تسبب به هو ومع ذلك لا يزالون يحاولون الانتقام مني إلى هذا اليوم.. المتنورون لا ينسون ثأرهم مهما طال الزمن

تبادلـتـ الأختـانـ النـظـراتـ بـصـمـتـ وـلـمـ تـرـدـ أـيـّـ مـنـهـاـ عـلـيـهـاـ ..

(أنمار) معيدة نظرها للأفق: لم أَرَ صغيري (دوسر) من قبل بهذه السعادة.. أختكما الصغيرة منسجمة بصحبته وأريدها أن تبقى معه (رافدة) بتوجهـمـ:ـ أـخـتـنـاـ لـيـسـ جـارـيـةـ لـلـبـيعـ يـاـ فـارـسـيـةـ!

(أنمار) وعينها على (عوراء) وبنبرة مشبعة بالحزن: لا هي ولا غيرها يستحق أن يباع ويشتري.. كل ما أريده هو بقاوْكُنْ معي لفترة وجية لمساعدتي في أمِّـ ماـ

(رافدة) وهي تحاول الوقوف لكنها تعجز عن ذلك: لا تبدين كشخص يحتاج المساعدة من أي أحد

(أنمار): بعض الأمور لا يمكن الحصول عليها بالقوة فقط..

حاولـتـ (رافـدةـ)ـ النـهـوضـ مـرـةـ أـخـرىـ لـكـنـ سـيـقـانـهـاـ لـمـ تـسـتـجـبـ لهاـ فـضـرـبتـ بـسـخـطـ بـقـبـضـتـيـهاـ عـلـىـ أـفـخـاذـهـاـ وـقـالـتـ بـعـصـبـيـةـ شـدـيـدةـ:ـ مـاـ بـهـاـ أـرـجـليـ؟ـ!

(كُميٰت) لـ (أنهار): نحن في رحلة لقتل شخص يلقب بـ (الماران)..
هل تعرفينه؟

(أنهار) مبتسمة: كاهن أرض كنعان..

(كُميٰت): هو بعينه

(أنهار) ضاحكة: أنتن لستن بفتیات عادیات!

(رافدة): هذا هو الثمن..

(أنهار) محدثة نفسها بصوت مسموع لها: ولذلك طاردكن الطائفة الجنتية.. إذًا فـ (الماران) على علمٍ بنيتكن ويهماول ردعكن.. لكنني ما زلت لا أرى الخطر الذي تشكلنه كي يشحد لكن كاهن كنعان مثل هذه القوة لتصفيتكن.. أي مجموعة من جنوده المنتشرين في «عربستان» يمكنها تولي تلك المهمة.. الأمر لا يستدعي الاستعانة بالمتورين أبدًا..
ما الذي تخفيته علي؟

(رافدة): لا تتحققني معنا وأعطيانا إجابة.. هل تستطيعين مساعدتنا في محاولة قتلها أم لا؟

(أنهار) ببرود ونبرة واثقة: أنا لن أحاول.. أنا سأقدم رأسه لكما إذا وافقتها على مراقبتي حتى أحقق مسعاي الخاص بي

(كُميٰت): وما هو مسعاك هذا؟

(أنهار): لا تشغلا بالكم بالتفاصيل في الوقت الراهن.. هل نحن متفقان؟

نظرت (كُميٰت) لـ (رافدة) بنظرة «ما رأيك؟» فأومأت لها وهزت رأسها بالموافقة..

(أنهار) تنفس تجاه (رافدة): هيا بنا إذا.. لنرحل من هنا أحسنت (رافدة) فجأة بزوال الثقل عنها وتحررت سيقانها لتتمكن من الوقوف وهي متعجبة مما يحدث..

(أنهار) منادية على (دوسر): .. «(دوسر)!.. بيا اينجا!»
جري (دوسر) ومن خلفه (عوراء) الضاحكة وعند وقوفهما أمام (أنهار) قالت الصبية مبتهجة: (دوسر) صبي شقي يا حالة (أنهار)!
(أنهار) واضعة كفها خلف رأس الصبي الصغير ضاغطة وجهه لبطئها وبنبرة سعيدة: إنه فقط مسرور لوجودك معه وسيسر أكثر عندما يعلم بأنك ستتسافرين معنا

(دوسر) رافعاً وجهه الصغير نحو حاليه: حقاً!

(أنهار) ماسحة على رأسه مبتسمة: نعم.. سترافقنا (عوراء)



(عوراء) لأنخيها بحمس: هل حقاً ماتقوله الخالة (أنمار)؟!

(كميت) ببرود: نعم صحيح.. لقد كانت مصرة على أن تكوني مع (دوسن)

(عوراء) تندفع وتعانق (أنمار): شكرأ يا خالة!

في تلك اللحظة فتحت (أنمار) فمها واتسعت عيناهما وكأنها أحست بألم في صدرها أو أصبت بضربة في بطنهما وبقيت على هذه الحالة حتى فكت (عوراء) عناقها وساحت (دوسن) من ذراعه وعانته هو الآخر. بقيت (أنمار) تحدق بالصبية المعانقة لـ (دوسن) بذهول وهي تنفس بثقل وعلى محياتها ظهرت معالم الرهبة والجزع. لاحظت الفتاتان ما حدث لها فقامت (رافدة) بوكرز (كميت) بطرف كوعها فقالت الحجازية بصوت خفيض ونظرها على الفارسية المرهقة: «نعم.. نعم.. رأيت ما حدث..»

مسحت (أنمار) بعض اللعاب الذي سال من زاوية فمها على ذقنها ونصبت قامتها التي انحنىت مما حدث للتو وقالت بصوت مرتبك: هيا لنرحل..



(رافدة): نرحل إلى أين؟.. هل نسيت أننا لا نملك أي دواب؟

(كُميٰت): هل سنسير على أقدامنا في الصحراء؟.. نحن مجردات من السلاح

(أنهار) تمسح شعر غرتها الذي تبعثر وتهذب هنداها: لا حاجة لنا بالدواب أو السلاح

(رافدة): كيف لا نحتاجها؟.. الصحراء مكان خطر خصوصاً في الليل
(دوسر) بحماس: الحالة (أنهار) يمكنها الطيران!

(عوراء) بتعجب: حقاً؟!

(دوسر): نعم!.. نحن نطير على الدوام من مكان لمكان!.. أخبريهن يا حالة!

(رافدة): أنت ساحرة إذاً
(أنهار): ألم يتضح ذلك مما حدث مع من هاجمك؟.. هل لديك مشكلة مع الساحرات؟

صممت (رافدة) ولم ترد وبقيت تحدق في (أنهار) بربية..

(أنهار): ابقين هنا حتى أعود

(كُميٰت): إلى أين ستذهبين؟

(أنهار) مشيرة لتلة قريبة: للصلوة..

(عوراء): الصلاة؟

(أنهار): نعم.. هل تريدين مشاركتي الصلاة مع (دوسن)؟

(عوراء) بحماس: نعم!

(أنهار) تسير نحو التلة: اتبعاني إذاً

شدت (عوراء) يد (دوسن) وتبعـت (أنهار) المتجهة نحو التلة الرملية..

(رافدة) لـ (كُميٰت) وهي تراقبـهم يبتعدـون: ما زلت أجد صعوبة في
تصديق أن ساحرة متمكنة مثلـها بحاجة لنا

(كُميٰت) تشارـكـها النظر: لم الاستغراب؟.. ألم تكن القائدة بحاجتنا؟

(رافدة) ملتفـة نحوـها: هل نسيـت أم تـتنـاسـين؟.. جـمـيعـنا أـتـيـنا معـها
بـالـتوـسـلـ إـلـيـها أو الإـصـرـارـ عـلـيـها وـ(ـزمـجـدـ) أـهـدـيـ لها رـغـماً عـنـها..

الـسـاحـرـاتـ لا يـحـبـبـنـ الرـفـقةـ

(كُميٰت): إلا إذا كـنـ يـنـوـينـ تـشـكـيلـ عـصـبةـ

(رافدة): وهل ترين أننا نملك مقومات تجعلنا جذابات ليتم ضمـنا
لـأي عصبة وخصوصاً عصبة ساحرة؟.. لا.. الأمر مختلف
(كـُميـت): ماذا تـريـد هذه الغـرـيبة منـا إـذـا؟

(رافدة) وهي تشاهد (أنمار) في الأفق تجلس على ركبتيها وتطلب من
الصـغـيرـين أن يجلسـا بـجـانـبـها: لا أـعـرـف لـكـنـها صـادـقـة فيـأـمـرـ وـاحـدـ
فـقـطـ..

(كـُميـت): ما هو؟
(رافدة): أنا بـحـاجـة لـحـماـيـتها.. فيـوقـتـ الـراـهـنـ عـلـىـ الأـقـلـ.. لوـ
تـعـرـضـنـا لـأـيـ هـجـومـ منـأـبـسـطـ مـتـنـورـ فـسـنـلاـقـيـ حـتـفـنـاـ بلاـ شـكـ
(كـُميـت): سـنـبـقـىـ معـهـاـ إـذـاـ حتـىـ نـتـخـلـصـ منـ المـارـانـ وـمـنـ مـطـارـدـةـ
المـتـنـورـينـ

(رافدة): نـعـمـ وـلـنـرـىـ ماـذـاـ تـضـمـرـ لـنـاـ.. خـيـرـاـ كـانـ أـمـ شـرـاـ فـلـنـكـنـ حـذـراتـ
مـنـهـاـ عـلـىـ الدـوـامـ.



واحة الأيتام

بقيت الأختان تراقبان (أنهار) التي أشعلت ناراً أمامها ثم أخرجت سبحة خشبية من حقيبتها الجلدية وضمت كفيها بعضها البعض مغمضة عينيها وبدأت تتمتم وتهمس بينما كانت (عوراء) و(دوسر) يحاولان تقليلها. بعد فترة قصيرة انتهت الفارسية من طقوسها ونهضت وبدأت بالسير عائدة نحوهما والصغيران يتبعانها.

(رافدة) بعد ما وصلوا عندهما: هل انتهيت؟

(أنهار): «بلي...»

(رافدة): ماذا؟

(أنهار) باسطة ذراعيها جانياً: الآن.. ليمسك كل منا بيد الآخر

وشكلوا حلقة



(رافدة) بتهكم: لماذا؟.. هل سنلعب لعبة؟

(عوراء) ممسكة بيد (دوسن): أنا أحب الألعاب؟!

(دوسن) والذي بدوره أمسك بيد (أنهار) متocomمساً: لا لا.. سوف نطير
الآن!

(أنهار) تمد يدها لـ (كميت) بصمت..

أمسكت الحجازية بيد الفارسية بيد وباليد الأخرى أمسكت يد (رافدة)
التيأغلقت الدائرة بالإمساك بيد (عوراء) ثم قالت: ماذا الآن؟

(أنهار): أغمضوا أعينكم ولا تفتحوها حتى أقول لكم

أغمض الجميع أعينهم بصمت عدا (رافدة) التي كانت تزفر متذمرة..

بعد عدة ثوانٍ سمع الجميع (أنهار) وهي تقول: يمكنكم فتحها الآن
فتح الجميع أعينهم ليجدوا أنفسهم في غابة بأشجار نخيل شاهقة
وصوت الكائنات الليلية من طيور وحشرات يزن ويطن حولهم
فقالت (كميت): أين نحن؟

(أنهار) ماسحة كفيها بعضها بعض مشعلة ناراً أمامها: سنبيت هنا
الليلة



(عوراء) مختضنة (دوسراً): المكان مخيف

(رافدة): كيف وصلنا إلى هنا؟

(أنهار) وهي تجلس أمام النار: طلسم الانتقال..

(رافدة): طلسم ماذا؟

(أنهار): أنصحك بعدم السؤال كثيراً خلال رحلتنا لأنك سترين الكثير من الأمور التي ستتفوق معرفتك وفهمك

(رافدة) بتجهم: أنا لست غبية ومن حقي أن أعرف كل شيء يدور حولي!

(كميت) تشد على ساعد (رافدة) قائلة: هذا ليس وقته!

تجاهلت (أنهار) حديث البدوية الغاضب وأشارت باسمة لـ (دوسراً) و(عوراء) بالجلوس بجانبها..

(كميت) لـ (رافدة) وهي تمسك يدها بهدوء: هي لنجلس أمام النار ساحت (رافدة) يدها بغضب مكبوت وجلست أمام (أنهار) مباشرة وألسنة النار المشتعلة ترافق بينهما وبقيت تحدق بها وتتبادل النظارات معها بعبوس لكن الفارسية تجاهلتها وأخذت تداعب وتلاعب الصبي



والصبية وتمازحهما ضاحكة. جلست (كميت) بجانب أختها الغاضبة واضعة كفها على كتفها ثم هزته برفق في إشارة لها بأن تهدئ من توتها لكن البدوية لم تزح نظرها عن الفارسية وقالت لها: ماذا الآن؟.. هل يمكن أن تتفضلي علينا بشرح سبب وجودنا في هذا المكان الموحش؟ (أنهار) واضعة كفها على رأس (دوسن) محدقة فيه باسمة ومحدثة نفسها بصوت مسموع للجميع:

«لقد طلبت مني تحقيق حلمها.. حلم أبيها (آشور).. لكنني لم أقوَ على ذلك.. أخبرتها بأنني لن أستطيع لكنها أصرت عليّ بقولها: «ستنجين يا هجينة.. ستتحققين حلمي وحلمنا جميعاً».. لسوء حظك يا حالة ساحرتك الهجينة كان لها أحلامها الخاصة ومن ضمنها أن لا تغدر بشعب أمها..»

(دوسن): الحالة (أفسار) البغيضة التي تأتيك خلال منامك وتجعلك تبكين؟

(أنهار) باسمة بحزن: نعم يا عزيزي (دوسن) متوجهًا: أكرهها لأنكِ تبكين عندما تزورك!



(كُميٰت): عمن تتحدثين؟

(أنهار) مديرة نظرها نحو (رافدة) و(كُميٰت): من سلبتي حياتي في الماضي.. أدركت متأخراً أنها كانت أسوأ شيء حدث في حياتي.. بسببها.. فقدت ابتسامتى.. وخسرت كرامتى.. ولم يبق سوى سخطي.. سخطي عليها وعلى كل ما تؤمن به بالرغم من أنها هي من علمتني كل شيء أعرفه الآن لكن ومع ذلك لن أسماحها أبداً
(رافدة): أنتِ تدركين أننا لا نفهم شيئاً من حديثك..

ابتسمت (أنهار) وأخذت رأس (دوسن) ووضعته على فخذها الأيمن وهي متربعة أمام النار وطلبت من (عوراء) أن تفعل المثل على فخذها الأيسر وعندما استلقيا على ذلك الوضع وأعينها تحدق بالنار المشتعلة مسحت بيديها على وجوههما ليغطا مباشرة في نوم عميق ثم قالت: يمكننا الحديث بأريحية الآن.

(كُميٰت): وما نوع الحديث الذي لا تريدين منها سماعه؟

(أنهار): الأطفال في عمرهما يجب أن لا يسمعوا كل شيء.. لا أريد سلبهما طفولتها قبل أوانها.. الذين يفقدون آباءهم وهم بعمر صغير يصابون بشيء في عقولهم

(كُميٰت): هل تقصدين أنهم مجانيٰن؟

(أنهار) مبتسمة: لا لم أقصد ذلك لكن..

(رافدة): ماذا يعني كلامك هذا إذاً؟

(أنهار): أعني أنهم يصابون بشيءٍ من.. شيءٍ من الخلل.. وهم لا يحتاجون سماع المزيد من المأسى

(رافدة): هذا الصبي ليس ابنك.. أليس كذلك؟

(أنهار): لم أحمله في بطني لكنني حملته على ظهري..

(رافدة): سرقته من أهله؟

(أنهار): الموت سرقهم منه قبل ذلك.. (دوسراً) يتيمٌ مثلِي وكان يعيش حياة صعبة جدًا عندما وجدته وقد انتزعته من أحضان تلك الحياة القاسية قبل أن تفعل به ما فعلته بي

(كُميٰت): الأيتام كثُر.. لمَّا وقع اختياركِ عليه هو بالذات؟

(أنهار) موجهة نظرها لـ (دوسراً) الغارق في النوم بفم مفتوح مبتسمة: هو من اختياري وليس العكس..

شعرت بالاختناق بعدم الارتياح وهمَا شاهدان (أنهار) تمسح على رأس

(دوسر) المستند على حجرها أمام النار بطريقة عبرت عن هوسها به وهي تقول:

«هو النور الذي أشراق في ظلمة حياتي وأنا سعيدة لأن الأقدار أتت به
وجلبته لي وها هي الآن تأتي بالجميلة (عوراء) أيضاً لتشاركنا حياتنا..
هي يتيمة أيضاً ودخلت قلوبنا دون استئذان..»

(رافدة) بتجهم: أخبرتِ سابقاً بأنها ليست جارية لتأخذها معك
(أنهار) رافعة رأسها وبأعين جادة تلمع مع السنة اللهب: ومن
سيمنعني؟.. أنتِ؟

صمتت (رافدة) بوجهٍ محتقن لكنها لم ترد..

(كميت) محاولة تغيير الموضوع قبل أن يحتمد النقاش أكثر: ألن تخبرينا
ماذا تريدين منا مقابل مساعدتنا في قتل (الماران)؟

(أنهار): أنا أنوي العودة لـ «فارس».. فبالرغم من عشقني لأرض أمي
إلا أن «ديلم» لا تزال تسكتني وأريد العودة إليها

(رافدة): وما الذي يمنعك؟.. عودي..

(أنهار): لا أستطيع العودة لـ «فارس» وهي لا تزال هناك.. سوف



تعقبني وتعاقبني ولا شك بأنها ستقتلني لتخاذلي عن تنفيذ المهمة
التي أوكلتها لي لذا يجب أن أقتلها أنا قبلها إن كنت أريد استعادة حيالي
وخلاتي ليست ساحرة هينة فالطلاسم التي علمتني إياها من السحر
الأسود ما هي سوى غيضٍ من فيض علمها العميق ولهذا السبب
بقيت في «عربستان» لسنوات أعمل على تقوية نفسي وصقل مهاراتي
لأكون مستعدة لمواجهتها وأتمكن من دحرها ودحر كل من قد يقف
معها ويساعدها غالباً سيكونَ أخواتي

(كميت): ألم تقولي بأنكِ يتيمة؟

(أنهار): أخواتي في العصبة.. لا بد وأنهن الآن من أقوى ساحرات
«فارس» ومواجهة الحالة (أفسار) تعني مواجهتهن أيضاً لكن تراب
«ديلم» يستحق مني المحاولة وسوف أنجح

(رافدة): أكره أن أحبط طموحك لكنني مع أخي لسنا مقاتلين
قويتين لهذا الحد وقد رأيت ذلك خلال مواجهتنا مع المتنور

(أنهار): لا أريد منكما القتال معي.. أريد شيئاً آخر.. مساعدتي في جمع
آخر لبنيات حصني المنبع ضد (أفسار بنت آشور).. سأريكما شيئاً



أزاحت (أنهار) رأس (دوسر) عن فخذها بهدوء ووضعته على الأرض
برفق وبالمثل فعلت مع (عوراء) ثم نهضت من مكانها وأشارت
للفتاتين بأن تبعاها وسط الغابة الكثيفة.

(كُميٰت) تقف متسائلة: سنتركهما وحدهما هنا أمام النار؟.. هل المكان
آمن؟

لم ترد الساحرة الهجينة عليها واختفت خلف أشجار النخيل المتقاربة..

(رافدة) وهي لا تزال جالسة: هل سنلحق بها كما تريده؟

(كُميٰت) ونظرها للغابة الكثيفة المظلمة: وهل أمامنا خيار آخر؟

(رافدة) تنهض وتقف بجانب أختها وتشاركها النظر: حسناً لكن
لنكن حذرتين منها فطريقة كلامها وعيتها خلال حديثها معنا تدل
على أنها امرأة غير مستقرة

(كُميٰت) مبتسمة: تقصدين أنها مجنونة؟

(رافدة) تبدأ بالسير نحو الغابة: ليتها مجنونة فقط..

سارت الاشتنان بين جذوع النخيل شبه المتلاصقة وبسبب تقاربها لم
يكن هناك الكثير من نور قمر السماء ينفذ إليهما ليوفر رؤية أفضل لكن



ومع ذلك استمرت بالسير حتى خرجتا لبحيرة مستديرة مع سطحها
وتلاؤاً بسبب ضوء القمر شبه المكتمل ورأتا الساحرة الهجينة تقف
عند طرفها تتأمل المنظر بهدوء. اقتربت الفتاتان ووقفتا خلفها صامتتين
فبدأت (أنهار) بخلع ملابسها بالكامل وهمَا تراقبانها بتعجب وبعد ما
رمت آخر قطعة على الأرض قفزت في الماء وأخذت تسبح على ظهرها
متأملة النجوم.

(رافدة): هل رأيت جسدها؟.. إنه ممتليء بالنُّدب والحروق بأشكالٍ
وأحجامٍ مختلفة... ذكرتني بجسد (عوراء)..

(كميت): الماء بارد جدًا في هذا الوقت من العام وغير ملائم للاستحمام
في تلك اللحظة أشارت (أنهار) لهما من وسط البحيرة بالانضمام إليها..

(رافدة): انظري.. إنها تطلب منا أن نعوم معها

(كميت): هل سنعوم بملابسنا؟

(رافدة): ومن قال بأني سأفعل؟.. لا أظنني أستطيع ذلك

(كميت): هل تخجلين منها أو مني؟

(رافدة) بتهمكم: أنت بالكاد تظہرين وجھك فلا تتحدى عن الخجل

(كُميٰت) وقد بدأت بخلع ملابسها: حسناً سترى من هنا يخجل من الآخر

(رافدة) ضاحكة: آه لو رأتك العمة الآن!

(كُميٰت) وهي تقفز في الماء بعد ما رمت بملابسها فوق ملابس (أنهار):
بانتظارك يا بدوية!

ترددت (رافدة) بالانضمام إليهما وبقيت عند طرف البحيرة وهي تشاهد (كُميٰت) تعوم نحو الساحرة الهجينة التي توسيطت سطح الماء..
وصلت الحجازية لـ (أنهار) ومسحت قطرات الماء من على وجهها
وحدقت بأعينها المميزة كأعين القطط في الساحرة الهجينة التي قالت لها: «چشمان شما بسیار زیبات... به خصوص با مهتاب..»
(كُميٰت): ماذا تقولين؟

(أنهار) مبتسمة: عيناك جميلتان جدًا.. خصوصاً مع ضوء القمر
(كُميٰت) مستدركة بابتسمة حزينة: عند ولادي قالوا لأمي بأنه عيب
في خلقي

(أنهار): الخالق لا يخلق عيوبًا.. فقط نحن من نعيوب بأنفسنا حسب
أهوائنا..



(كُميٰت): سهل على جميلة مثلك أن تقول مثل هذا الكلام
(أنهار) ماسحة بعض الماء بكفها من على شفتيها وهي تضحك: هل
تعتقدين أني جميلة؟

(كُميٰت): هذه حقيقة جلية دون أن أقوها ولا تظاهري بأنك لا
تعرفين ذلك

(أنهار): سيبقى الجميل جميلاً وإن وجدنا ما هو أجمل.. وأنتِ جميلة يا
(كُميٰت)

صمتت الحجازية خجلاً ولم ترد..

(أنهار) مستأنفة حديثها: هل تعرفين أن جمالي الذي تتحدثين عنه هو
سبب شقائي.. لولاه لما وقع على الاختيار وبقيت مكانی بدار الأيتام
في «ديلم» أعيش بهدوء

(كُميٰت): النُّدب والحرائق المتشربة على جسدك هل هي جزء من هذا
الشقاء؟

(أنهار) متتجاهلة سؤال الحجازية ملتفة إلى (رافدة) عند طرف البحيرة
البعيد: لم لم تأتِ أختك؟

(كُميٰت) تشاركتها النظر قائلة: لا أعرف.. لعلها لا تريد السباحة في

الماء البارد

(أنهار) معيدة نظرها لـ (كُميٰت) التي لا تزال تحدق في (رافدة): لكنك
أنتِ أردتِ ذلك..

(كُميٰت) دون أن تحيد بنظرها عن أختها: نعم..

(أنهار): ما هي أحلامك؟

(كُميٰت) مديرية نظرها للساحرة الهجينة: ماذا؟

(أنهار): أحلامك.. ما هي؟

(كُميٰت): أنا أحلم بالسعادة فقط.. وأنتِ؟

(أنهار): أنا أبحث عنها ولا أحلم بها..

(كُميٰت): لن تجديها في هذه الواحة المخيفة بلا شك
ابتسمت الساحرة الهجينة ولم ترد وعوضاً عن ذلك دفعت بكفيها
سطح الماء لترتطم موجة منه برقبة (كُميٰت) التي تفاجأت ضاحكة
وقالت: ماذا تفعلين؟!

(أنهار) تشاركتها الضحك قائلة: عيناك غريبتان!



(كُميٰت) مبتسمة ماسحة عينيها من الماء الذي دخلهما: نعم نعم أعرف
لقد أقررت بذلك سابقاً

(أنهار): نادي على أختك.. يجب أن تدخل الماء معنا لنتحدث في أمرٍ
هام

(كُميٰت) باستغراب: يجب؟.. لنعد نحن إليها ونتحدث معها هناك
(أنهار): لا.. سيسمعوننا لو تحدثنا في مكان آخر فهم لا يستطيعون
استراق السمع هنا

(كُميٰت): عمن تتحدثين؟

(أنهار): اذهبِي فقط وأقنعيها بأن تأتي.. ويجب ألا تدخل بملابسها
وإلا فسيتمكنون من الإنصات إلى أحاديثنا
(كُميٰت) تهم بالعودة بوجهٍ متعجب: حسناً..

(رافدة) وهي جالسة تراقب أختها تعود عائدة نحوها: ما الذي حدث
بينهما كي تعود بهذه السرعة؟

عندما أصبحت (كُميٰت) عند مسافة قريبة من طرف البحيرة بحيث
يكون صوتها مسموعاً لأختها نادت عليها قائلة: الفارسية تريدك أن
تأتي..!



(رافدة): أخبرها بأنني لا أريد السباحة

(كُميٰت): الماء ليس بذلك السوء وبرودته تزول بعد ما تغطسين فيه

(رافدة) ونظرها يوجه لـ (أنهار) البعيدة وسط البحيرة: هذا ليس

السبب في عدم رغبتي في السباحة.. هذه المرأة غريبة ولا أريد أن أكون

حولها كثيراً

(كُميٰت) مقتربة أكثر لطرف البحيرة: تقول بأنها تريد إخبارنا بشيء

مهم ولا ترغب في التحدث دون أن تكوني موجودة.. وقالت أيضاً

بأننا لا بد وأن نخلع ملابسنا قبل العوم وإلا فلن تتمكن من الحديث

معنا

(رافدة): وهل صدقتِ كلامها؟.. هذه حيلة منها

(كُميٰت): حيلة لأي غرض؟

(رافدة): لا أعرف لكن الأمر مرتب

(كُميٰت): ماذا أخبرها إذاً؟

(رافدة): قولي لها بأن أختي ليست حمقاء مثلـ

(كُميٰت) بسخرية: تريدين مني أن أكذب؟

(رافدة) مبتسمة: لو ترين شكلك الآن بشعرك المبلول وعينيك ذواتي
السوداد الصغير فستعرفين أني على حق وأنك بالفعل حمقاء وأن هذه
المجنونة ستقودك للتهلكة

(كميت) تبادلها الابتسام: لا تتركي أختك الحمقاء إذاً وحدّها مع المرأة
المجنونة

(رافدة) تقف وتبدأ بخلع ملابسها: لو اقتربت مني تلك الفارسية
فسأصفعها

(كميت) تهم بالعودة لوسط البحيرة باسمة: سنكون بانتظارك!
قبل أن تصل الحجازية لـ (أنمار) سمعت (رافدة) تصرخ فتوقفت عن
العوم ونادت عليها: ما بك؟!.. ما الذي حدث؟!

(رافدة) صارخة فيها بعصبية: الماء كالصقير!.. لقد خدعوني!
(كميت) ضاحكة: ستعتادين عليه أعدك بذلك!
(أنمار) لـ (رافدة) بعد وصوتها إليهما: سعيدة بأنك قررت الانضمام
إلينا

(رافدة) بتهمكم: المهم أن تكوني راضية يا سيدتي

ضحكـت (كـميـت) وـهي تعـصـر المـاء مـن أـنـفـها بـإـبـاهـمـها وـسـبـابـتها وـقـالـتـ: كـفـي عـنـ ذـلـكـ!

(أـنـهـارـ): أـعـرـفـ أـنـ ما طـلـبـتـهـ منـكـمـاـ غـرـيبـ لـكـنـهـ كـانـ ضـرـورـيـاـ كـيـ لاـ يـسـمـعـونـاـ

(راـفـدـةـ): الـمـسـكـيـنـانـ غـطـاـ فـي نـوـمـ عـمـيقـ بـعـدـ ما مـسـحـتـ عـلـىـ وـجـوـهـهـاـ.. لـمـ أـرـ (عـورـاءـ) تـشـخـرـ بـهـذـاـ الشـكـلـ مـنـ قـبـلـ وـلـمـ يـسـتـدـعـ الـأـمـرـ هـذـاـ كـلـهـ

(أـنـهـارـ): أـنـاـ لـأـعـنـيـ (دوـسـرـ) وـ(عـورـاءـ).. بلـ أـتـحدـثـ عـنـ الـجـنـ الـقـاطـنـينـ هـنـاـ

(كـميـتـ) بـتـوـتـرـ: جـنـ؟

(أـنـهـارـ): نـعـمـ.. نـحـنـ فـيـ «واـحةـ الـجـنـ» فـيـ «الـصـحـراءـ الـخـاوـيـةـ»

(راـفـدـةـ) وـأـكـتـافـهـاـ تـرـجـفـ: وـلـمـ جـلـبـتـنـاـ إـلـىـ هـنـاـ؟

(كـميـتـ): لـمـ تـرـجـفـينـ؟.. هـلـ أـنـتـ خـائـفـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ

(راـفـدـةـ): لـاـ يـاـ حـمـقـاءـ.. أـنـاـ لـمـ أـعـتـدـ عـلـىـ بـرـودـةـ الـمـاءـ كـمـاـ قـلـتـ وـسـوـفـ أـصـابـ بـالـمـرـضـ بـسـبـبـكـ!

(أـنـهـارـ): الـجـنـ هـنـاـ لـاـ يـمـكـنـهـمـ الـاقـتـرـابـ مـنـ وـسـطـ الـبـحـيرـةـ.. حدـودـهـمـ تـنـتـهـيـ عـنـ أـطـرـافـهـاـ وـهـذـاـ السـبـبـ هـنـاـ أـنـسـبـ مـكـانـ لـلـحـدـيـثـ وـخـلـعـ مـلـابـسـكـمـاـ كـانـ ضـرـورـيـاـ لـمـنـعـ أـيـ مـنـهـمـ مـنـ رـكـوبـ أـكـتـافـكـمـاـ



(رافدة): الجزئية الأخيرة من حديثك ليست مقنعة لكن أكملني فالأمر

برمته جنون

(أنمار): أخبرتكما أني أسعى لتنمية نفسي لمواجهة خالي وأخواتي والطلاسم وحدها ليست كافية حتى بعد ما تعلمت طلاسم غير التي لقنتها لي معلمتي الأولى والتي نقلتني لمرحلة تفوقت بها على الكثير من السحرة ومع ذلك ما زلت غير واثقة من قدرتي على الانتصار عليهنّ لذا سعيت للحصول على أمور أخرى

(كميت): أمور مثل ماذا؟

(أنمار): قدرات إضافية لا يمكن الحصول عليها بالسحر أو الطلاسم.. وقد جلت «عربستان» كلها بحثاً عن كل ما يمكنه أن يزيد من قوتي ويعطيني اليد العليا في مواجهة ما أنا مقبلة عليه وقد حضرت مرادي في ثلاثة أشياء.. أحدها مدفون في هذه الواحة ولا أستطيع الحصول عليه إلا بمساعدتكما.. هل فهمتها؟

(رافدة) وهي تعقد شعرها الطويل بقبضتيها وتعصره: إذا كانت القطة الحجازية فهمت فأنا فهمت

(كميٰت) لـ (أنهار) باهتمام: وما هو الشيء المدفون هنا ولم لا تخرجينه
أنتِ بنفسك؟

(أنهار): القناع الذهبي.. قناع (أديس) ابنة الشيطان الأسير.. لا شك بأنكما تعرفانها

(رافدة) بسخرية: نعم لقد تناولنا معها العشاء قبل عدة أشهر
تجهمت (أنهار) من طريقة البدوية الساخرة في الحديث فقالت (كُميٰت)
لها بشيء من العتب: كوني جادة!

(رافدة) متهكمة بلا اكترا ث: ألا تسمعينها؟.. أي عاقل يصدق مثل هذا الكلام؟

(كميت): أعتقد أننا رأينا مع العمة ما يكفي لتصديق مثل هذا الأمر..
هل نسيت الوشق؟

(أنهار): هل ترغبين في سماع قصة أخرى؟.. وأعدك أن لها نهاية

(رافدة) وهي تمسح على زندتها من البرد: هل ستكون طويلة؟



الفارس المخلد

ذبابة..

تطير وسط قاعة كبيرة..

تعبر بين مجموعة من الحراس المدججين بالحراب والسيوف..

تستمر الحشرة الصغيرة بالتحليق وتشق طريقها باتجاه عرشٍ ضخمٍ

مصنوع من الذهب والجاج..

توسط العرش نهاية تلك القاعة الكبيرة حيث جلس عليه ملك عظيم

بوجهِ شاحب سكنه الخوف والقلق الشديد..

و قبل أن تخط الذبابة بأقدامها الهزيلة على أنف الملك خطفها نصل

سهمٍ حاد و ثبتها على أقرب جدار..

يشد الرامي سهماً آخر على قوسه ويوجهه نحو بوابة القاعة كحال

العشرات من الرماة المنتشرين حول الملك..



(الملك) لوزيره الواقف بجانبه: هل هناك أي أخبار عن مكانه الآن؟

(الوزير): بلغنا أنه اخترق آخر حاجز بيننا وبينه وهو حالياً متوجه نحو

القصر

(الملك): وكم المسافة التي تفصلنا عنه؟

(الوزير): مسيرة نصف يوم بالخيول ويوم بالجمال

(الملك): وأيها يستخدم؟

(الوزير): إنه يجري يا جلالـة الملك

(الملك) مدبراً نظره للوزير وبنبرة مشبعة بالجزع: يجري؟!

قبل هذا اليوم بـ... شـر

مزارع من «بلاد ما بين النهرين» يدخل سوقاً كبيراً يتبع قرية مشهورة عرف بـ «سوق المحاصيل» لأن جميع التجار والمزارعين وأصحاب الحرف يأتون إليه لعرض منتجاتهم فيه وللتزود بما يحتاجونه من موئن لإنتاج المزيد. قدم المزارع من مزرعته الواقعة عند ضفاف نهر يبعد



عن منطقة السوق مسيرة ربع يوم تقريباً. أتى مع زوجته التي تزوجها حديثاً بفارق عمر كبير بينهما فهو كان في منتصف عقده الرابع من العمر وهي لا تزال في بداية عقدها الثاني وخلال تجوهها بين المحلات والدكاكين لشراء بعض الحاجيات لمزرعتهما قالت الزوجة: «سوق هذه القرية لا يوفر كل ما نحتاجه.. لم لا نسافر يوماً للمدينة ونبتاع كل لوازمنا من سوقها يا (قِهاد)؟»

(قِهاد) مبتسماً: هذا السوق من أكبر وأشهر الأسواق بالبلاد ثم كيف لنا أن نقطع رحلة طويلة كهذه يا (شادِن) وترك مزرعتنا ومواشينا دون رقيب؟

(شادِن): اذهب أنت وأنا سأبقى للعناية بها
(قِهاد) ممازحاً: أنت أكثرهم حاجة للعناية
(شادِن) بتوجههم: ماذا تقصد؟!.. هل أنا إحدى بهائمك التي ترعاها؟!
(قِهاد) ضاحكاً: لا لا لم أقصد!.. حسناً لك ذلك.. سوف أبحث عن شخص ليقى في المزرعة خلال غيابنا وسأحقق رغبتك
(شادِن) مقلبة بعض قطع الفاكهة عند محل الخضروات بوجه عابس:



يجب أن تكون رغبتك أنت أيضاً.. المزرعة تحتاج الكثير من المعدات
كي تقوم بإنتاج محاصيل تستحق البيع
(قِهَاد) متأملاً ملامح زوجته العابسة بابتسامة رضا: أمرك يا جلالـة
الملـكة

(شـادـن) تضع بعض التفاح في سلة من الخصـير جـلبـاـها معـهـما: من
المعـيب أنـنا كـمزـارـعـين نـقـوم بـشـرـاءـ الفـاكـهـةـ.. منـ المـفـتـرـضـ أنـ نـأـكـلـ منـ
محـاصـيـلـنـاـ.. أـرـيدـ زـرـاعـةـ شـجـرـةـ تـفـاحـ فيـ مـزـرـعـتـنـاـ

(قِهَاد) وـهـوـ يـعـاوـنـهـ فـيـ اـنـتـقـاءـ حـبـاتـ التـفـاحـ: زـرـاعـةـ التـفـاحـ لـيـسـ بـالـأـمـرـ
الـسـهـلـ وـحـصـادـ مـحـصـوـلـهـ يـسـتـغـرـقـ وـقـتـاـ طـوـيـلـاـ

(شـادـن) تـمـدـ لـلـبـائـعـ ثـمـنـ التـفـاحـ وـهـيـ تـقـولـ لـزـوـجـهـ: أـيـ نـوـعـ مـنـ
المـزـارـعـينـ أـنـتـ؟ـ.. أـبـيـ كـانـ يـقـولـ دـوـمـاـ إـنـ مـنـ لـاـ يـزـرـعـ التـفـاحـ لـاـ يـعـرـفـ
مـتـعـةـ الـفـلاـحةـ؟ـ

(قِهَاد) بتـوـدـدـ: أـهـذـاـ قـامـ بـزـرـاعـتـكـ؟ـ

(شـادـن) تـدـفعـ بـكـفـهـاـ وـجـهـ (قِهَاد) مـحاـولـةـ عـدـمـ الضـحـكـ: اـغـرـبـ عـنـ
وـجـهـيـ أـيـهـاـ الـمـزـارـعـ الـفـاشـلـ!



سار الاثنان ل محل آخر كان يعرض أدوات للطبخ وبعض البهارات
فتوقفت الزوجة عنده تتأمل معروضاته..

(قِهَاد) رافعاً السلة التي كادت تمتليء: ألم ننتبه؟ .. السلة أصبحت ثقيلة
(شادِن) وهي تتمعن في المنتجات المعروضة: استأجر من يحملها عنك
للمزرعة فأنا سأشترى الكثير من هذا المحل أم أنك لا تريد تناول
العشاء اليوم؟

(قِهَاد): إذا كنتِ ستطبخين الدجاجة الصفراء فسوف أستأجر عربة
كاملة لتوصل كل ما ستبتعدين

(شادِن) ملتفتة على زوجها: ما قصتك مع تلك الدجاجة؟

(قِهَاد) مستغرباً من سؤالها بأسماً: أي قصة؟
(شادِن): لا تظن أني لم ألاحظ أنك تحاول ومنذ أيام أن أذبح هذه
الدجاجة بالذات.. نحن نملك العشرات من الدجاجات وأنت تصر
على أن تكون الصفراء وجبيتك دون غيرها.. لماذا؟

(قِهَاد) ضاحكاً بتوتر: ما هذه الملاحظة الغريبة.. اذبحي أي واحدة
منها لا يهمني

(شادِن): هذا ما سيحدث لكن الفضول يقتلني لمعرفة لم هي بالذات؟..



تلك الدجاجة نحيلة ومعدومة اللحم وتنتج الكثير من البيض وأي مزارع يملك عقلاً لا يمكن أن يفكر بذبحها ولأنني أعرف تفكيرك أردت معرفة السبب

(قِهَاد) وهو يضع السلة على الأرض ضاحكاً: لقد كشفت أمري (شادِن) مبتسمة بغرور: وما الجديد؟.. هيا أفصح.. لم ترِدِ مني أن أذبحها؟

(قِهَاد): لأنها الدجاجة الوحيدة التي تنقر ديكنا على رأسه كلما اقترب منها

(شادِن) متعجبة من الإجابة: ماذا؟!.. هل أنت جاد؟!

(قِهَاد) مبتسمًا: نعم.. ديكنا وحيد بين عشرات الدجاجات الالاتي يتمنين نظرة منه وهي الوحيدة التي تتمن عنده وكأنها تملك رئيساً من ذهب

(شادِن) ضاحكة: ديكك أحمق مثلك!. ومن حقها أن ترفض اقتراب ذلك الديك الأعور منها

(قِهَاد) يشاركها الضحك قائلاً: ديككي أعور بسببها!



(شادِن): منذ اليوم هذه الدجاجة ستكون تحت حمايتي وسأطعّمها
بنفسي دون الدجاجات الأخريات وإياك أنت وديك الأعور
والاقتراب منها.. بل سوف أنقلها من العشة لتعيش معنا في المنزل..
ما رأيك؟

(قِهَاد): الخسارة لها فديكي لن يفتقدها
(شادِن) تعود لتفحص أدوات الطبخ بال محل: وهي لن تفتقد نظراته
المخيفة لها.. يكفي أنه كبير بالسن وفاقد لمعظم ريشه.. لو كان هناك
طائر يستحق الذبح في تلك العشة فهو ذلك الديك الأحول

(قِهَاد) ممازحاً: أعور وليس أحول
(شادِن) ممسكة بقدر صغير متوجهة: في كل الأحوال يستحق الذبح

(قِهَاد) مبتسماً: هل ما زلنا نتحدث عن الديك أم عن شخص آخر؟

(شادِن) متاجلة زوجها موجهة حديثها للبائع: بكم هذا القدر؟

(البائع): بدرهمين لكنه لا يكفي لطبع ديك..

ضحك (قِهَاد) على تعليق البائع فقامت الزوجة برمي القدر الصغير
بوجهه قائلة: لن نشتري منك شيئاً!

(قِهَاد) وهو مستمر بالضحك: ما بك يا صفراء؟!



رفعت الزوجة قدرًا آخر أكبر حجمًا وهمت بضرب رأس زوجها به لكنها توقفت عندما رأت فارسًا يمتطي جوادًا أسود ضخمًا يشق طريقه بين الناس في السوق. انتبه الزوج ملامح زوجته التي تغيرت للتوتر فوجه نظره حيث كانت تنظر ورأى الفارس يسير نحوهما. مد المزارع يده وأنزل القدر من قبضة زوجته الخائفة وقال لها: أبقي هنا ولا تتحركي..

هم الرجل بالسير نحو الفارس لكنها أمسكت بذراعه وبنبرة قلقة: إلى أين يا أحمق!

(قماد) مبتسمًا وبنبرة مطمئنة ونظره منصب إلى الفارس المدجج بالسلاح والدروع: لا تقلقي لن أغيب.. أكمل التسوق وانتقى الحاجيات التي تريدينها من المحل ريشما أعود

سار المزارع بين مجتمع الناس التي بدأت بالتنحي عن طريق ذلك الفارس المهيّب لأنّه كان يحمل على صدره شعار البلاط الملكي وعندما أصبح خطم الجواد عند وجه المزارع شد الفارس لجامه وترجل عنه وأخذ بعض خطوات نحو (قماد) الذي حدق به بحدة وصرامة. حنى



الفارس رأسه قليلاً وعلى عجلة وكأنه لا يريد أن يتبه له أحد وهو يقوم بذلك.

(قِيَادَ) بنبرة جادة: لا تفعل..

(الفارس الملكي): أعتذر يا سيدِي

(قِيَادَ): ما الأمر؟.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

(الفارس الملكي): لقد أتيت برسالة من الملك الأعظم حاكم البلاد

(قِيَادَ): أخبرتكم أكثر من مرة بأنني لن أعود

(الفارس الملكي): لكن جلالَةُ الملك..

(قِيَادَ) مقاطعاً: أعرف ما ستقوله سلفاً.. هذه ليست المرة الأولى التي تصلكي رسالة منه.. لقد تركت قيادة جيشه بموافقته فلم يتراجع الآن؟

(الفارس الملكي) مرتباً: أنا هنا فقط لإيصال رسالة

(قِيَادَ) بنبرة جادة وصارمة: أوصل هذه الرسالة لحالته إذاً.. أخبره

بأن (قِيَادَ) لا نية له بالعودة أبداً منها كانت المغريات

(الفارس الملكي): سأفعل.. لكن..

(قِيَادَ): لكن ماذا؟



(الفارس الملكي): أنت لا تعرفني شخصياً يا سيدِي لكنني خدمت
تحت إمرتك في حروب كثيرة وكان شرفاً لي فأنا لم أر قائداً مثلك لا من
قبل ولا من بعد

(قِمَاد): مُهْنَنْ هذَا الإطْرَاء.. لَكُنْ مِنْ خَلْفِنِي فِي الْمَنْصُبِ قَائِدٌ عَظِيمٌ وَلَه
بِطْوَلَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَنَا مِنْ رَشْحَتِهِ لِيَتَوَلِّ قِيَادَةَ جَيْشِ الْمَلْكِ مِنْ بَعْدِي

(الفارس الملكي): أَعْرُفُ يَا سَيِّدِي لِكُنْنَا لَمْ نَتَصَرِّ فِي حَرْبٍ وَاحِدَةٍ مِنْ
بَعْدِ رَحِيلِكَ وَالْمَلْكُ مُقْتَنِعٌ بِأَنَّ السَّبَبَ هُوَ خَسَارَةُ الْجَيْشِ لِقِيَادَتِكَ

(قِمَاد): نَصْرُ الْمَجْمُوعَةِ لَا يَتَحَقَّقُ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ.. الْجَمِيعُ يَشَارِكُونَ فِيهِ
(الفارس الملكي): لَا أَحَدٌ يُسْتَطِعُ قَوْلُ هَذَا لِحَلَّةِ الْمَلْكِ وَجْهًا لِوَجْهِ
غَيْرِكَ.. لِذَلِكَ لَوْ تَكْرَمْتَ وَأَتَيْتَ مَعِيْ وَ..

(قِمَاد) مُقاطِعاً: لَقَدْ بَدَأْتَ حَيَاةً جَدِيدَةً وَلَا نِيَةً لِي لِلصَّفَرِ وَالْعُودَةِ
لِلْعَاصِمَةِ لِإِقْنَاعِ أَحَدٍ بِشَيْءٍ.. رَافِقَتِكَ السَّلَامَةُ

حَنِيْ الفَارِسُ الْمَلْكِيُّ رَأْسَهُ بِصَمَتٍ قَبْلَ أَنْ يَرْكَبْ جَوَادَهُ وَيَعُودَ
أَدْرَاجَهِ..

استدار (قِمَاد) وَعَادَ لِزَوْجِهِ بِاسْمِهِ: هَلْ اخْتَرْتِ مَا تَرِيدِينَ؟



(شادِن) وهي تراقب غبار جواد الفارس الملكي المنطلق في الأفق: من
كان ذلك الرجل وماذا كان يريد منك؟

(قِهاد): لا شيء.. صديق قديم

(شادِن): هذا فارس من البلاط الملكي.. كيف لمزارع بسيط مثلك أن
يعرفه؟

(قِهاد) ضاحكاً: لم كل هذه الاستهانة بي؟!.. قمت بالتجارة معه في
الماضي وهذا سبب معرفتي به

(شادِن): أنا لا أستهين بك لكن لا خير يأتي من هؤلاء القوم وأنت
تعرف ذلك

(قِهاد): هؤلاء القوم هم من يحكموننا ويحكمون مدننا
(شادِن): تتحدث وكأنك لا تعرف ملوكنا وبطشه بشعبه قبل الشعوب
المجاورة لقد ابتلينا بحاكم لا يرانا سوى مصدرٍ لزيادة ثروته وسلطته..

حاكم ظالم بقلبٍ مظلم

(قِهاد): وما الذي أصابك من الملك كي تقولي بأنه ظالم؟

(شادِن): عندما ترى الأبراء يخسرون العقاب والسخط وهم لم يقترفوا
شيئاً فاعلم أن من يحكمهم طاغية..



(قِهَاد): الملك يملك بعض الصفات الحسنة فلا تظلميه أنت بهذا الحكم المسبق

(شادِن): أنا مؤمنة بأن الناس جمِيعاً في أصلهم طيبون لكن ما أنا مقتنعة به أكثر هو أنك لن تؤمن بوجود الخير حتى تؤمن بوجود الشر ..

(قِهَاد) رافعاً صرة من الفجل من السلة معناً النظر إليها باسماً: هل يمكن أن نغير الموضوع؟

(شادِن): أعدك بأني لن أتحدث فيه مرة أخرى لكن اقطع أنت وعداً لي في المقابل

(قِهَاد) وهو يشد على مقابض السلة الثقيلة ويرفعها: أعدك بماذا يا عزيزتي؟

(شادِن) بنبرة حزينة مشبعة بالقلق: أن لا تخفي علي شيئاً قد يسلبك مني .. أنت ما تبقى لي بعد موت أبي ولا أريد أن أخسرك أنت أيضاً

(قِهَاد) مبتسماً: لا تقلقي من هذه الناحية سأبقى لصيقاً لك مدى الحياة وحتى بعد الممات

(شادِن): عدني بذلك ..



(قِمَاد): أعدك وأقسم لك بعده المرات التي قلت فيها أحبك..

(شادِن) وهي تسير مبتعدة عن المحل مبتسمة: لا تستشهد بذلك فأنت

لم تقلها لي منذ زمن طويل

(قِمَاد) يتبعها حاملاً السلة ويقول: لكنني أثبتها لك كل يوم أليس كذلك؟!

(شادِن): أحتاج لسماعها من وقتٍ آخر..

(قِمَاد) محدثاً نفسه: شتان بين من يقوها لك ويريد سماعها منك وبين من يثبتها لك كل يوم بصمت..

استمر الاثنان بالسير في السوق بحثاً عن عربة لتوصلهما للمزرعة ولتنقل الحاجيات التي اشترياهَا فهـا قد أتـيـا سـيرـاً عـلـى الأقدام لكن (شادِن) اشترـتـ الكـثـيرـ وـتـرـكـتـ تـلـكـ المـشـرـيـاتـ فـيـ المـحـلـاتـ كـيـ يـعـرجـاـ عـلـيـهـاـ لـاحـقاـ وـيـأـخـذـاـهـاـ بـعـدـ ماـ دـفـعـاـ قـيمـتـهاـ بـالـكـامـلـ.ـ اـتـفـقـ (قِمـادـ) يـعـرجـاـ عـلـيـهـاـ لـاحـقاـ وـيـأـخـذـاـهـاـ بـعـدـ ماـ دـفـعـاـ قـيمـتـهاـ بـالـكـامـلـ.ـ اـتـفـقـ (قِمـادـ) مـعـ رـجـلـ يـمـلـكـ عـرـبـةـ صـغـيرـةـ يـجـرـهـاـ حـمـارـ عـلـىـ أـنـ يـقـومـ بـتـحـمـيلـ جـمـيعـ أـغـرـاضـهـاـ بـعـدـ ماـ زـوـدـهـ بـأـمـاـكـنـ الـمـحـلـاتـ التـيـ اـشـتـرـيـاـ مـنـهـاـ وـاتـفـقـ مـعـهـ عـلـىـ أـنـهـ سـيـكـونـ هـوـ وـزـوـجـتـهـ بـأـنـتـظـارـهـ عـنـدـ العـجـانـ رـيـثـاـ يـنـتـهـيـ.



(شادِن) تلتقط كعكة كرز: يكفيني أنت في الوقت الحالي
وقف الزوجان يراقبان المتسوقين أثناء تناولهما للكعك وخلال ذلك
شاهدَا مجموَّةً من الرجال يضرّبون متسولاً عجوزاً بطريقة وحشية
حتى أُسقطوه أرضاً ليهالوا عليه بالركل والرفس.

(شادِن) مستاءة من المنظر: لم يضرّبونه بهذا الشكل؟.. ما الذي يبرر
ذلك؟.. الرجل كبير في السن وسوف يموت

(قِمَاد): هذا المتسول مسكون
(شادِن): وهل هناك متسولون غير مساكين؟

(قِمَاد): لا لم أقصد ذلك.. هذا (ربيعة).. أقدم متسول في السوق
وهناك إشاعة تطارده وتدور حوله منذ سنوات وعلى الأرجح أنها
سبب ما يتعرض له الآن

(شادِن) وهي تشاهد بوجه عابس أحد الرجال يركل أنف (ربيعة)
ويكسره له: إشاعة ماذا؟

(قِمَاد): بأنه ثري جدّاً ويدعى الفقر فقط كي يجمع المزيد من الأموال

(شادِن) ملتفتة نحو زوجها بوجه مستنكِر: ما هذا الكلام الفارغ؟!..
الرجل سيموت بين أيديهم.. لو كان يملك شيئاً لما عرض نفسه لهذا
العذاب

(قِهَاد) يأخذ قضمة من كعكة المشمش ونظره على العراك من طرف واحد وببرود: هذا ما يشاع عنه..

(شادِن) تخطف الكعكة من يده وبوجه متوجه ونبرة غاضبة: ساعدِه!
(قِهَاد): أنا لم أكمل تناولها

(شادِن) صارخة فيه: سأحتفظ بها عندي حتى تعود!.. لكن ساعدِه أرجوك!

(قِهَاد) يبتسم لها قبل أن يسير نحوهم: احتفظي بها ولا تأكليها..
وصل (قِهَاد) للمجموعة المحيطة بـ (ربيعة) وحاول التفرقة بينهم وبينه لكنهم هاجموه هو الآخر وحاولوا ضربه فيما كان منه إلا أن وجه قبضته لوجه أحد المعتدين وأسقطه أرضاً أتبعها بأخرى لبطن زميله الثاني ولم يتوقف عن ضربهم حتى هرب المعتدون جميعاً مدحورين يكيلون له السباب والشتائم.

(قِهَاد) يمد يده للمتسول الواقع على الأرض وينهضه قائلاً: هل أنت بخير؟

لم يجب المتسول ووضع يده على وجهه مغطياً أنفه الدامي وابعد عن المكان لكن (قِهَاد) لحق به وأوقفه ووضع في يده بعض المال قائلاً: إذا



احتاجت أي شيء فأخبرني.. مزرعتي قريبة من هنا.. عند التلة الخضراء
جنوباً.. لا تتردد في المرور بي في أي وقت

هز المتسول رأسه ويده لا تزال تغطي وجهه وكأنه يخجل من أمر ما
و قبل أن يهم بالرحيل مرة أخرى شد (قِهَاد) ذراعه وأشار لزوجته التي
وصلت عندهما بوجه قلق على حال (ربيعة) وقال:

«إذا لم تجدني فستجد زوجتي بالتأكيد وهي ستقوم باللازم وتطعمك
وتعطيك المال..»

(شادِن) باسمة: نعم يا عم.. مرحباً بك في أي وقت
رمق المتسول (شادِن) سريعاً ليعرف شكلها ثم قال بصوت منكسر:
أريد الذهاب الآن أرجوكما..

أفلت (قِهَاد) قبضته الممسكة بالمتسول العجوز وتركه يرحل بسلام
وودعه قائلاً: تذكر أننا نرحب بك في أي وقت!

(شادِن) وهي تراقب (ربيعة) يرحل بخطوات مثقلة من الضرب الذي
 تعرض له: أشفق على حاله..

(قِهَاد) آخذَا ما تبقى من كعكته من يد زوجته: سيكون بخير لا تقلقني



(شادِن) بحزن شديد: ما هذا العالم الذي نعيش فيه حيث لا يستطيع
رجل فقير كهذا أن يعيش بسلام
(قِمَاد): لا تبالغ يا عزيزي..

(شادِن) ملتفة إلى زوجها: لا تنتظر اليوم الذي تفترس فيه لتعرف أننا
نعيش في غابة.. سيبقى السلام سراباً نجري خلفه حتى ندرك هذه
الحقيقة..

(قِمَاد): أرفض تصديق ذلك.. العالم به خير كثير
(شادِن) وهي تمد ما تبقى من كعكة الكرز لزوجها: صدق ما تريد
(قِمَاد): ألن تكمليها؟

(شادِن): فقدت شهيتي..
(قِمَاد) وهو يأخذ الكعكة ويلمح العربية عائدة بمشترياتها: هيا لنعد
إلى المنزل ونضع هذا اليوم خلفنا..

مضت عدة أيام وحل موسم الربيع وهو أجمل أوقات السنة التي
يقضيها (قِمَاد) وزوجته الشابة في مزرعتهما التي ورثتها عن أبيها
بعد وفاته وذلك الوقت من العام له معزة خاصة عند (شادِن) فهي
الفترة التي تعرفت بها على زوجها عندما أتى طارقاً باهِم طالباً للعمل

وانتهى به المطاف طالباً يدها للزواج بعد ما أغرم بها وأغرمت به.
بالرغم من الفارق العمري بينهما إلا أن والد (شادِن) رأى في (قِمَاد)
الرجل الذي طالما بحث عنه ليقى مع ابنته لأنه كان يشعر بالخوف من
تركها وحدَها لو حدث له مكروهٍ خاصٌّة وأنه هو كذلك تزوج متأخراً
ولم تدم حياته مع أم (شادِن) طويلاً لأن المرض خطفها في عمرٍ صغيرٍ.
وصية الأب على فراش مorte لـ (قِمَاد) كانت واضحة وصرِيحَة وهي أن
يسعد ابنته قدر استطاعته وأن لا يتخل عنّها أبداً وكان الحوار في غيابها
وقد أعطاها زوج ابنته قسماً على أنه لن يعكر مزاجها يوماً وسيفني حياته
لإسعادها حتى وإن كان ذلك على حساب سعادته وراحةه.

(شادِن) خلال تقديمها الطعام لزوجها: طبخت لك وجنت المفضلة
اليوم.. الدجاج المحمر بالبطاطا والبصل

(قِمَاد) يأخذ قصمة من صدر الدجاجة التي وضعتها أمامه على المائدة
ويقول مبهوراً: الطعام لذيد اليوم!

(شادِن) بتفاخر: وهل طبخت لك يوماً شيئاً لم يرق لك من قبل؟..
ثم إن حبك للحم الدجاج لم أَرْ مثيلاً له.. أعتقد أنك لو تناولته نيئاً
فسيعجبك أيضاً



(قِهَاد) ضاحكاً: لا أنكر ذلك! لكن حقيقة هذه المرة استثنائية.. لحم هذه الدجاجة يذوب كالزبدة!

(شادِن): هذا لأنني تركتها تطبخ مدة أكثر من المعتاد وعلى نار هادئة
(قِهَاد) متناولًا المزيد من اللحم ضاحكاً: أي من دجاجات ديكي الأعور وقع عليها الاختيار هذه المرة؟

(شادِن) واضعة بعض أرغفة الخبز على المائدة: الصفراء عدوتك اللدود

(قِهَاد) ممسكاً أحد الأرغفة وبوجه مبتسم ومتعجب: ماذا؟ لم قررت ذبحها؟

(شادِن) ماسحة على يدها بتجهم: اللعينة نقرتني وأنا أحاول أخذ البيض من تحتها

(قِهَاد) ضاحكاً بقوه: أخبرتك بأنها مجونة!

(شادِن) تضع المزيد من أطباق الطعام على المائدة: لا أنكر أنني استمتعت بنحر رقبتها النحيلة..

(قِهَاد) وهو مستمر بالضحك آخذًا قضمة من فخذ الدجاجة: كلامك مخيف يا عزيزتي!



(شادِن) رافعة سكيناً من سطح المائدة ملوحة بها في وجه زوجها
مازحة:

«القتل يكون أكثر متعة عندما يكون المقتول يستحق ذلك ..»
(قِهَاد) متظاهراً بالخوف بطريقة فكاهية: أتمنى أن لا أكون منهم إذا!
(شادِن) موجهة رأس السكين أمام أنفه باسمة: لا تبحث عن دجاجة
غيري وستكون ب平安 من نصل سكيني الحادة!
(قِهَاد) متودداً: ديـك الأعور لا يرى غيرك بعينه يا صغيرتي الجميلة..
(شادِن) غارسة السكين في سطح المائدة الخشبي ضاحكة: ولن يرى
أجمل مني منها بحث!
ابتسم (قِهَاد) لها وهو يمسح عظمة فخذ الدجاجة..

(شادِن) مستذكرة: نسيت أن أخبرك بشيء!

(قِهَاد) يحتسي بعض الماء قائلاً: ماذا؟

(شادِن): خمن من عرج بنا اليوم؟

(قِهَاد): من...؟

(شادِن) تجلس بجانبه باسمة: خمن!



(قِهَاد): الشخص الوحيد الذي أريده أن يأتي هو باع الشعير لأوبخه..

المحصول الذي باعني إيه كان فاسداً

(شادِن): لا لم يكن باع الشعير

(قِهَاد): من كان إذاً؟

(شادِن): المتسول..

(قِهَاد): أي متسول؟

(شادِن): هل حقاً نسيته؟.. المتسول (ربيعة) الذي خلصته عندما كنا

في «سوق المحاصيل» من كانوا يعتدون عليه بالضرب

(قِهَاد) وهو يستأنف تناول طعامه: آها نعم تذكرته.. ماذا كان يريد؟

(شادِن) تمد يدها للطبق وتشاركه تناول الطعام: ماذا تقصد ماذا

يريد؟.. أنت من دعوته للمرور بنا إذا احتاج لشيء

(قِهَاد): نعم صحيح تذكرة.. هل كان معك مال لتعطيه؟

(شادِن): المسكين لم يكن يريد مالاً ورفضه عندما عرضته عليه

(قِهَاد): ماذا كان يريد إذاً؟



(شادِن): كان جائعاً فقط فأطعنته وطلبت منه أن يأتي وقتها يشاء

(قِهَاد): خيراً فعلت.. قلبك الطيب هو سبب حبي لك

(شادِن) بنظرة مستنكرة: فقط؟

(قِهَاد) واضعاً عينيه بعينيها باسماً: وأشياء أخرى..

(شادِن) مسندة وجنتيها على كفيها معنة النظر في حيازوجها: قلها

(قِهَاد): أقول ماذا؟

(شادِن): تلك الأشياء الأخرى

(قِهَاد) باسماً: لو ذكرتها جميعاً فلن أنتهي من تناول طعامي إلا ليلاً

(شادِن): قل واحداً منها وسأكتفي

(قِهَاد) يزفر مبتسمًا ثم يقول: «لا أعي ولا أستوعب معنى الغروب من شمس السماء عندما تتأفل بل عندما تغيب عنى ولو للحظاتٍ لتحضري طبقي المفضل.. ولا أفرح بفجر يوم جديد حتى أرى ابتسامتك تشرق قبل شمسه.. منذ أن وقعت عيناي عليك أصبحت كل وقتي وزمامي.. العبر لأنفاسي.. كل شيء يحمل معنى وطعمًا في حياتي الحاضرة والماضية والآتية.. عشت كثيراً لكنني لم أحيا إلا معك..



لم أعرف أني كنت غارقاً في الحرمان إلا عندما حظيت بكِ وأدركت أني قد أهدرت الكثير من سينيًّا أجهل معنى السعادة.. لو فقدتِ يوماً فسأفقد عقلي وقلبي وروحي لأنها ارتبطت بكِ ولن تفارقكِ حتى وإن افترقنا.. وسترحل معي». .

احمرت وجنت (شادِن) خجلاً واكتفت بالابتسام خلال نزول دمعة من محجرها..

(فِهَاد) مستأنفاً: كنت أقول لنفسي دوماً: «سيطر على عواطفك وأحكم قبضتك على مشاعرك وبذلك ستسيطر على حياتك بأكملها..» لكن حياتي لم تزهر إلا عندما أطلقت العنان لتلك المشاعر معكِ حتى وإن لم أقلُّها بلساني..

(شادِن) ماسحة دمعتها بباطن كفها باسمة: أراها بعينيكِ دوماً وأغرق بها مع كل عنانٍ تهبه لي.. خلاله يتحدث قلبي مع قلبك وأشعر بالأمان وأعلم بأنني لن أهاب ظلم الدنيا وأنا بقربك.. بالرغم من أن عنانِي الأول لك لم يكن موفقاً

(فِهَاد): ماذا تقصدين؟



(شادِن): لا أعرف.. عناقنا الأول كان غريباً.. كان أشبه بعناق شخصٍ بلا أذرع.. كنت خاويأً.. مجرد جسد منهك من ماضٍ أجهله..

(فهاد): لم ألحظ ذلك وقتها..

(شادِن): هذا لأنني تذكرت مقولة أمي قبل أن أفك عناقك..

(فهاد): ماذا قالت؟

(شادِن): كانت تقول دوماً بأن «أكثر وقتٍ يكون فيها قلبان متقاربين هو خلال العناق.. عانقي من تحبين كي تتحدث قلوبكما بما صمت عنه أستاكما..» وبالفعل كانت محققة.. حدث قلبك قلبي خلال ذلك العناق البارد وطمأنني بأنك ستتغير.. قررت يومها أن أبحث عن السعادة وأهديها لك

(فهاد): الباحث عن السعادة لغيره ليس ملزماً بأن يكون تعيساً معه خلال البحث..

(شادِن): ومن قال لك بأني تعيسة؟.. لقد وجدتها معك وعشناها معاً وسنعيشها للأبد

(فهاد): رأيت وما زلت أرى بك إنسانة قوية بالرغم من رقتها.. ذكية بالرغم من عاطفتها وحنانها.. تعرفي ما تريدين وتسعين له.. غيوراً



على ما تملكت ولا يهمك رأي الناس في قناعاتك.. يمكن أن تخسر الجميع لأجل نفسك أو شخص تعتبريه مكانها»

(شادِن): لا أعرف ما الذي أحبه فيك لكنني أعرف ما الذي أكرهه..

(قِهَاد) شيء من الاستغراب من كلامها: وما الذي تكرهينه فيّ؟

(شادِن): أنك تقسو على نفسك لترضيني وتبذل الكثير لسعادي جاهلاً أو متجاهلاً أن كلمة واحدة منك كفيلة بأن تتحقق لك هذا كله دون عناء العمل..

(قِهَاد): لا ثق بالأفكار التي تحثك على الكلام.. كنت وما زلت مؤمناً بأن العمل أوقع من الكلام..

(شادِن) باسمة بحزن: لعله من الأفضل أنك لا تتكلم كثيراً فكلماتك أحياناً تكون كالسهام المخترقة لقلبي وتسبب لي ألمًا لا تدرك حجمه

(قِهَاد) بأسماً وممازحاً: لو لم تذبحي تلك الدجاجة التي نقرتاك لكنك ذبحتها أنا فلن أستطيع النوم وهناك من تسببت لك بذرة ألم يسير على هذه الأرض

(شادِن) تنهض من مكانها وتقول باسمة بنبرة حزينة: لقد وفرت عليك العناء وتخلصت منها..

(قِمَاد) ينهض حاملاً الطبق ضاحكاً: ولم يبق منها سوى العظام
يسمع الزوجان صوت دبب مجموعة من الدواب خارج المنزل..

(شادِن) مستغربة: ما هذا الصوت؟.. هل تركت باب الزربية مفتوحاً؟

(قِمَاد) متوجهاً للنافذة: لا.. لقد أغلقته بعد ما أطعمن المواشي
نظر (قِمَاد) من النافذة وتغيرت ملامح وجهه لتجهم خفيف وبقى
يراقب بصمت حتى سارت (شادِن) ووقفت بجانبه وشاركته النظر
لترى مجموعة كبيرة من الفرسان المسلحين يركبون خيولاً سوداء
ضخمة تتوسطهم فرس بيضاء يركبها رجل مهيب بملابس فاخرة
وتاج ذهبي مرصع بالأحجار الكريمة.

(شادِن) سارحة بضم مفتوح بمن يركب الفرس البيضاء: من هذا؟

(قِمَاد) وعلامات التجهم تزداد على محياه: الملك (جبليس)..

(شادِن): الملك؟.. وما الذي أتى به إلى هنا؟

(قِمَاد) يهم بالخروج من المنزل: ابقي هنا ولا تخرجني

(شادِن) تشده من ملابسه: إلى أين؟!.. لا تخرج!

(قِمَاد) مطمئناً: لا تقلقي.. سيكون حدثاً قصيراً



(شادِن) دون أن تفك من قبضتها على زوجها وبقلق شديد: لم يأتِ الملك لزيارتكم؟!

(قِهَاد) يفك قبضة أصابعها بملابسها برفق باسمه: سأخبرك بكل شيء عندما أعود.. أعدك بذلك

حررت الزوجة زوجها من قبضتها القوية ليخرج من الباب وتبقي هي بالداخل ويبدأ هو بالسير نحو الملك وعندما التقت أعينهما تبسم الملك (جَبْلِيس) وقال: القائد (قِهَاد).. لم أعرفك بدون هندامك العسكري..

لقد تغيرت كثيراً

(قِهَاد) حانياً رأسه: إنه لشرف عظيم أن أحظى بزيارة الملك يا جلالته..

(الملك جَبْلِيس): رفضك المستمر لقبول دعواتي المرسلة مع رسلي أجبرني على الحضور بنفسي لأرى وأسمع سبب تجاهلك لي

(قِهَاد) وهو يحول بنظره محصياً أعداد الخيالة المحيطين بالملك والمتشارين حول مزرعته: العفو يا جلالته الملك أنا لست سوى خادم من خدمك..

(الملك جَبْلِيس): جيد أنك ما زلت تعرف ذلك.. سوف أكون

بانتظارك في العاصمة لتتولى قيادة جيشي مرة أخرى.. يكفي ما تكبدناه
من خسائر منذ رحيلك

(قِمَاد) معيداً نظره لأعين الملك: لقد حصلت على عفو شخصي من
جلالتك والحياة العسكرية وضعتها خلفي بإذنِ منك
(الملك جبليس): وأنا أسحب هذا العفو وآمرك بالعودة.. هل لديك
اعتراض؟

(قِمَاد): ليس اعتراضاً بل اعتذار.. لن أعود
بدأ بعض الفرسان يوجهون أنظارهم نحو الملك وكأنهم متعجبون من
جرأة (قِمَاد) في الحديث معه بتلك الطريقة وكانوا في انتظار الأوامر
بقتله لكن الملك تبسم قائلاً: «إذاً فرحتي الطويلة هذه كانت بلا نتيجة
ولا تحمل قيمة عندك؟..»

(قِمَاد): قدومك شخصياً محل تقدير عندي يا جلاله الملك وأرجو أن
تكرمني وتحل ضيفاً عليّ
(الملك جبليس): لقد أكرمتني بما فيه الكفاية برفضك..

خرجت (شادِن) من المنزل وعلى وجهها معلم القلق الشديد ولم تستطع
البقاء في الداخل لتوترها الشديد وسارت نحو زوجها الذي أشار لها



بالاقتراب واحتضنها بذراعه وقال للملك:

«صدقني يا جلاله الملك أنه من الصعب التخلی عن السعادة عندما
نجدها..»

عبس (الملك جبليس) وشد لجام جواده الأبيض وقال قبل أن يهم
بالرحيل: إهانتك هذه لن تغتفر!

رحل بعدها ومن خلفه فرسانه وحاشيته..

(شادِن) خلال مراقبتها لهم وهم يرحلون: ماذا كان يريد منك؟

(قِهَاد) رافعاً ذراعه من على زوجته عائداً للمنزل: أتي للسلام علىّ فقط

(شادِن) مستديرة نحو زوجها السائر للمنزل: ومنذ متى يزورنا الملوك

لإلقاء التحية؟.. ماذا تخفي علي؟

توقف (قِهَاد) عن السير دون أن يلتفت إليها وحدق بباب منزلاً وقال:

هل لديك مشكلة لو بعنا المزرعة ورحلنا عن هنا؟

(شادِن): نبيع مزرعة أبي؟ هذا المكان هو كل ما أعرفه في الدنيا..

ولدت ونشأت فيها وأريد أن أدفن في ترابها

أنزل (قِهَاد) رأسه ولم يرد..

(شادِن): من الواضح أنك لا تنوِي إخباري بشيءَ الآن.. على أي حال

الأبقار تحتاج للحلب لأن أثداءَها تورمت وتكاد تنفجر

(قِهاد): حسناً سأذهب إليها الآن..

قبل أن يتوجه (قِهاد) للزريبة سمع خبيب الخيول مرة أخرى فوجَه نظره للأفق خلف زوجته ليُرى أن مجموعة من الفرسان والرماء تخلوا عن مواقعهم بموكب الملك وانطلقا مسرعين عائدين باتجاه المزرعة. أدرك (قِهاد) في تلك اللحظة أن (الملك جبليس) قد أعطى الأوامر بتصفيته فجري نحو زوجته وهز أكتافها قائلاً:

اذْهَبِي فوراً لِلزَّرِيبَةِ وَاغْلُقِي عَلَى نَفْسِكِ وَلَا تَفْتَحِي أَبْدَاً حَتَّى تَسْمَعِي صوتي!

(شادِن) وهي غير متتبهة لما يحدث خلفها: لماذا ما الذي يحدث؟!

(قِهاد) صارخاً فيها: لا تناقشيني وادْهَبِي فوراً!

نفذت الزوجة أمر زوجها وجرت باتجاه الزريبة ليتوجه هو مباشرةً للمنزل ويركل الباب بقوة ويبدأ بالبحث بنظره في المكان حتى وقعت عيناه على السكين التي غرستها (شادِن) سابقاً على المائدة فنزعها



وخرج مسرعاً واستمر بالجري عائداً للكتيبة التي دخلت المزرعة وانتشرت في المكان تبحث عنه. قفز (قحاد) فوق أحد الخيول ونحر رقبة فارسها ودفعه من فوقها وسل سيفه من غمده قبل سقوطه وشد اللجام وانطلق نحو بقية الفرسان وببدأ يقتلهم واحداً تلو الآخر لكنه واجه مشكلة مع الراميين اللذين وقفوا بعيداً يطلقان سهامهما تجاهه. لم يصبه أي منها لكنها شتتت من تركيزه مما أعطى فرصة لمن كان يقتل معه بأن يخدشه بطرف سيفه في عينه اليسرى ويفقداها ما دفعه لترك موقعه والانطلاق تجاه الراميين للتخلص منها أولاً. استمر الراميان بإطلاق السهام تجاه (قحاد) المندفع نحوهما ليصيب أحدها رأس الفرس التي كان يمتنعها لتقع أرضاً ويقع معها هو الآخر لكنه تدارك الأمر وتدرج على الأرض ونهض في الحال وأكمل طريقه جرياً ولم يتوقف حتى طعن الأول في صدره وبحركة خاطفة شق بطن الآخر ليركب فرس أحد الراميين بعد وقوعه على الأرض قتيلاً ويشد جمامها ضارباً خاصرتها بكتفه ويعود لبقية الفرسان ويجهز عليهم خلال وقت قصير.

بعد انتهاء المعركة ترجل (قحاد) عن صهوة الفرس وجرى مسرعاً



للزريبة ليطمئن على زوجته لكن وفي منتصف الطريق إليها وجدها مستلقية على بطنها وسهماً مغروساً في ظهرها. رفع الزوج زوجته ووضعها على حجره ليرى أنها لم تفارق الحياة لكنها تختضر لأن السهم اخترق صدرها ولم يخترق قلبها وقال وهو يحاول منع نفسه من فقدان رباطة جأشه: «تماسكي!.. سوف آخذك للمطب في المدينة!»

(شادِن) تتحسس جرح صدرها ثم تمسح بكفها الدامي على عين زوجها المفقوءة باسمة:

«لقد أصبحت أعزوراً مثل ديكك..»

(قاد) وقد فقد سيطرته على مشاعره وبدأ بالبكاء وعينه اليسرى تنزف: لا تجرئي على الرحيل!

أغمضت (شادِن) عينيها ولم تجب عليه للأبد..

توقف (قاد) فجأة عن البكاء واختفت التعبير من وجهه وحمل زوجته بين ذراعيه ودفنتها بكل هدوء عند مجموعة من الأزهار التي كانت قد زرعتها في فناء المنزل. سار بعدها نحو أحد الخيول المتشرة حول المزرعة وشد لجامه وقاده معه للزريبة حيث كان يقبع صندوق



نحاسي كبير مغلق بقفل حديدي في إحدى زواياه وأخرج من جيده
مفتاحاً وفتحه. حوى الصندوق سيفاً كبيراً ومجموعة من الأسلحة بين
قوسٍ معدني ومجموعة من السهام والسكاكين والمناجل الضخمة.

صوت من خلفه يحدثه قائلاً: «لن تستطيع الوصول إليه..»
ملتفتاً نحو مصدر الصوت ليجد (ربيعة) يقف عند باب الخضيرة
بوجه حزين..

(قِمَاد) معيناً نظره لمحتوى الصندوق: ارحل يا (ربيعة)..
(ربيعة) مقترباً من (قِمَاد): أعرف ما تنوّي القيام به.. لا تفعل أرجوك
(قِمَاد) ساحباً سيفه من الصندوق شاهراً نصله عند ذقن (ربيعة) وبنبرة
هادئة لكن جنونية: اخرج من هنا قبل أن أصب جام غضبي عليك!

(ربيعة) دون اكتراث: وماذا ستفعل بعدها؟
كَرَّ (قِمَاد) على أسنانه بغضب شديد دافعاً وجهه (ربيعة) بغرس رأس
السيف في جبينه محدثاً جرحاً صغيراً فيه: اغرب عن وجهي يا متسلول!!
(ربيعة) دون أن يظهر أي جزع أو خوف من تهديد الزوج المكلوم:

إذا كنت مصرّاً على الانصياع للجحون الذي يعصف برأسك الآن فلن
أحاول منعك لكن أعطني فرصة لمساعدتك
رمي (قِمَاد) السيف جانباً رافعاً رأسه للأعلى صارخاً بصوت تخalle
حشارة بكاء..

(ربيعه): أنا أعرف أنك تنوی الذهاب للعاصمة لتحاول الانتقام لها
وستموت عند بوابة القصر الملكي بلا شك.. فكر قليلاً كي لا تلحق
بزوجتك

(قِمَاد) يبدأ بتحميل الأسلحة على ظهر الفرس متاجهاهلاً المتسلول
العجز: هذا شأنى ولا علاقة لك به!

(ربيعه) وهو يراقبه خلال تجهيز الفرس: ماذا لو أخبرتك بأني أملك
شيئاً يمكنك بواسطته الوصول للملك وتجاوز كل الحراسة التي يحيط
نفسه بها؟

(قِمَاد) يشد العقدة على المناجل الحديدية المربوطة بسرج الفرس: لا
أريد شيئاً منك سوى التوقف عن الكلام والغادرة
(ربيعه) رافعاً كفه: انتظري فقط.. أرجوك.. لا ترحل قبل أن أعود..



استأنف (قِيَاد) إخراج بقية الأسلحة من الصندوق ولم يرد عليه..

(ربيعة) وهو يهم بالرحيل: بضع ساعات وأكون هنا.. أستحلفك
بروحها أن لا ترك المزرعة قبل عودتي

امتنى (ربيعة) فور خروجه من الزريبة أحد الخيول الملكية ورحل..

الدريک الأعور

بعد ما انتهى (قیاد) من تجهیز الفرس بالعتاد قام بإطعامها وسقيها استعداداً للرحلة الطويلة نحو العاصمة وقبل أن يفعل ربطها بسور المزرعة ودخل المنزل وأشعل نار الموقد في المطبخ وسخن ملعقة حديدية كوى بها عينه المقوءة ليوقف نزيفها. تذكر الرجل زوجته عندما رأى موقدها الذي كانت تطبخ عليه يشتعل وسرح بنارها وجمر حطبتها لدقائق فقرر حرق المنزل والمزرعة وإطلاق جميع الدواب والمواشي في العراء. أشعل (قیاد) النار في أركان البيت بشعلة أوقدها من الموقد وتوجه بعدها للزربية خلف المنزل وفتح بابها على مصراعيه وطرد الأبقار والخراف قبل أن يشعل النار بها هي الأخرى. عندما وصل لعشة الدجاج لتحريرها وجد أن النار قد أمسكت في جدرانها وبدأت بالتهاجم لأنها كانت مجاورة للزربية والدجاجات كانت في



حالة من الذعر ففتح العشة ليخرجوا جميعاً بشكل هستيري وجماعي
عدا الديك الأعور الذي وقف فوق أحد الأعمدة يرفرف بأجنحته
ويصيح وكأنه يرفض الخروج.

(قِمَاد) وهو يقف عند مدخل العشة المشتعلة وبنبرة هادئة: «ماذا تفعل
أيها الأحمق؟.. اخرج قبل أن تهلك»

لم يتحرك الديك من مكانه وبقي فوق العمود يرفرف بجناحيه يصيح
بأعلى صوته حتى انهار السقف عليه. رمى (قِمَاد) بالشعلة ثم أخذ بضع
خطوات للوراء وهو يراقب النار تلتهم ما تبقى من العشة متعجبًا من
تصرف الديك الأعور. لم يفكر طويلاً بالأمر وامتطى الفرس وشد
لجامها للخلف راكلاً خاصرتها بکواحله صارخاً فيها: هيا!!

بدأت الفرس بالعدو بسرعة دون توقف وكان الوقت عند الظهيرة
تقريباً وبسبب هوس (قِمَاد) في الوصول للعاصمة بأسرع وقت وقد
كانت تبعد عن مزرعته مسيرة أسبوعين بالخيل لم يمنع الفرس وقتاً
للراحة حتى انهارت نهاية اليوم الثاني بعد عدو متواصل في منطقة
جبلية وعرة وتوقفت هي بنفسها عند الغروب وهي تلهث من التعب
والعطش. ترجل من على ظهرها مدركاً خطأه لكن الوقت قد فات لأن

الفرس وقبل أن يمد لها بعض الماء من قربته سقطت على الأرض ميتة.

وقف (قِمَاد) في منتصف الطريق الجبلي الوعر يراقب مغيب الشمس ليخيم عليه ظلام ذلك المكان الموحش. أشعل ناراً وأنزل حمولة الفرس الميتة من على ظهرها وبقي يفكر في طريقة لاستئناف رحلته وحده، وخلال ذلك وسط هدوء المكان شعر بأنه يسمع ديبأً قادماً تجاهه فوضع أذنه على الأرض وتحقق من أن هناك من يقترب منه على ظهر دابة تعدو بسرعة. أمسك (قِمَاد) بلجام فرسه الميتة وبدأ بسحبها كي تتعرض طريق من هو قادم نحوه لكنه لم يستطع تحريكها إلا مسافة بسيطة بسبب ثقلها ومع ذلك كان مكانها مناسباً لعرقلة القادر لوقتٍ كافٍ لينقض عليه ويسرق دابته كما كانت نيته.

اختبأ (قِمَاد) خلف صخرة كبيرة بالقرب من جثة الفرس متظراً اللحظة المناسبة للهجوم على ضحيته بعد ما أخذ قوساً ومجموعة من السهام ليرمي بها العابر خلال مروره. وبالفعل وبعد عدة دقائق أقبل جواد يعدو بسرعة يركب فوقه رجل يرتدي رداءبني اللون يغطي رأسه بالكامل وما أن رأى جثة الفرس النافقة المعرضة لطريقه حتى شد لجام دابته وتوقف في الحال. ابتسم (قِمَاد) عندما شاهد ما حدث

وشد سهماً على قوسه لكن قبل أن يطلقه أزاح الرجل الغطاء عن رأسه كاشفاً عن هويته ليرى أنه (ربيعة) فأنزل نصل سهمه ووقف قائلاً: «ماذا تفعل هنا؟»

التفت (ربيعة) نحو (قحاد) وتغيرت ملامح وجهه من القلق للبهجة ليترجل عن ظهر جواده ويجرِي إليه مسرعاً وهو يقول: «سوء طالعك بركة في الخفاء!»

(قحاد) يشد السهم مرة أخرى موجهاً رأسه لوجه (ربيعة): لم لحقت بي؟!

(ربيعة) وهو يمد يده في جيب صدره: أخبرتك بأني أريد مساعدتك (قحاد) بنبرة آمرة: أبعد يدك عن سلاحك!
(ربيعة): هذا ليس سلاحاً..

(قحاد) بحدり شديد: أخرجه ببطء وهدوء وأي حيلة منك سأقتلك دون أن يرتد لي طرف ولون تأخذني بك رأفة أو شفقة..

أخرج (ربيعة) شيئاً ملفوفاً في قطعة من القماش لم تتضح ملامحه..
(قحاد) بأعين متفرحة: ما هذا؟



(ربيعة): هل يمكن أن تهدئ من روعك لنجلس ونتحدث قليلاً؟..
أنا لست عدوك

(قاد) مستعیداً بعض تركيزه متولاً السهم والقوس مرة أخرى: حسناً
جلس الاثنان عند الصخرة بعد ما أشعل (ربيعة) ناراً وبقيا صامتين
لفتره ليست بالقصيرة وكأن كلاً منها ينتظر الآخر أن يبدأ بالحديث..

(ربيعة): لم أنت صامت؟
(قاد): كانت (شادين) تؤمن بأن الصمت مفتاح الكلام وأنك إذا أردت
معرفة ما يدور في دواخل غيرك فيجب عليك الصمت والإنصات
أكثر مما تتحدث.. «ينكشف الكثير بصمتهم أكثر من حديثهم..» ..
هذا ما كانت تقوله لي دوماً.. وعلى أي حال ليس لدي شيء أقوله
لوك.. أنت من الحق بي فهات ما عندك

(ربيعة): أريد قبلها أن أعزيك في..

(قاد) مقاطعاً: لا تكمل كلامك.. فهي لا تزال تسكتني وتعيش
بداخلي وكون جسدها قد رحل فهذا لا يعني أني سأتعامل معها وكأنها
لم تكن.. حتى وإن كان ذلك مؤلماً



(ربيعه): الألم الذي تشعر به الآن سيزول مع الوقت.. أعدك بذلك
(قهراد): ومن قال لك بأنني أريدك أن يزول؟.. لا أريد نسيان الألم أبداً
 فهو كل ما تبقى لي منها..

(ربيعه): ماذا عن ذكرياتك الجميلة معها؟.. هل سترمي بها جانباً
وتبقى على ألم فراقها؟

(قهراد): هذا هو الشيء الوحيد الذي سيحولني للوحش القادر على
الأخذ بحقها وبعدها فليحدث ما يحدث.. ثم إنني لا أنوي البقاء..
الحياة لن تفارقني بل أنا من سيرحل عنها باختياري.. سأنتزع روحي
من جسدي بنفسي لكن ليس قبل أن آخذ بثاري وثارها وأرى ذلك
الكلب المسعور هالكاً..

(ربيعه): لا حاجة لهذا لأنك ستموت شر ميتة تحت أقدام (جبليس)
وستفارق الحياة رغمً عنك

(قهراد): هل قطعت كل هذه المسافة لتخبرني بذلك؟

(ربيعه): لا..

أزال (ربيعه) قطعة القراش عما كان يخفيه كاشفاً عن قناع مصنوع من
الذهب الخالص بملامح ذاتية ومشوهه..

(قِهَاد): إِذَاً فِيمَا كَانَ يُشَاعُ عَنْكَ حَقِيقَةٌ وَهُوَ أَنْكَ مِيسُورُ الْحَالِ وَتَدْعِي

الفقر

(رَبِيعَة): لَيْسَ كُلُّ مَنْ مَلِكَ الْذَّهَبَ يَصْبِحُ ثَرِيًّا..

(قِهَاد): مَاذَا تَقْصِدُ بِهَذَا الْكَلَامَ؟

(رَبِيعَة): كَانَتِ السَّيَاءُ غَاضِبَةً ذَلِكَ الْيَوْمِ.. تَرْعَدُ وَتَرْقُ وَكَأْنَهَا نَهَايَةُ
الْعَالَمِ.. الْأَمَطَارُ انْهَمَرَتْ وَكَأْنَ سَدًا فِي السَّيَاءِ قَدْ هُدِمَ وَتَهَاوَى..
عَصَفَتِ الرِّيَاحُ الْمَحْمَلَةُ بِالْأَمَطَارِ فَفَاضَ النَّهَرُ وَغَرَقَ النَّاسُ..
جَرِيتِ مَرْعُوبًا لِلْغَابَةِ فِي الْمَرْتَفَعَاتِ بِحَثَّاً عَنْ مَلْجَأٍ وَوَجَدَتِهِ فِي كَهْفٍ
يَقْعُدُ بِالْقَرْبِ مِنْ «الْفَلَكِ الْمَقْدَسِ» فَلَجَأَتِ إِلَيْهِ وَبَقِيَتِ فِيهِ حَتَّى تَمَرَّ
الْعَاصِفَةُ الْهَوْجَاءُ بِسَلَامٍ وَخَلَالٍ تَحْوِي فِي الْكَهْفِ الْعَمِيقِ تَعْشَرُتْ بِهَذَا
الْقَنَاعُ فَالْتَّقْطُطُهُ وَكَانَتْ سَعَادِيَّةً لَا تُوَصِّفُ عَنْدَمَا رَأَيْتَ أَنَّهُ مَصْنَوعٌ مِنْ
الْذَّهَبِ وَتَيَقَنْتَ وَقْتَهَا بِأَنِّي أَصْبَحَتُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ.

(قِهَاد): لَكِنَّكَ لَا تَزَالَ تَتْسُولُ..

(رَبِيعَة): لِأَنَّ الْقَنَاعَ لَمْ يَكُنْ كَمَا حَسِبْتَهُ.. الْقَنَاعُ لَهُ تَارِيخٌ مَظْلُمٌ.. فَفِي
الْيَوْمِ الَّذِي عَدْتُ فِيهِ لِمَنْزِلِي بَعْدَ مَا وَجَدَتِهِ لِبِسْتَهُ وَلَمْ أَرَ مِنْ خَلَالِهِ مِنْزِلِي
بَلْ رَأَيْتَ مَدْخَلَ الْكَهْفِ الَّذِي وَجَدَتِهِ فِيهِ وَهُنَا عَلِمْتُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُحْرَدَ



قناع مصنوع من الذهب فبدأت بالسؤال عن تاريخ الكهف عند بعض الشيوخ المعمارين وعرضت القناع عليهم ومن هنا بدأت إشاعة أني رجل ثري يدعى الفقر بسبب امتلاكي لذلك القناع الذهبي (قِمَاد): وهل تلومهم؟

(رَبِيعَة): لا لكن لم يكن هذا سبباً للجحيم الذي تعرضت له بسبب تلك الإشاعة..

(قِمَاد): أتفق معك.. بعض الأشياء تلمع كالنعم مُخفية خلفها جحيناً من النقم..

(رَبِيعَة): على أي حال.. علمت بأن الكهف يدعى بـ «كهف الشيطان الأسير» وأن القناع يعود لابنته (أديس) التي كانت تحاول تحريره وأنها لبسته في كل مرة زارتة فيها

(قِمَاد): وماذا فعلت بعد ما اكتشفت تلك الحقيقة؟

(رَبِيعَة): قررت إذابته لاستفادة منه وأبيع الذهب الخام لكنه لم يذب منها عرضته لحرارة عالية.. تغير شكله فقط كما ترى.. حاولت كسره ولم أستطع أيضاً.. شعرت وقتها بأن القناع يحمل لعنة ما

(قِمَاد): لمْ تُحَاوِلْ بِيَعِهِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ؟.. سَيَكُونُ هُنَاكَ مِنْ
يُرْغَبُ بِشَرائِهِ بِالْتَّأْكِيدِ

(رَبِيعَة): ذَلِكَ مَا نَوَيْتُ فَعْلَهُ بِالْفَعْلِ لَكِنْ ذَلِكَ قَبْلَ أَكْتِشَفُ قَدْرَتِهِ
الْعَجِيْبَةُ الَّتِي اَكْتَسَبَهَا مِنَ النَّارِ الَّتِي عَرَضَتْهَا لَهُ
(قِمَاد): عَنْ أَيِّ قَدْرَةٍ تَتَحَدَّثُ؟

(رَبِيعَة): عَنْدَمَا فَشَلَتْ فِي إِذَابَةِ الْقَنَاعِ جَرِبْتُ أَنْ أَلْبُسَهُ مَرَةً أُخْرَى
وَهَذِهِ الْمَرَةِ لَمْ أَرَ مَدْخَلَ الْكَهْفِ كَمَا حَدَثَ فِي الْمَرَةِ الْأُولَى بَلْ رَأَيْتُ مِنْ
خَلَالِهِ مِثْلَ أَيِّ قَنَاعٍ طَبِيعِيِّ

(قِمَاد): يُبَدِّلُ أَنَّهُ فَقَدْ مَزَّا يَاهَ السُّحْرِيَّةَ وَلَيْسَ الْعَكْسُ
(رَبِيعَة): هَذَا مَا ظَنَنْتُهُ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ لَكِنَّ الْقَنَاعَ أَصْبَحَ مُخْتَلِفًا عَنْدَمَا
جَرِبْتُهُ بَعْدَ تَغْيِيرِ شَكْلِهِ.. فِي السَّابِقِ كَانَ يُجْبِبُ عَلَيَّ أَنْ أَسْنَدَهُ بِيَدِيِّ كِيِّ
يَبْقَى مُلْتَصِقًا بِوْجَهِيِّ وَلَا يَقْعُدُ لَكُنَّهُ هَذِهِ الْمَرَةِ ثَبَتَ دُونَ أَنْ أَحْتَاجَ
لِذَلِكَ.. فِي الْوَاقِعِ كَانَ وَكَانَهُ يُلْتَصِقُ بِوْجَهِيِّ وَيَتَشَبَّثُ بِهِ وَعَنْدَمَا
حَاوَلْتُ نَزْعَهُ وَجَدْتُ صَعْوَدَةً وَمَشْقَةً كَبِيرَةً

(قِمَاد): هَذِهِ لَيْسَتْ قَدْرَةً عَجِيْبَةً.. غَرِيْبَةُ رَبِّهَا لَكِنْ لَيْسَتْ عَجِيْبَةً

(قِمَاد): أنا لا أفهم ماذا تعني ..

(رَبِيعَة): أعني أن لبسي للقناع خلال نومي حال دون موتي بطعنة
الختنجر

(قِمَاد): هل تتوقع أن أصدق هذا الهراء؟.. ثم كيف لم ير السارق
القناع المصنوع من الذهب الحالص على وجهك وهو يطعنك وحاول
سرقه؟

(رَبِيعَة): لأنني كنت نائماً على بطني ومتغطياً باللحاف لهذا السبب لم
ينتبه للبسي له

(قِمَاد) بنبرة مكذبة: نعم نعم.. أكمل.. ماذا حدث عندما نزعت
القناع؟

(رَبِيعَة): نزعت الختнجر ولم أنزع القناع.. كنت خائفاً جداً مما قد يحدث
لو خلعته قبل أن يرأ الجرح ولم أقو على ذلك إلا بعد عدة أسابيع عندما
تحققت من أن الجرح قد برأ تماماً

(قِمَاد): وكيف واجهت الناس وأنت ترتدي القناع؟.. كيف أكلت؟..
كيف شربت؟.. قصتك مليئة بالتناقضات

(رَبِيعَة): لم أخرج من منزلي طيلة تلك الفترة ولم أشعر بالجوع أو
العطش أبداً وأنا مرتدٍ لذلك القناع.. وبقيت على قيد الحياة

(قِهَاد) وهو مستمر بنبرته الساخرة غير المصدقة: ربما يكون بسبب آخر
غير القناع وأنت قد ربطت ذلك به

(رِبِيعَة) محاولاً إقناعه بصدق كلامه مشيراً لنوبة على جانب عنقه:
انظر!.. لقد تحققت بنفسِي

(قِهَاد) باستغراب وهو يشاهد نوبة كبيرة امتدت على جانب عنقه
(رِبِيعَة): ما هذا؟

(رِبِيعَة): لبست القناع مرة أخرى وقطعت أوداجي بسكين حادة ولم
أشعر بشيء وبقيت أنزف حتى ظننت أن دمي قد تصفي بالكامل ولم
يحدث لي مكروه وانتظرت مرة أخرى حتى برأ جرحِي وخلعت القناع
بعد مضي عدة أسابيع أخرى

(قِهَاد) يمد يده ويأخذ القناع ويحدق فيه: تقصد أن هذا القناع..

(رِبِيعَة): يمنحك الخلود.. وبه ستخترق حصن الملك (جبليس) لتأثير
لزوجتك ولن يستطيع أحد إيقافك
صمت (قِهَاد) وبقي سارحاً في ملامح القناع الذهبي شبه الذائبة ولم
يقل شيئاً..

(رِبِيعَة): هل تريد إثباتاً؟.. يمكنني أن ألبسه الآن وأريك أنني أصبح
مخلداً بارتدائه

(قِمَاد) يبتسم بحزن وعيناه على القناع: كنت أتمنى أن ما تقوله حقيقة..
إذا كنت تريد مساعدتي فعلاً فأعرني جوادك كي أكمل رحلتي نحو
العاصمة وسأكون شاكراً لك

تجهم (ربيعة) لعدم تصديق (قِمَاد) له وخطف القناع من يده ولبسه..
توهجه فتحات أعين القناع لوهلة خاطفة بوهجٍ أصفر وقبل أن
يقول (قِمَاد) شيئاً سحب (ربيعة) سيفه من غمده وغرسه في صدره
مخترقاً قلبه. صدم (قِمَاد) لما رأه وتفاقمت تلك الصدمة عندما وقف
(ربيعة) باسطاً ذراعيه مستعرضًا بأنه لم يتاثر بتلك الطعنة ثم قال: هل
تصدقني الآن؟!

نهض (قِمَاد) من مكانه وعلى وجهه علامات التعجب والانبهار لكنها
تحولت تدريجياً للإحباط والخيبة..

(ربيعة) ملاحظاً التغير على (قِمَاد): ما بك؟
(قِمَاد) بوجهٍ مكتئب: لا شيء..
(ربيعة): من المفترض أن تكون مبتهجاً لأنك ستحصل على مفتاح
انتقامك من ظلموك
(قِمَاد): وكيف سأحصل عليه الآن؟.. لن تستطيع خلع القناع قبل أن

يبرأ جرحك وهذا لن يحدث إلا بعد مرور أسابيع وأنا لا أملك هذا
الوقت أو الصبر للانتظار

وضع (ربيعة) كفيه على جرح صدره النازف مدركاً خطأه وتسره..
(قِمَاد) موجهاً نظره للدابة التي أتى بها (ربيعة): فقط أعرني دابتكم
وسأكتفي بهذه المساعدة

(ربيعة) بحزن وانكسار: أنا أسف لم أفكّر بشكل صحيح
(قِمَاد): لا بأس.. مجرد محاولتك مساعدتي محل تقدير عندي وعندي
(شادِن).. هل ستتمكن من العودة وحدك بعد ما أخذ جوادك؟

(ربيعة) وهو لا يزال مستاء من نفسه: نعم على ما أظن..
(قِمَاد): هل أنت واثق؟.. المكان موحش وبه الكثير من المخاطر
والوحش المفترسة.. يمكنني إيصالك لأقرب مدينة قبل أن أنطلق
نحو العاصمة لورغبت

(ربيعة): لا لا.. سوف أتدبر شؤوني.. أكمل طريقك أنت
(قِمَاد): وكيف ستسيّر بذلك السيف مغروس في صدرك؟.. ستثير
الشبهات حولك

(ربيعة): سأخفيه بطريقة ما.. لا تقلق

(قِمَاد): حسناً كما تشاء

بدأ (قِمَاد) بنقل أسلحته وعتاده من دابته الميتة وقام بتحميلها على جواد (ربيعة) المهموم حتى وإن كانت ملامحه مخفاة خلف القناع الذهبي لكن ذلك كان جلياً من خلال نبرة صوته. اعترض (قِمَاد) الدابة وشد لجامها بينما اقترب منه صاحبه ماسحاً على جبين الجواد قائلاً: «الحياة غير عادلة..»

(قِمَاد): العدالة في الموت فقط..

(ربيعة): لا مجال إذًا لكى تراجع وتعيش بسلام وتبدأ حياة جديدة؟
(قِمَاد) موجهاً نظره للطريق المظلم أمامه: السير وحيداً باختيارك نحو الهاوية خير لك من المشي مغيماً مع القطيع.. لقد تركت للأقدار تحديد مصيري طيلة عمري.. حان الوقت أن أتولى زمام أموري وأنزع حقي انتزاعاً منها.. لم أعد خائفاً من الموت في سبيل ما أريد بل على النقيض تماماً.. أتوقع لذلك

(ربيعة) مبتسماً من وراء القناع: معك حق..



(قِمَاد): في ماذا؟

(ربيعه) وهو ينزع القناع الذهبي: في أننا يجب أن نختار طريقنا ونحدد
مصيرنا دون خوف من العواقب..

(قِمَاد) صار خاً فيه: ماذا تفعل يا أحمق؟!

مد (ربيعه) القناع لـ (قِمَاد) وقد بدأ بالتقهقر عندما صعقه الألم المفاجئ
من الجرح الغائر في صدره وهو يقول: خذ القناع وخذ به حرقك وحقها
من ظلموكما.. خذ حرقك كاملاً غير منقوص..

ترجل (قِمَاد) عن دابته وأسند رأس (ربيعه) على صدره وقال له معايباً:
لم فعلت ذلك؟!.. لم يكن عليك التضحية بنفسك لأجلِي!

(ربيعه) والدماء تخرج من فمه: لم أفعل هذا لأجلِك.. بل لأجلِي.. لقد
سئمت حياتي البائسة وأريد أن أختتمها بتضحية تستحق.. لا تنسَ أن
تأخذ سيفك معك..

فارقَت روح (ربيعه) جسده وسقط القناع الذهبي على الأرض..

دفن (قِمَاد) المتسلل العجوز في حفرة على قارعة الطريق بعد ما استعاد
سيفه وأخذ القناع وقال وهو يقف فوق القبر الحديث ويهم بلبسه:
«أبلغ (شادِن) سلامي.. سأكون معكم قريباً..»



لبس (قِمَاد) القناع الذهبي فتوهجهت فتحاته بوهج أحمر وشعر بأن
عظام جسده اهتزت لثوانٍ ليستعيد تركيزه بعدها ويجري نحو جواد
(ربيعة) ويقفز فوق ظهره منطلقًا نحو العاصمة. بعد مسيرة يومٍ
ونصف اليوم دون توقف أقبل على مدينة من المدن الكبيرة التابعة
للمملكة وحين رأها تذكر ما حدث لدابته السابقة وكيف ماتت من
التعب والإرهاق فقرر التوقف والتزود بالماء والزاد وإعطاءها فرصة
للراحة. دخل (قِمَاد) من بوابة المدينة الرئيسة وتوجه مباشرة للأماكن
المخصصة للعناية بالخيول ومد لجام فرسه لصاحب المكان الذي شعر
بالخوف من شكله وقناعه لكنه لم يسأل أو يناقش وبدأ بالاهتمام بالدابة
بعد ما قال له (قِمَاد): «سأعود لك بعد ساعتين..»

قبل أن يتحرك من المكان وجد نفسه محاصراً من قبل مجموعة من
الفرسان المسؤولين عن حفظ الأمن بالمدينة والذين لفت نظرهم
شكله وقناعه الغريب وقال قائدتهم بنبرة ساخطة: «من أنت؟!.. ولم
أتيت لمديتنا؟»

توهجهت أعين القناع باللون الأحمر عندما شاهد (قِمَاد) شعار الحرس
الملكي على درع من كان يتحدث معه واشتعل الغيظ في قلبه فالتفت



خلفه وسل أحد المناجل الحديدية المعلقة على سرج دابته ورماه تجاه قائد الكتيبة وركزه في صدره ليسقط صريعاً ويدب الهلع بالسوق بين صراغ وهروب للناس. هجم الفرسان عليه مشهرين سيوفهم لكن المعركة لم تدم طويلاً قبل أن يقتلهم جميعاً سوى فارس واحد تمكّن من الهرب في حمّة المعركة جرياً على أقدامه. أصيّب (قِهَاد) بعدها بنوع من الاهلوسة فقدان السيطرة على نفسه ولم يتذكر دابته لترتاح وقفز على جوادٍ من الكتيبة الملكية وانطلق به خارج المدينة مكملاً طريقه نحو العاصمة.

خلال الرحلة زاد (قِهَاد) جنوناً وأصبح يتوقف عند كل بلدة أو مدينة في طريقه ويقوم بالأمر نفسه.. يقتل جميع الحراس ويأخذ دابة جديدة ويُكمل رحلته وبالرغم من أنه تعرض في بعض المواجهات لطعنات وإصابات بالسهام إلا أنه كان يستمر ولا يتوقف مما أثار الرعب في نفوس كل من واجهه وذاع صيته بالمدن المجاورة التي لم يصل إليها بعد وأصبح الحراس يتجنّبون الصدام معه واعتراض طريقه عندما يصلهم خبر دخوله المدن التي يحرسونها.

بسبب اتباعه لهذا النهج وصلت الأخبار للملك (جبليس) عن

(الفارس المخلد) الذي لا يموت وعلم من رسالته الذين نقلوا له أخبار تحركه أنه متوجه للعاصمة مما أثار الرعب بقلبه ودفعه للتحصن في قصره واستدعاء الجيش بأكمله لمحاصرة المكان وحمايته ومنع أي أحد من الدخول عليه حتى يتم القضاء على هذا الفارس المجهول.

بلغ هوس (قهراد) وهلوساته قمتها قبل بلوغه للعاصمة بيوم واحد لدرجة أنه لم يستطع السيطرة على الجياد التي كان يركبها لأنه يشد على جامها بقوة وعنفٍ يكسر رقبتها مما دفعه للتخلٰ عن امتلاء الدواب والجري بنفسه صارخاً من وقت لآخر خلال الطريق كالمجنون ملوحاً بسيفه. جسد (قهراد) في ذلك الوقت أصابه الكثير من الطعنات والسهام والعديد من الكسور جراء سقوطه المتكرر من فوق الدواب لكنه لم يشعر بأي ألم بالرغم من خذلان بعض أطرافه له من وقت لآخر بسبب تهالكها وانتشار المرض فيها ومع ذلك استمر ولم يتوقف.

وصل (الفارس المخلد) لبوابة قصر الملك (جبليس) ليجد أمامه جيشاً عرماً من الخيالة والرماة والجنود المدججين بالأسلحة والدروع بانتظاره فوق يتأملهم وهو يتأهبون لمواجهة وباقي يراقبهم بأعينه المتوججة احمراراً وقلبه المشتعل غضباً ورغبة في الإقدام والانتقام لكن



ما تبقى من عقله كان يناجيه ويخبره أنه لن يتمكن من تجاوز ذلك
الحشد الكبير بجسده الممزق وعظامه المطحمة وخلال تأمله والريح
تداعب شعره سمع همساً في أذنه يقول: «سوف نعقد معك اتفاقاً أيها
الفارس المخلد..»

لم يكن (قِمَاد) بحالة عقلية تسمح له بالتمييز بين الواقع والخيال فأجاب
 قائلاً: «اتفاقاً من أي نوع؟»
أجابه الصوت الهمس في أذنه قائلاً: سنتمكنك من الوصول للملك
لكن بشرط أن تعطينا القناع بعد ما تحصل على مرادي..
(قِمَاد): أنا لم أكن أنوي الاحتفاظ به من الأساس.. موافق.. خذوني
إليه..

وفي لمح البصر وجد (قِمَاد) نفسه داخل القصر وتحديداً وسط القاعة
الكبيرة التي تحصن فيها الملك (جَبْلِيس) مع مجموعة من الحراس
المدججين بالحراب والسيوف ومجموعة أخرى من الرماة المحترفين
يقفون خلف عرشه وما أن رأوه يتجلى أمامهم حتى صرخ الوزير
فيهم وهو يشير بسبابته نحوه قائلاً:
«إنه (الفارس المخلد).. اقتلوه في الحال!.. احموا الملك!.. احموا الملك!»

رفع (قِيَاد) سيفه واشتبك مع الحراس وأخذ يقتلهم واحداً تلو الآخر
ومع كل جثة تسقط يقترب أكثر من الملك المفروع الذي اصطف
الرماة أمامه وشدوا على سهامهم ذات الرؤوس الحديدية متظرين
الأوامر بإمطاره بسهامهم. ما كان يمنعهم وقتها من إطلاق السهام
هو خوفهم على زملائهم من أن يصابوا لكن الوزير وعندما رأى أن
الغلبة ستكون لـ (قِيَاد) لا محالة أعطى الأمر متجاهلاً ما قد يحدث
للحراس المتعاركين معه وبالفعل انطلق وابل كبير من السهام أصابت
جميعها من كان وسط تلك القاعة بمن فيهم (الفارس المخلد) الذي
أصيب بعشرة منها في أجزاء متفرقة من جسده لكنه ظل واقفاً يتنفس
غاضباً بشغل محدقاً بهدفه التالي.. الملك (جبليس).

أصيب الرماة بالفزع من ذلك المنظر وسرعوا في الفارس الذي بدأ
بالجري نحوهم صارخاً بأعلى صوته. قطع سرحانهم بصرخة عما ثلة
من الوزير يأمرهم فيها بشد السهام مرة أخرى وإطلاق المزيد منها
تجاهه لكنهم لم يلحقوا لأنهم وجدوا حد سيف (الفارس المخلد)
يقطع رقبتهم وأطرافهم حتى قضى عليهم جميعاً ولم يبق سوى الملك
الجالس على عرشه والوزير الراجف بجانبه.



سار (قِمَاد) بخطواتٍ ثابتةٍ وواقةٍ نحو الملك وقبل أن يحاول (جَبْلِيس) النهوض أعاده رأس السيف المغروس بقلبه لمكانه. وخلال ضغط (الفارس المخلد) على المقبض غارساً السيف أعمق في صدر الملك قال: «القتل يكون أكثر متعة عندما يكون المقتول يستحق ذلك..»

هر布 الوزير من المكان ولم يحاول مساعدة الملك المحتضر ..

(قِمَاد) واضعاً إيهامه وسبابته عند ذقن القناع ويهم بنزعه: «فليكن هذا كفارقي عن كل الأعمال الخسيسة التي قمت بها لأجلك..»

(الملك جَبْلِيس) وهو في سكرات الموت: من أنت؟

(قِمَاد) يخلع القناع الذهبي بيده وباليد الأخرى يدفع مقبض السيف أكثر مخرجاً رأسه من ظهر الملك: «أنا؟.. أنا الديك الأعور..»

سقط القناع على الأرض الرخامية بينما صعق (قِمَاد) بكمية هائلة من الألم جراء تكالب جميع الإصابات التي تعرض لها منذ لبسه القناع وإحساسه بها دفعة واحدة.. جميع الطعنات والجروح.. الكسور وتقطّم العظام.. الإرهاق والتعب.. الجوع والعطش.. جميعها انفجرت بداخله ونزعت روحه في لمح البصر ليموت وكفوفه مسندة على مقبض السيف المغروس في قلب الملك.



مجموعة من الرجال الضخام ببشرة سوداء ورؤوس حلقة وأقدام

حافية يظهرون حول العرش..

يقدم أحدهم ملقطاً القناع الذهبي بصمت..

يلقي نظرة على العرش..

يختفي في الهواء ومن خلفه المجموعة التي أتت معه..

صاحبۃ الجنون الجیل

«وما علاقة كل هذا بمن نفعله الآن..؟»

قالتھا (رافدة) وهي تحرک أذرعها فوق سطح الماء..

(كمیت): ومن هؤلاء القوم الذين أخذوا القناع؟

(أنمار): قبیلة من قبائل الجن الكبیرة.. (أدیس) دمھا كان مهدوراً عند الجن وقد قتلت هنا في هذه الواحة على يد أحد المعمرين منهم عندما قدم للواحة لقضاء آخر أيامه والموت فيها كما تقضي عاداتهم وقد أرادت قبیلته تكريمه بدنن قناعها معه لذا جابوا الأرض بحثاً عن القناع الذهبي ولم يكتشفوا مكانه إلا بعد ما حصل عليه (قیاد)



وذاع صيت (الفارس المخلد). الجن كانوا يتشاءمون من هذا المكان ولا يأتونه إلا للموت فقط لكن وبعد مقتل (أديس) فيه على يد المعمراً أصبح قبره مزاراً لهم وسكنى للبعض الآخر.. المكان يعج بهم الآن وأنا أريد الحصول على القناع لأخذه معي عند عودتي لـ «فارس»
لأستخدمه في مواجهة خالي وأخواتي

(رافدة): لم لا تبقي بأرض أمك وتنسين فكرة العودة؟.. أم أنه لا تملkin عروبة كافية في دمائك تدفعك لذلك؟

(أنمار): «عروبي كجسي.. ممزقٌ ومليء بالندب، لكن روحي حرّةٌ نقيةٌ تحدوني شوقاً لفارس..» .. أنا لا أمقت أياً من أصولي ولا أُعشق أحداً على الآخر فكلّاهما جزء لا يتجزأ مني.. لكنني أشعر أحياناً أن قلبي مقسوم لشقين وكلّ قسمٍ يكره الآخر ويريد الابتعاد عنه ويقسّاني نصفين بشقٍ صدرى .. في كل الأحوال منها كانت مشاعري منقسمة على نفسها سأعود لـ «فارس» رغمًا عن خالي وسأكون جاهزة لمواجهتها.. والقناع الذهبي سيزيد من قوتي»
(كميت): لم لم تخبرينا بكل ذلك عند النار؟



(أنهار): لم أرد أن يسمعني الجن القاطنون هنا وأنا أحكي لكما عن نبتي
فهم لا يستطيعون الإنصات إلينا ونحن وسط الماء

(رافدة): وهل تعرفين أين قبر الجنـي المـعمر حيث دفن القـناع؟

(أنهار): لا.. وهذا ما أحتاجـكـما فيه

(كـمـيـتـ): بـقـلـقـ: ماـذـا تـرـيـدـيـنـ مـنـاـ أـنـ نـفـعـلـ؟

(أنهار): أـرـيدـ منـكـماـ السـيرـ مـعـيـ وـالـتـجـولـ فـيـ الـواـحةـ حـتـىـ أـتـعـرـضـ
لـلـهـجـوـمـ

(رافدة): هـجـوـمـ؟

(أنهار): نـعـمـ.. الجنـ يـتـعـرـفـونـ عـلـىـ السـحـرـةـ بـسـهـوـلـةـ وـلـوـ اـقـرـبـتـ مـنـ قـبـرـ
الـمـعـمـرـ قـاتـلـ (أـدـيسـ)ـ حـيـثـ القـنـاعـ مـدـفـونـ سـيـحـاـوـلـوـنـ مـنـعـيـ وـسـيـكـشـفـوـنـ
مـكـانـهـ.. هـنـاـ يـأـتـيـ دـورـكـماـ.. اـحـفـرـاـعـنـدـ جـذـورـ النـخـيلـ الـقـرـيبـةـ مـنـ مـكـانـ
تـعـرـضـيـ لـلـهـجـوـمـ حـتـىـ تـجـدـاـ القـنـاعـ

(كـمـيـتـ): سـتـتـعـرـضـ لـلـهـجـوـمـ نـحـنـ أـيـضـاـً

(أنهار): لا.. لنـ يـحـدـثـ ذـلـكـ فـهـمـ لـاـ يـتـعـرـضـوـنـ لـغـيـرـ السـحـرـةـ لـمـعـرـفـتـهـمـ
بـأـنـهـمـ هـمـ فـقـطـ مـنـ يـرـيـدـوـنـ اـسـتـخـدـامـ القـنـاعـ الـذـهـبـيـ لـأـغـرـاضـهـمـ الـخـاصـةـ



(رافدة): وبعد ما نجده.. ماذا نفعل به؟

(أنهار): خذاه معكما وآخرجا خارج الواحة مع (دوسر) و(عوراء)
لكن تذكرا أن لا تحفرا أكثر من ثلاث حفر وإلا فسوف يتبعون لكما
(كميت): معنى هذا أن لدينا ثلاث محاولات فقط

(أنهار): بالضبط.. لا تنسيا ذلك وإلا هلكتنا
(رافدة): وإذا لم نجد القناع في أي من الحفر التي سنحفرها؟

(أنهار): توقيفا وارحلا فوراً
(كميت): وأنتِ؟

(أنهار): سألحق بكما بعد ما أتخلص منهم
(رافدة): هل تملkin القوة الكافية للتخلص من مجموعة من الجن
يحاولون قتلك؟

(أنهار): لا عليك.. أنا مستعدة لهذا اليوم منذ زمن طويل.. فقط
احصلنا على القناع واهربا من المكان في الحال
صممت الفتاتان ووجهتا أنظارهما بعضهما وتبادلنا نظرات
الحيرة والتوتر..



(أنهار) محركة أذرعها عائدة: هيَا كي لا نضيع الوقت..

عاد الثلاث للنار المشتعلة حيث تركن (عوراء) و(دوسرا) اللذين كانوا
لا يزالان يغطان في نوم عميق فقالت (أنهار) وهي تشير شرقاً:
«لنبدأ بالسير بهذا الاتجاه وتذكرا ما قلته لكم جيداً ونفذاه بالحرف..»

(رافدة): انتظري.. أين المخرج من هنا؟.. نحن وسط الواحة ولم
ندخلها بأقدامنا ولا نعرف طريق الخروج منها

(أنهار) تشير للغرب: عندما تعودان لأخذ الصغيرين استمروا بالجري
بهذا الاتجاه حتى تنتهي الواحة وابعدوا مسافة كافية ولا تبقوا عند
أطرافها

(كُميٍت): وكم من الوقت يجب علينا انتظارك حتى نفقد الأمل
بعودتك؟

(أنهار) وقد بدأت بالسير شرقاً: إذا أشرقت الشمس ولم أعد فهذا يعني
أني لم أنج.. خذن (دوسرا) معكم واعتنين به

سارت المجموعة واستمررن بالسير والتوغل في الواحة المظلمة ذات
الأشجار الكثيفة..

(أنهار) وهي في المقدمة: لا تسيرا بالقرب مني كثيراً.. اجعلوا بيني وبينكما مسافة بمقدار عشر خطوات على الأقل

نفذت الفتاتان ما أمرتا به وبعد وقت قليل من السير توقفت الساحرة الهجينة وقالت: هل تسمعان ذلك؟

(رافدة) محاولة الإنصات: نسمع ماذا؟

(كميت): لا لم نسمع شيئاً

(أنهار) تحول بنظرها في الظلمة: لقد اقتربنا.. أحس بذلك

(رافدة) هامسة لأختها: هذه الفارسية مجن..

فجأة وبدون مقدمات سمع الجميع عدة صرخات مخيفة كأصوات السباع الغاضبة تبعها ارتطام (أنهار) بأحد أجذع النخيل وكان شيئاً دفعها بقوة وقبل أن تنہض سُحبَت بسرعة من أقدامها مختفية عن أنظار الفتاتين في ظلمة الواحة واللتين وقفتا متسمرتين برعـبـ. اختفت الساحرة الهجينة لكن صوتها كان مسموعاً في الأفق المظلم وكانت تصرخ بغضب بالفارسية وكأنها في عراك محتمـ.

(كميت) تخرج من صدمتها: هيا لنحفر!

(رافدة) مستعية تركيزها: نحفر أين؟!

(كميت) مشيرة لنخلة أمامها: لقد تعرضت للهجوم هناك!

(رافدة): هل أنتِ واثقة؟!

(كميت) تجري حيث أشارت: نعم.. أعتقد!

بدأت الحجازية بالحفر عند جذور النخلة التي أشارت إليها و(رافدة)
تقف بجانبها وتقول بقلق: وأنا؟.. أين أحفر؟!

(كميت) مستمرة بالحفر وصوت صراخ (أنهار) يعلو أكثر خلفها: لا
أعرف!.. اختاري أي نخلة قريبة مني!

لم يستغرق الأمر مطولاً حتى وقعت عين البدوية على نخلة أخرى
وبدأت بالحفر عند جذورها وهي تنظر خلفها قائلة: هل تظنين أنها
ستنجو؟!

(كميت) منهكمة بالحفر بيديها العاريتين وبصوت مرتفع: لنتته من
الحفر بأسرع وقت وكفي عن الحديث!

لم توقف الفتاتان عن الحفر إلا عندما حل الهدوء فجأة وتوقفت
(أنهار) عن الصراخ وخيم هدوء خيف في المكان..



لم تتكلم أيّ منها لثوانٍ واكتفتا بالنظر لكتوفهما المتسخة بالتراب حتى
قالت (رافدة) بصوت أشبه بالهمس المليء بالخوف والتوتر: هل نكمل
الحفر؟

(كميت) بنبرة مماثلة: لا أعرف..

خرج وهج ناري ضخم فوق المنطقة التي كانتا تحفران فيها ليتشكل
أمامهما مارد كبير خاطبها بنبرة غاضبة قائلاً: «كيف تجرؤن؟!»

لم تنتظر الفتاتان أكثر ونهضتا وجراحتا هروباً من المكان دون الالتفات
خلفهما حتى وصلتا إلى (عوراء) و(دوسن) وأيقظتا هما وخرجا بهما من
الواحة فوراً. (كميت) حملت الفتى الصغير على كتفها أما (رافدة) فقد
شدت الصبية من لباسها وأنهضتها بالقوة معها. بعد تجاوزهم أشجار
النخيل للمنطقة المفتوحة لم تتوقف الفتاتين عن الجري بهلع حتى أصبح
الجميع بعيدين عن الواحة وفي قلب صحراء مقرفة ووقفوا فوق تلة
رمادية عالية يشهقون بسرعة باحثين عن الأنفاس عدا (دوسن) الذي
كان يراقب الواحة في الأفق البعيد قائلاً: أين الخالة (أنمار)؟
(كميت) وهي تنزله أرضاً على ركبها وتنفس بشغل: ستأتي بعد قليل..

(دوسر) ونظره سارح بالواحة وبهدوء: هل أصييت بنوبة أخرى؟

(كُميٰت) بخليط من التعجب وعدم الاستيعاب: نوبة؟.. نوبة ماذا؟

(عوراء) مبتلعة ريقها من الإجهاد: لم كنا نجري بهذا الشكل؟

(رافدة) رافعة جذع جسدها المنحنى من الإرهاق موجهة نظرها
للواحة البعيدة: نامي الآن وستحدث في الصباح

(عوراء) بعضوية: كيف أنام بعد ما أفزعني بهذا الشكل!.. لقد
شددتِ شعرٍ بقوّة!

(رافدة): هل كان ذلك شعرك؟.. ظننته لباسك

(عوراء) صارخة فيها: لا لم يكن لباسي!

(رافدة) آخذة بضع خطوات للأمام متجاهلة (عوراء) موجهة حديثها

لـ (كُميٰت) ونظرها للواحة في الأفق: هل تظنين أنها ستخرج؟

(كُميٰت) تنهض منزلة لثامها مشاركة أختها النظر للواحة: سنتظر
حتى تشرق الشمس كما قالت

(رافدة) ملتفة إليها: ثم ماذا؟.. نحن في مكان مجهول بلا دواب أو
أسلحة

جلست الحجازية حيث كانت تقف وقالت: لا أريد التفكير بهذا الأمر الآن..

(دوسن) وقد بدأ يدمع: أين خالي؟

(رافدة) مطمئنة له: ستنضم إلينا قريباً لا تقلق

احتضنت (عوراء) الصبي الخزين من الخلف وهمست في أذنه قائلة:
« تعال معي لننام.. »

(دوسن) بحزن: أنا لا أستطيع النوم إلا في حضن الحالة (أنمار)

(عوراء) مبتسمة: جرب حضني أنا وإذا لم يعجبك فسوف نلعب بالرمال حتى تعود.. ما رأيك؟

هز (دوسن) رأسه بالموافقة بوجه مكتئب ثم استلقي الصغيران على الرمال الباردة واحتضنا بعضهما بعضاً وعلى الفور غط الصغير في النوم ومن بعده (عوراء) بعد أن قبلت جبينه..

بقيت (رافدة) واقفة تمعن النظر في الواحة ولم تجلس بجانب أختها الحجازية التي قالت لها: هل أنتِ قلقة عليها؟



(رافدة): من؟.. أنا؟.. لا أبداً.. أنا قلقة على حالنا فقط لو لم تخرج
وهلكت على يد الجن
(كُميٰت) مبتسمة: لم تكرهينها؟

(رافدة) تزيح نظرها عن الواحة وتحلّس بجانب (كُميٰت): أنا لا
أكرهها لكن هذا لا يعني أنني أحبها أو حتى مطمئنة لها.. تبقى فارسية
والعمّة كانت تقول دوماً بأنهم ليسوا أهلاً للثقة وأنا أثق برأيها
(كُميٰت): ماذا عن عرقها العربي؟.. هي ليست فارسية بالكامل
(رافدة): ألم تسمعي كلامها؟.. أنها لا تريد البقاء هنا وتستيقن لأصول
أبيها وترى العودة لمسقط رأسها
(كُميٰت): هذا لا يجعلها إنساناً سيئاً يا (رافدة)

(رافدة): ما الغرض من هذا الحديث؟
(كُميٰت): أريد معرفة لم هجرت أنتِ أرضك وقبيلتك؟
(رافدة) وهي مستاءة من السؤال: وما دخلك أنتِ؟!.. وما مناسبة
السؤال من الأساس؟!

(كُميٰت): تلومين الفارسية لرغبتها بالعودة لأهلهما وأنتم هاربة من
أهلک.. آثار الأمر فضولي لا أكثر



(رافدة) بتجهم: لا علاقة لك بهذا الأمر!

(كميت) مبتسمة: رافدة ابنة الشيخ شبيل بن مطنب الهدجاني.. هذا ما
قالته العرافة في «سوق الحجاز».. هل كانت محققة؟
لم تجب البدوية عليها واكتفت بالنظر أمامها بعبوس..

استأنفت الحجازية كلامها وقالت: قتلتِ الشيخ (سياج) ضيف أبيك
وهربتِ من قبيلتك لأنه حاول..

(رافدة) تقاطعها بعصبية وغضب شديد: كفي عن الكلام!.. هل
تحاولين إثارة غضبي لأنني لا أطيق سيدتك الفارسية؟!

(كميت): لا يا اختي.. لكنني أريدك أن تتحدى.. تخرجي ذلك الهم
الذي أراه في عينيك وأسمعه في كلامك وبدأ مؤخراً ينعكس على
تصرفاتك.. صدقيني كتم الأحزان أحياناً يعطيها حجماً لا تستحقه
وقيمة أكبر مما هي عليه لتنمو في صدورنا وتختنقنا.. الهمومُ أحزانٌ
تشبث بنا قبل أن ترحل.. ساعديها على الرحيل بالحديث عنها..

(رافدة) وعيناها بدأتا تغرقان بالدموع: وما أدراك أنتِ بالهموم؟!

مدت الحجازية سبابتها ومسحت دمعة من على خد (رافدة)
وتذوقتها..

(رافدة) مستنشقة دموعها: ماذا تفعلين يا حمقاء؟

(كُميٰت): أبي كان يقول لي بأنك تستطيع معرفة سبب البكاء بتذوق دموع ذارفها عندما يرفض الإفصاح عنه.. وهذه الطريقة تعرف قدِيماً بـ «تذوق الروح»

(رافدة) بتهكم وهي تذرف المزيد من الدموع: وهل حصلت على شيء؟

(كُميٰت) تمسح لسانها: لا.. مجرد بعض الملح

(رافدة) ضاحكة من خلف حزنها ودموعها: لا تحاولي إضحاكي!

(كُميٰت) منزلة رأسها باسمة بحزن: كنا نسمى بـ «العراقيب».. مجموعة مرتزقة.. نعمل مقابل المال بأخلاص ولا نخون حتى يُدفع لنا أكثر.. أبي كان قائد تلك المجموعة.. علمني كل شيء أعرفه عن الرماية وبرعت بها لأجله ولأكون مصدر فخر له.. لكن كل ذلك انهار في يوم واحد.. قشة.. لا أعرف هل كانت القشة القاصمة لظهور البعير أم التي يتعلق بها الغريق..



أعقاب العراقيب

مجموعة من الملثمين على جياد سوداء يعبرون الصحراء غرب «عربستان» متوجهين لمنطقة جبيلة متعقبين قافلة قادمة من الشمال. تظهر القافلة لهم في الأفق فيرفع قائد المجموعة ذراعه موقفاً من كانوا معه. يُنزل القائد لثامه ويحدق مراقباً القافلة بصمت. يدنو منه أحد مرافقيه على ظهر دابته وكان يملك أعيناً كأعين القطط وعلى كتفه استقر صقر أبيض وقال: «هل هذا هو الهدف المنشود أيها القائد؟» (القائد): نعم.. من استأجر علينا شددوا على أن نجلب الفتاة حية ترزق وأن لا يصيبيها أي مكر و.. أخباري البقية يا (كُميٰت) بأن يتاهبوا للانقضاض على القافلة في الحال (كُميٰت): أمرك!



انطلق مجموعة الملثمين نحو القافلة التي تكونت من ثلاث نiac يحرسها عشرة من الفرسان وإحدى تلك النiac كانت تركبها فتاة في الخامسة عشرة من العمر وهي من كان الملثمون يستهدفونها. المجموعة تكونت من القائد وابنته وخمسة آخرين سلحوها جميعاً بالأقواس والسيوف. اشتربكت المجموعتان في قتال محتمد لكن الغلبة كانت للملثمين بسبب براعة الرامية (كميت) التي تخلفت للوراء وبدأت تقصص الفرسان بسهامها ولم تخطئ هدفاً واحداً. أحاط الملثمون بالناقة التي ركبت فوقها الفتاة المستهدفة والمفروعة وقال أحدهم للقائد ضاحكاً: «مجدداً تحرمنا (كميت) من الاستمتاع بالقتال..»

(القائد) متجاهلاً تعليق الملثم متراجلاً عن جواهه سائراً نحو الناقة: «اغنموا حمولة بقية النiac ولنرحل في الحال..»

شد القائد الفتاة بقوة من على ظهر الناقة وأسقطها أرضاً وأمسك بمعصمها ولواه كاشفاً عن وحمة مميزة وما أن رآها حتى قال محدثاً نفسه: «إنها الفتاة المطلوبة..»

أشار القائد لـ (كميت) بالاقتراب منها وعندما حضرت على ظهر دابتها رفع يده مشيراً لها برمي حبل ناحيته ففعلت. قيد القائد معصمي

الفتاة وشد الوثاق بقوه ثم رفعها ووضعها خلف (كُميٰت) ثم قام بربط
خاصرتها بعضها ببعض قائلاً: «لا تفتقديها..»
هزت (كُميٰت) رأسها بالموافقة..

صرخ القائد في بقية رجاله: هيا!.. لنعد للحجاز!
انطلق الملثمون بجيادهم وراء قائهم تاركين خلفهم ما أحدثوه من
تخريب وقتل..

هبط الليل فتوقفت المجموعة ونصبوا خيمتين كالمعتاد. واحدة للقائد
والأخرى للبقية لكن هذه المرة أمر القائد بنصب خيمة ثالثة لتبيّن
فيها (كُميٰت) مع أسيرتهم. أمر أيضاً بأن لا يُحل وثاق الفتاة وأن تنام
وهي مقيدة.

(كُميٰت) وصقرها الأبيض يهبط على كتفها: لكن يا سيدى هذا
سيكون مؤلماً لها

(القائد): لن نخاطر بمحاولتها الهرب خلال نومنا
(كُميٰت): عن أي خطٍ تتحدث إليها القائد؟.. نحن وسط الصحراء
ولا ملجاً لها للهرب إليه



(القائد): عدم إيماننا بوجود الخطر لا يلغيه بل يجعله أكثر خطورة..

(كُميٰت): حل وثاقها وسأبقى مستيقظة طيلة الليل لأحرسها ولن أنام.. أعدك بذلك

(القائد): نومك ليس خياراً بل أمر.. نفذني دون جدال

(كُميٰت): حاضر يا أبي

(القائد): في أرض القتال لست أباك.. هل تفهمين؟

(كُميٰت) منزلة رأسها: أعتذر منك أيها القائد (باجد)

قادت الرامية الملثمة الفتاة للخيمة بعد ما نصبت لصقرها وكره وغضطت

رأسه بالبرقع وأجلستها وسطها وقالت: هل تريدين بعض الماء؟

(الفتاة) ووجهها مرهق من البكاء طيلة الطريق: لا.. لا أريد شيئاً..

(كُميٰت): طعاماً؟

(الفتاة) بعصبية: اتركيوني وشأنى!

(كُميٰت): نحن فقط سنعيدك لأهلك فلا تخافي

(الفتاة): أهلي؟!.. تقصدين من ي يريدون قتلي!

(كُميٰت): قتلك؟.. أبي يقول بأن..



(الفتاة) مقاطعة: لقد كنت في طريقي للزواج من أحب وأنتم أفسدتم
كل شيء!

(كُميٰت) وهي تجلس أمامها: أفهميني

(الفتاة): قاطعة طريق مثلك لن تفهم.. ثم إني لا أريد الحديث معك!
(كُميٰت): لننْمْ إذاً

(الفتاة) بتوجههم: نامي وحدك!

(كُميٰت) تستلقي وتستند خدها لكتفها: وهذا ما سأفعله..

أغمضت الرامية المثلثة عينيها وبقيت الفتاة تراقبها متوجهة بصمت
حتى قالت: من ينام بليثامه هكذا؟

(كُميٰت) وأعينها لا تزال مغمضة: كنت أظن أنك لا تريدين الحديث

معي

(الفتاة) بعصبية: وما زلت!.. لكن شكلك مضحك وأنت تنامين بهذا
الشكل!

(كُميٰت): لا أسمع أي ضحكات.. لا أسمع سوى تذمر فتاة مدللة

(الفتاة) ترفس (كُميٰت) في بطنها: اخرسي!



نهضت الرامية الملثمة من مكانها وبحركة سريعة قبضت على عنق الفتاة وضغطت عليه وحدقت بعينيها وقالت بنبرة صارمة: لو كررتها مرة أخرى فستبكين لسبب آخر!

(الفتاة) معنة النظر بأعين (كُميٰت): عيناك غريبتان.. تشبهان أعين..

(كُميٰت) وهي تدفع الفتاة للوراء: أعرف.. أعين القطط

(الفتاة): أراهن أن وجهك جميل مثل عينيك

(كُميٰت) مترسبة أمام الفتاة: هل هذه حيلتك لمحاولة الهروب؟

(الفتاة): لا لا أبداً.. أريني وجهك

(كُميٰت): هذا منوع علينا كي لا تكشف هويتنا

(الفتاة): ومن سأخبر؟.. أنا أسيرة عندكم

(كُميٰت): لن تبقى أسيرة بعد ما نعيديك لأهلك

(الفتاة): معك حق.. سأكون مدفونة تحت التراب

(كُميٰت): ولم سيقتلونك؟

(الفتاة) تزفر بحسرة مطأطئة رأسها: نبوءة غبية في القبيلة بأن من



تولد بوحمة على شكل نخلة في جسدها يجب أن تنحر ويضحي بها عند
بلغها لإبقاء البركة أو شيء سخيف من هذا القبيل
(كُميٰت): مما فهمت منه أن النبوءة تحققت فمعنى ذلك أنها ليست
سخيفه وتحمل جانبًا من الحقيقة
(الفتاة) رافعة معاصمها المقيدة عند وجهه (كُميٰت): هل ترين شكل
نخلة؟

(كُميٰت) معنة النظر في الوحمة: لا.. أرى شكلاً يشبه الفأر
(الفتاة) ضاحكة: ربما لأنك جائعة يا قطة!
(كُميٰت) متوجهة: هل تسخرين مني؟!
(الفتاة) واهم يتجلّى على وجهها: بل أسعخر على حالي المؤلم.. سأكون
ضحية غباء قبيلتي وجهل أهلي.. مثلك تماماً
(كُميٰت) متعجبة من إقحامها في الموضوع: وما دخلني أنا؟
(الفتاة): لقد رأيت الطريقة التي عاملتك بها أبوك.. أشفقت عليك
وعلى القيود التي يقيدك بها
(كُميٰت): يبدو أنك تتحدثين عن شخص آخر.. أنا لست مقيدة



(الفتاة): وأي فتاة حرة تنادي أباها بـ «القائد» وينهرها لو نادته بغيره؟

(كُميٰت): هذه ليست قيوداً.. الخطأ كلّه يقع علىّ.. أنا أراه شيئاً عظيماً وكبيراً وكان يجب أن اعامله بما يستحق وعلى هذا الأساس

(الفتاة): كي تريه بهذا الشكل يجب أن تكوني أنت بدورك صغيرة وصاغرة أمامه إذاً

(كُميٰت): ماذا تقصدين؟

(الفتاة): فكري بها قليلاً.. إذا كان أبوك بحجم الجبل وأنت أمامه فهل سيراك جبلاً شامخاً مثله تماماً أم مجرد صخرة حقيرة.. كي ترى شخصاً أعظم منك فهذا يستوجب أن تكون أصغر منه أو على الأقل ترى نفسك كذلك في حضوره

(كُميٰت): وما المشكلة في إعطاء الشخص قيمته؟

(الفتاة): تعظيم شخص ما يتربّ عليه تصغير نفسك أمامه.. احترم الناس وقدرهم لكن لا تعظمهم أبداً

(كُميٰت): لا أجد ضرراً في ذلك

(الفتاة): من الواضح أنك تربيت على الخنوع وتم ترويضك جيداً

(كُميٰت) بهدوء متجاهلة محاولات الفتاة الواضحة لاستفزازها:

أطبقي فمك يا أسيرة..

(الفتاة): هل أزعجتك الحقيقة أم أنك للتو اكتشفت أنك عبدة مقيدة وأني وبالرغم من أسرى أملك حرية أكبر منك

(كُميٰت): قلت بأنك ذاهبة للزواج.. من كنت ستتزوجين؟

(الفتاة) بحزن وحسرة: من الشخص الوحيد الذين لم يصدق خرافاتهم.. شاب من قبيلة أخرى يملك النفوذ والثروة الكافية لإنقاذِي وبالفعل حرني وأرسل لي المجموعة التي خطفتني منها كي تحضرني له لنتزوج لكنكم أفسدتم كل شيء

(كُميٰت): لم أكن أعرف ذلك

(الفتاة): وحتى لو عرفت.. فما الذي يمكن لمقيدة مثلك القيام به؟..
أنت في النهاية مأمورة والمرتزقة ينفذون الأوامر ولا يفكرون بالعواقب لأن المال همهم الوحيد

(كُميٰت): أنا لست كذلك لكنني لن أنكر أن الحديث مع أبي أحياناً يكون كمحاولة الصراخ بلا فاء..



(الفتاة) مازحة: هذا جزاء من ينام متلثماً

(كُميٰت) مبتسمة بحزن: أستحق هذه السخرية منك

(الفتاة): أنت لا تستحقين شيئاً سوى السعادة ولن تجديها إلا بحريرتك.. لقد وجدتها و كنت أحلق في سماء البهجة قبل أن أقع بين أيديكم

(كُميٰت): أنا آسفة

(الفتاة): لم يفت الأوان كي أستعيدها و تستعيدي أنت كذلك حريرتك
(كُميٰت): إلام تلمحين؟

(الفتاة): نهرب.. نهرب من هنا لقبيلة زوجي وأعدك بأنه سيوفر لك
الحماية

(كُميٰت): لكن..

(الفتاة): لا تضيعي الفرصة.. الموت يتظمني غداً.. كما يقول العرب
فالكرم غير المشروط والعطاء بلا مقابل هو أول وآخر مصادر
السعادة.. أكرمي بمساعدتك لي بالهرب وأسعدني نفسك..

(كُميٰت): حسناً موافقة

(الفتاة) مبتهجة: فكي وثافي إذاً ولنرحل في الحال قبل أن يحل الصباح
ويكتشفوا غيابنا

(كُميٰت): كم تبعد قبيلة زوجك عن هنا؟

(الفتاة): مسيرة يومين لكن لو انطلقنا بجواحك فسنصل في وقت أقرب
صمتت (كُميٰت) بوجهه متفكِّر وكأن الشك بدأ يساورها..

(الفتاة): لم صمت؟.. هل غيرتِ رأيك؟

(كُميٰت): لا.. النية موجودة.. لكن..

(الفتاة): النية ليست قراراً.. لا تهمني أفكارك ونواياك بقدر أعمالك
وما تقرفه يداك.. لقد سمعت كلامك وأنظر لأرى أفعالك..

(كُميٰت) بثقة: سترين.. يجب عليّ أولاً تضليلهم كي لا يلحقوا بنا
فتعقب أثر جوادي على الرمال لن يكون بالأمر الصعب عليهم

(الفتاة): وكيف تنوين القيام بذلك؟

(كُميٰت) وهي تخل وثاق الفتاة: اتبعيني..

خرجت الاثنتان من الخيمة وقامت (كُميٰت) بفك وثاق الدواب



وإطلاق كل واحدة منها في اتجاه مختلف لتفوز هي بعد ما انتهت على
جوادها وتمد ذراعها للفتاة قائلة: الآن يمكننا الهرب!

استيقظ القائد (باجد) أول الصباح واكتشف هروب ابنته مع الفتاة
ولم ير بقية الخيول عدا جواد لم يبتعد لمسافة طويلة ووقف فوق تلة
قريبة. أيقظ القائد بقية الملثمين وأمرهم بتعقب جيادهم واللاحق به
بعد ما يحضرون له ذلك الجواد القريب. امتنى (باجد) الجواد وبدأ
يمعن النظر في الآثار المتروكة على الأرض بحثاً عن جواد (كُميٍّ)
كي يختصر الوقت لإيجادها وخلال تفكيره قال لأحد الرجال الواقفين
بجانبه: «أطلق صقرها..»

رفع الملثم الصقر من على وكره وأزال برقعه وأطلقه في الهواء..
(القائد باجد) وهو يشد لجام الجواد ليلحق بالصقر الذي حلق جنوباً:
عندما تجدون دوابكم الحقوا بي بهذا الاتجاه
(الملثمون) بصوتٍ واحد: أمرك!

بعد عدو لمسافة ليست بالقليلة هدأت (كُميٍّ) من سرعة جوادها
والفتاة متشبثة بها من الخلف تقول: لم توقفنا؟



(كُميٰت): نحن لم نتوقف لكنني لا أريد إرهاق الجحود أكثر فهو لم يحظ

بالراحة الكافية ليلة البارحة ولو أرهق فسنواجه مشكلة

(الفتاة) بحقن: لا يهم!.. تحركي!

(كُميٰت): كفي عن الحماقة!.. الأمر ليس بهذه السهولة فنحن لا نملك

لـ ماء ولا زادًا لـ نطعمه!

(الفتاة) بتذمر: كنت مخطئة لأنق بك!

كظمت الملثمة غيظها ولم ترد..

بعد سيرهما تحت الشمس الساخنة لأقل من نصف ساعة انتبهت

(كُميٰت) لصقرها الأبيض وهو يحلق فوقهما مما دفعها للالتفات خلفها

بسرعة لترى فرقتها تعود بجيادها نحوهما يتقدمهم أبوها نازعًا لثامه

بوجه غاضب ومحتن. شدت الرامية الملثمة على لجام دابتها وانطلقت

بسرعة فقالت الفتاة بجزع: «ما الأمر؟!.. لم انطلقنا بسرعة؟!»

(كُميٰت) وتركيزها منصب أمامها: ألم تكن هذه رغبتك؟!.. جماعتي

يتعبوننا!.. سأحاول تضليلهم!

نظرت الفتاة للوراء لتصرخ قائلة: إنهم يقتربون!.. سوف يمسكون

بنا!.. أسر عي أكثر!



(كُميٰت): الجواد لا يزال مرهقاً وهذا أفضل ما يمكنه القيام به وهو في هذه الحالة!

بدأت السهام تنطلق تجاهها وتتر بجانبها بشكل قريب جداً في إشارة واضحة بأنها سهام تحذيرية لـ (كُميٰت) للتوقف في الحال لأنها تعرف أن زملاءها لا يخطئون أهدافهم من تلك المسافة فأوقفت الجواد وبقيت تنتظر مكانها.

(الفتاة) صارخة فيها: لم توقفنا الآن؟!

(كُميٰت) بنبرة مستسلمة: لا فائدة من الهرب..

(الفتاة) وهي تضرب على رأس (كُميٰت) بكفها وبعصبية شديدة: تحركي!.. تحركي!

لم تستجب (كُميٰت) لها وبقيت تحدق في الأفق بصمت..

قفزت الفتاة من فوق الجواد وبدأت تجري في الصحراء وبعد ابعادها لمسافة قصيرة حاصر القائد (باجد) مع مجموعته (كُميٰت) وقال لها متوجهًا:

«ماذا تظنن نفسك فاعلة؟!.. ستتعاقبن عقاباً شديداً لخيانتك!»



لم ترد ابنته عليه ولم تلتفت إليه ..

(القائد) صارخاً في أحد أتباعه: الحق بالفتاة وأعدها!

قبل أن ينطلق الملثم خلف الفتاة شدت (كميت) سهاماً على قوسها وأطلقتها تجاهها ليخترق عنقها من الخلف ويرديها قتيلة..

(القائد) بخلط من العجب والسخط الشديد: هل جنت؟!

شدت (كميت) سهاماً آخر ووجهه لوجه أبيها..

(القائد) ببرود مفاجئ ومن خلفه بقية رجاله المصدومين: ستقتلين أباك؟

أطلقت (كميت) السهم وهي تقول: «في أرض القتال لست ابنتك..»

(رافدة) بعد صمت قصير تبع انتهاء (كميت) من رواية قصتها: «قتلته بكل بساطة؟.. وبدون سبب؟»

(كميت): لم يكن الأمر بسيطاً والأسباب كثيرة تراكمت على مدى سنوات لا حصر لها.. ما حدث مع تلك الفتاة ذلك اليوم لم يكن سوى حفنة التراب الأخيرة التي أقيمتها على قبر عبوديتي.. اكتشفت يومها أني لم أحبه قط.. كنت أخشى فقط



(رافدة): مَاذَا عَنِ الْبَقِيَّةِ؟.. هَلْ تُرْكُوك؟

(كُميٰت): أَفْرَغْتَ مَا تَبْقَى مِنِ السَّهَامِ مَعِي فِي صَدْرِهِمْ وَانْطَلَقْتَ بَعْدَهَا لِلْحِجَازِ وَانْضَمَّتْ لِلْمُقاوَمَةِ ضَدَّ الْيَعَاقِبَةِ هُنَاكَ لِأَنَّهُمْ الْوَحِيدُونَ الَّذِينَ لَنْ يَسْأَلُوا عَنْ مَاضِيٍّ وَسِيَحْمُونَنِي مِنْ أَيِّ مَلاَحَقَةٍ مِّنْ قَبْلِ السُّلْطَاتِ خَاصَّةً وَأَنْ مَهَارَتِي فِي الرَّمَادِيَّةِ أَغْرَتَهُمْ لِتَجْنِيدِي وَحِمَايَتِي

(رافدة): وَهَلْ سَتَطَارَدُ السُّلْطَاتِ فَتَاهَ قَتَلَتْ مَجْمُوعَةً مِّنَ الْمُرْتَزَقَةِ؟

(كُميٰت): الْمُرْتَزَقَةُ لَيْسُوا قَطَاعَ طَرَقٍ وَلَهُمْ حُوقُوقٌ كَأَيِّ فَرِّدٍ آخَرِ لَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ الْأَسَاسِيُّ لِإِطْلَاقِ حَمْلَةٍ وَاسِعَةٍ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ خَاصَّةً وَأَنْ لَدِيهِمْ أَمْوَالًا أَهْمَلْتُهُمْ بِهَا

(رافدة): لَمْ كُنْتِ مَطَارِدَةً مِّنَ السُّلْطَاتِ إِذَاً؟

(رافدة): تَلَكَ الْفَتَاهُ كَانَتْ ابْنَةُ شِيَخٍ مِّنْ شِيَخِ الشَّمَالِ وَذَاتِ شَأنٍ كَبِيرٍ وَقَدْ اخْتَلَقَتْ قَصَّةُ النَّبُوَّةِ كَيْ تَكُسُّ تَعَاطُفَيْ مَعَهَا لِأَقْوَمِ بَتْهَرِيبِهَا لِتَلْتَقِي بِمَنْ رَفَضَ أَبُوهَا تَزْوِيجَهَا لَهُ وَهُوَ أَيْضًا ابْنَ لِشِيَخٍ مَعَادِ لِقَبِيلَتِهِمْ وَعِنْدَمَا وَجَدُوا جَثَاهَا مَعَ جَثَّةَ أَبِيهِ وَبَقِيَّةِ أَفْرَادِ الْفَرْقَةِ عَلِمُوا بِأَنِّي

الفاعلة وأصبحت مطاردة منذ ذلك اليوم من جميع قبائل الشمال
(رافدة): قبائل الشمال لا يُعرفون إلا بخصلتين.. الكرم الشديد
وعزيمة لا تلين في البحث عن الثأر
(كُميٰت): أعرف أطياعهم جيداً فأمي منهم.. كسبت عداء أهل أمري
بسبب خداع فتاة حمقاء
(رافدة) تضع يدها على فمها كاتمة ضحكة..
(كُميٰت) مستنكرة: ما بك يا بدوية؟

(رافدة): هذه أول مرة أعرف أنك غبية وتنخدعين بسهولة
(كُميٰت) مبتسمة: كنت صغيرة وجاهلة وتلك اللعينة عبشت بعقلِي
بقصتها الحزينة
(رافدة): أراهن أنك شعرت بالراحة عندما علمت بذلك.. أقصد أن
ذنب قتلك لها زال بعد معرفتك بأنها كذبت عليكِ

(كُميٰت): في الحقيقة لم أشعر بالذنب من الأساس.. وأعتقد أنني قمت
بتهريبها لأنني أبغضها فقط وللسبب نفسه قتلتها ربياً.. أما هي فلم تشكل
لي شيئاً.. شعرت بالسعادة لاغضابه وسعادة أكبر لقتله.. لم أره يتبرّأ



لي من قبل إلا عندما رفعت سهمي بوجهه.. كانت ابتسامة مصطنعة
حاول بها خداعي

(رافدة): الابتسامة المصطنعة أقبح من التجهم..

(كميت): وقد أزالتها من على وجهه عندما أطلقت سهمي على جبينه
صمتت (رافدة) ووجهت نظرها للواحة..

بعد دقائق من الصمت التفت البدوية على الحجازية وقالت: «هل
رويت لي قصتك كي أروي لك قصتي..؟»

(كميت) ونظرها للواحة بعيدة: لا.. أخبرتك بها أخبرتك به فقط
لأنني كنت أريد ذلك..

(رافدة) تعيid نظرها للواحة وتزفر قائلة: أبي لم يعاملني بقسوة.. لأنه
لم يكن يراني من الأساس.. أنا الوحيدة من بناته التي نجت من الدفن
(كميت): الدفن؟

(رافدة): نعم.. أبي كان من العرب الذين يئدون بناتهم ويحتفظون
بابنائهم.. دفن قبلي ثلاثةً من أخواتي لكنني نجوت
(كميت): كيف؟



(رافدة) بنبرة ساخرة مشبعة بالحزن: كان مريضاً عندما ولدتني أمي ولم يتهائل للشفاء إلا بعد ما أمضيت فترة في حضنها وتعلقت بي وأسمتني وبالرغم من أنه لم يبالِ وحاول التخلص مني مثل بقية أخواتي إلا أن استقواء أمي بأهلها وتهديد أبي بهم جعلاه يتراجع ويتبرأ مني في لحظة غضب لكنها لم تهتم وربتني حتى بلغت الثانية عشرة من عمري لترسلني بعدها لقبيلتها ليقوم أخواالي بتعليمي الفروسية والقتال لمدة خمس سنوات عدت بعدها لقبيلتنا وأبي على الحال نفسها من الرفض

لوجودي أو الاعتراف بي

(كميت): قلبه قاسٍ مثل أبي..

(رافدة) مستأنفة حديثها: كنت أظنه يكره الإناث عموماً لكن الغريب أن أغلى شيء في حياته كانت فرساً اسمها (المختمرة).. عشقها حتى أكثر من إخوتي الذكور ولم يكن يرضي أن يمسها أحد غيره وهذا ما جعلني أكرهه أكثر

(كميت): لا تقولي بأنك قتلتة أيضاً

(رافدة): لا.. تربية أخواالي علمتني المروءة ولم يكن ذلك من أطائع الفرسان



دم المختبرة

قافلة من النياق محملة بالخيرات تصاحبها مجموعة من الفرسان..

يصلون لمضارب قبيلة الشيخ (شبل بن مطنب الهجداني)..

يتقدمهم شيخهم (ثغر) وابنه الأكبر (سياج بن ثغر)..

ينخرج الشيخ (شبل) لاستقبا لهم بنفسه مرحباً..

يترجل الشيخ (ثغر) عن دابته مع ابنه ويسيران مع مستضيفهم
لخيته الكبيرة..

(الشيخ شبل) لضيفه: الأرض لا تسعني اليوم بهذه الزيارة.. سنوات
طويلة وأنا أدعوك لتشرفني يا شيخ (ثغر).. وأخيراً استجبت



(الشيخ ثغر): الشرف لي يا شيخ (شبل) ودعواتك السابقة كلها محل تقدير واعتزاز عندي لكن وكما تعلم كنا في حروب طاحنة مع القبائل المعادية لنا ولم نهأ إلا قبل عدة أشهر فقط

(الشيخ شبل): أعرف.. وقد عرضنا عليكم المساعدة لكنكم رفضتم (الشيخ ثغر): لو كنا نحتاجها لارفضناها.. الأمر كان بيدها وقد حققنا النصر بدونها

(الشيخ شبل) ضاحكاً: «من يعادي (ثغر) يعيش بالقهر أو يموت بالنحر..» .. أليس هذا ما يقال؟

(الشيخ ثغر) بفخر: بلى.. وهناك مقولة أخرى...: «من يطلب الكرام لا يُخذل ومن يطلب اللئام يُكسر..» .. وأنا لي طلب عندك

(الشيخ شبل) بحماس: طلبك مجاب من قبل أن أسمعه!

(الشيخ ثغر): اسمعه فقد يكون لك رأي آخر

(الشيخ شبل) بحماس أكبر: سأسمعه فقط لتناوله!.. لم تلد أمه بعد من يرفض طلب الشيخ (ثغر)

(الشيخ ثغر) مبتسمًا: بوركت يا شيخ (شبل).. أريد (المختمرة)

(الشيخ شبل) مبتلعاً ريقه: .. (المختمرة)؟

(الشيخ ثغر): نعم.. هل طلبي مجاب؟

(الشيخ شبل) وقد تغيرت معالم وجهه: هي لك..

(الشيخ ثغر) مشيراً لأبنه الجالس بجانبه: أبني الفارس (سياج) هو من يرحب بها.. لقد وعدته أن أهديه ما يشاء لو حقق لي النصر على أعدائنا وقد فعل وكان طلبه هو فرس الشيخ (شبل) فأخبرته بأنها له

(الشيخ شبل) يهز رأسه بالموافقة: وكلامك لن يُكسر..

نادى (الشيخ شبل) على أحد فرسانه الواقفين خارج الخيمة وأمره بإعداد (المختمرة) لتسليمها للشيخ (ثغر) ثم وجه بإعداد وليمة كبيرة على شرف الضيف وابنه..

بعد الانتهاء من تناول الطعام سأله (سياج) أباه في حضور الشيخ (شبل) وقال: «متى ستصل (المختمرة)؟»

أدرب الشيخ (ثغر) نظره نحو الشيخ (شبل) الذي قال وهو يهم بالنهوض: سأذهب لأرى ما حل بالتجهيزات..

خرج (الشيخ شبل) من الخيمة بينما كان الاثنان يراقبانه بصمت..



توجه الشيخ مباشرةً للمكان الذي خصصه لربط (المختمرة) ليرى أنه قد تم تنظيفها وإلباسها سرجها المميز فمسح على جبينها بحزن وقال: ليس من السهل أن يفقد المرء قطعة منه.. يعز عليٌ فراقك يا مُهْجَةَ القلب لكن ما باليد حيلة..

(رافدة) تحدثه من الخلف: لقد دفنت ثلاث قطع قبلها فلا أظن الأمر بتلك الصعوبة عليك يا أبي (الشيخ شبل) متوجهًا دون أن يلتفت إليها: ليتنى دفتوك معهن ولم أخضع لتهديد أمك!

(رافدة): الدفن حيًّا لا يكون تحت التراب فقط.. لقد دفنتني يا أبي بإقصائي من حياتك (الشيخ شبل) ملتفتاً نحوها ليراها تقف بجانب جوادها (الشيم) مرتدية لباساً أحمر: لذلك لا أريد نساءً في نسلِي.. جميعكن ضعيفات وتباكين على أي شيء

(رافدة): والدليل أن امرأة هي من منعتك من قتلي رغمًا عن رغبتك.. (الشيخ شبل): تظاهرك بالقوة أمامي لن يخدعني.. أعرف أنك هشة كأرض الصحراء بعد المطر

(الشيخ شبل) واضعاً يده على صدر الشيخ (ثغر) محاولاً تهدئته: انتظر

ياشيخ حتى نسمع منه!

(الشيخ ثغر) متجاهلاً (الشيخ شبل) وغضبه يتفاقم: نسمع ماذا؟!..

ابني لا يكذب أبداً!

(الشيخ شبل) مرتكباً من التوتر المتصاعد: هو لم يقل شيئاً حتى الآن

كي نكذبه أو نصدقه!

(الشيخ ثغر) موجهاً نصل السيف نحو (الشيخ شبل): وهل تحرؤ على

تكذيبه؟!

(الشيخ شبل) مستجماً نفسه وبهدوء يخالطه الاستغراب: ماذا تفعل

ياشيخ؟

(الشيخ ثغر) وهو يهز السيف في وجه الشيخ (شبل): سأمنحك فرصة

لتعيد لابني ما أهدر من كرامته في ضيافتك وإلا فستكون العواقب

وخيمة!

(الشيخ شبل) موجهاً نظره لـ (سياج) وبكل رباطة جأش: أخبرني

ماذا حدث؟

(سياج) بانفعال: ذهبت لتجربة الفرس ووجدت المرأة التي تعتنى بها



استل (سياج) سيفه صارخاً: اخرسي!

أمسكت (رافدة) بمقبض سيفها لكنها لم تخرجه من غمده وقالت:
أعد سيفك لمكانه فأنت لست ندّا لي

(الشيخ شبل) بغضب وسيف (الشيخ ثغر) لا يزال مرفوعاً بوجهه:
هل تنوين ذر الرماد الأسود على وجهي يا ابنة أمك؟.. لا تنتهكي حق
الضيوف!

(رافدة) تشد على مقبض سيفها: أنت من يقف أمام الكبير يا أبي وليس
أنا.. هؤلاء ليسوا ضيوفاً يستحقون الكرم والتكريم!.. لقد طعن
ضيفك المزعوم المختمرة بسيفه وقتلها!

(سياج) بغضب: كاذبة!.. هي من قتلت الفرس أمامي عندما حاولت
امتطاءها وضررتني بعدها!

(الشيخ ثغر) وسيفه لا يزال موجهاً للشيخ (شبل) وحديثه لابنه:
قتلها!.. أغسل إهانتك بيديك!

هجم (سياج) على (رافدة) لكنه لم يخط سوى خطوتين قبل أن يقع على
وجهه منحوراً بعد ما مر نصل سيفها بسرعة خاطفة عبر نحره..



(رافدة) موجهة سيفها الدامي نحو الشيخ (ثغر): أبعد سيفك عن

وجه الشيخ

(الشيخ شبل): لا تتدخل!.. اخرجي في الحال!

(رافدة) ونظرها منصب على الشيخ (ثغر) وحديثها لأبيها: أنا لا أقوم

بذلك دفاعاً عنك بل عن شرف قبيلتنا.. والآن أبعد سيفك عن الشيخ

يا (ثغر)

صرخ الشيخ (ثغر) وهجم هو الآخر على (رافدة) وبعد قتال قصير

وجد سيفها مغروساً في بطنه ليسقط هو الآخر بجانب ابنه قتيلاً..

(الشيخ شبل) يسير بخطواتٍ بطيئة ونبرة صوتٍ مختنقة بالحسرة: ماذا

فعلت يا ملعونة!.. ماذا فعلت؟!

(رافدة) معيدة سيفها الدامي لغمده وتهم بالرحيل: فعلت ما لا

تستطيع فعله يا شيخ (شبل).. كنا وما زلنا وسنبقى عرباً نموت

لكرامتنا ونجاة عزتنا وليدذهب غيرنا للجحيم..

(الشيخ شبل) منادياً عليها بعصبية: إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟!

(رافدة) مكملة طريقها خروجاً من الخيمة دون أن تتوقف أو تلتفت:
أنا من يتبرأ منك الآن..

خرجت الفارسة المجدانية وامتنعت جوادها (لشيم) وانطلقت مبتعدة
عن مضارب قبيلتها لكن (الشيخ شبل) وجّه مجموعة من فرسانه
للاحقتها والعودة برأسها ثاراً لدم (المختمرة) وعقاباً لها على غدرها
بضيوفه..

(كميت): ياه.. كل هذا حدث معك.. لكن بصرامة أجد أن ردة
 فعلك مع ابن شيخ القبيلة كان مبالغ فيها بعض الشيء.. ضربته فقط
 لأنه مسع على ظهر الفرس وحاول امتطاءها؟

(رافدة): لم يكن ظهر الفرس الذي مسع عليه..

(كميت): آه.. فهمت

(رافدة): ثم إن ذلك الوغد استحق ما أصابه فقد كان متغطراً
 بشكلي مشرف ولم يكن يحترم قبيلتنا التي استضافته ولا شيخها وقتله لـ
(المختمرة) دليل على ذلك

(كميت): وكيف نجوت من فرسان قبيلتك؟

(رافدة): قاتلتهم بعد أن لحقوا بي وحاصروني مع أن الخمسة الذين تعقوبي كانوا من أقوى فرسان القبيلة إلا أنني تمكنت من قتل أربعة منهم وكاد الأخير يجهز عليّ بسبب إرهافي من العراق مع زملائه إلا أن تدخل العمة (نافجة) و(زبجد) أنقذ حياتي بالرغم من إنكارهما لذلك كي لا يحسساني بالإهانة

(كميت) مبتسمة: هذه هي القائدة.. لا ترضي بأن يهان أحد أو تمس كرامته

(رافدة) بحزن مفتقدة عمتها: وهذا أكثر ما أحببته فيها.. كم أفتقدتها
(كميت) وهي تدمع: وأنا كذلك.. ليتنا بقينا ومتنا معها
مدت (رافدة) سبابتها ومسحت دمعة الحجازية وتذوقتها ثم قالت:
حتى طعم دموعك مختلف مثل عينيك يا حجازية
(كميت): مبتسمة من وراء دموعها: وما طعمها يا بدوية؟
(رافدة): لا طعم لها.. لكنها نقلت لي علمًا وأخبرتني بأمرٍ هام
(كميت): وبهذا أخبرتك؟

(رافدة) مبتسمة بحزن: بآني أحبك وسائليك بحياتي لو احتجت
لذلك يوماً ما..



مدت الحجازية ذراعها ووضعت كفها على كتف (رافدة) وسحبتها
تجاهها مسندة رأسها على جبينها قائلة: هذه مشاعري أنا كذلك!
صوت شخير (عوراء) يرتفع من خلفها..
(رافدة) بأعين مغمضة ورأسها لا يزال مسندًا لرأس (كُميٰت): حتى
البعير الهاذر النائم خلفنا.. سأفتديها بحياتي
(كُميٰت) مبتسمة كاتمة ضحكتها: وأنا أيضًا
(رافدة) ملتفتة خلفها: كيف يستطيع ذلك الصبي المسكين أن ينام
والأرض تهتز من تحته هكذا؟
(كُميٰت) رافعة رأسها من على جبين (رافدة): هل لاحظت كيف
تعامله الفارسية؟
(رافدة): ماذا تعنين؟.. لم أفهم قصدك
(كُميٰت): طريقتها في تنويمه.. أعتقد أنها استخدمت السحر كي يغفو
بتلك السرعة وهذا أمر لم يعجبني
(رافدة): نعم انتبهت لذلك وأعتقد أيضًا أنها هي من شل حركة
سيقاني عندما كنا خارج «هجر»
(كُميٰت): هل تفكرين بها أفكر به؟



(رافدة) تهز رأسها بالموافقة: نعم.. لنرحل الآن... فقد لا توأتينا فرصة أخرى للتخلص منها

(كميت): ماذا عن الصبي؟.. هل سنأخذه معنا؟

(رافدة): بالطبع.. لن نتركه معها.. يكفي ما عاناه مع تلك المجنونة
(كميت): حسناً.. سنجازف بالمشي في الصحراء لعلنا نصادف قافلة
ما نلجم إليها

نهضت الاثنتان لكنهما وقبل أن تهم بإيقاظ الصغيرين شاهدتا خيالاً
يخرج من بين نخيل الواحة فقالت (رافدة) وهي تمعن النظر في ظلمة
الأفق المنارة جزئياً بضوء قمر السماء في محاولة للتعرف على صاحب
الخيال: هل تظنين أنها هي؟

(كميت) بنظرها الثاقب وبخيبة: نعم.. إنها هي
(رافدة): لنؤجل إذاً فكرة الانفصال عنها.. في الوقت الحالي فقط
(كميت): حسناً..

(رافدة) تشاهد الساحرة الهجينة تتوقف عن السير وتنزل على ركبتيها
وبنبرة مستغربة: ماذا تفعل؟



(كُميٰت): أعتقد أنها تصلي
بدأت صرخات (أنهار) تملأ المكان وهي تقبض من رمال الأرض
وتضرب وجهها بها..

(رافدة) بريبة: ما الذي يحدث؟
(كُميٰت) بقلق: تظاهري بأنك لم ترى شيئاً عندما تأتي إلينا
استمرت الساحرة الهجينة بالصراخ والعويل واللطم لعدة دقائق
نهضت بعدها وأكملت سيرها نحو المجموعة فوق التلة وعند بلوغها
إليهم اتضحت معالمها والتي أظهرت جلياً أنها تعرضت لعنف شديد
فأنفها كان ينزف وشعرها منكوش وجزء من ملابسها ممزق وبشرتها
متسلخة بالطين وكدمة كبيرة ظاهرة على عنقها. وقفت (أنهار) أمامهما
بتلك الحالة وقالت وهي مرهقة: أين القناع؟

(رافدة) بتوتر: لم نجده..

(أنهار) ممسكة بحجر كان عند قدمها ملقية إياه تجاه (رافدة) وبعصبية
شديدة: كيف لم تجداه؟!.. ألم أخبركما بالحفر عند جذور النخيل؟!

(رافدة) متحاشية الحجر وبنبرة غير مكتثة: أعتقد أن جانبيك الفارسي
بدأ يظهر أخيراً..



(أنهار) تتنفس بثقل ونظراتها الجنونية تحول حوالها: أين (دوسن)؟!

(كُميٰت) مشيرة خلفها: نائم مع (عوراء)..

(أنهار) موجهة نظرها نحو الحجازية بتجهم: كيف ينام بدوني؟!

سارت (أنهار) بخطواتٍ غاضبة متجاوزة الفتاتين نحو الصغيرين
النائمين خلفها وأمسكت بذراع (دوسن) ونزعته من أحضان (عوراء)
واحتضنته بقوة وبدأت تعاتبه بصوت يئن: لا تنْ بحضنِ غيري!.. لا
تنْ بحضنِ غيري أبداً!

(دوسن) فاتحاً عينيه: حالة (أنهار)؟.. متى عدت؟

(أنهار) وهي مستمرة بتعابه خلال معانقته وجسدها يهتز للأمام
والخلف: لا تفعلها مرة أخرى هل تفهم؟!

(دوسن): حاضر

(عوراء) تستيقظ داعكة عينها: ما الذي يحدث؟.. ما به (دوسن)؟

(أنهار) رافعة سبابتها بوجه (عوراء) وبحق شديد: إياك أن تكرري ما
 فعلته مرة أخرى!

(عوراء) باستغراب: ماذا فعلت؟



نهضت الساحرة الهجينة حاملة الصبي بين ذراعيها وسارت مبتعدة
عنهن واستلقت معه على أرض الصحراء تمسح على رأسه وتغني له
تهويدة بالفارسية..

وقفت (عوراء) تراقب ما يحدث وهي تقول: هل أنا في حلم..?
(رافدة) من خلفها: بل كابوس.. وجميعنا نعاني منه في الوقت نفسه
(كميت): هيا لننام نحن أيضاً.. أعتقد أن غداً سيكون يوماً حافلاً
(رافدة) محتضنة نفسها: وأي نوم سيأتينا في هذا البرد
(عوراء) تمد أذرعها باسمة: تعالى لأمنحك بعض الدفء!



ثمن آخرية البخس

فتح (دوسر) عينيه قبل شروق الشمس بدقايق ليجد خالته تعانقه من الخلف نائمة خلال استلقائهما على الرمال في العراء. أدار الصبي الصغير جسده وعائق صدرها باسماً. شعرت الساحرة الهجينة بعناقه الدافع ففتحت بدورها عينيها وما أن رأته حتى تبسمت قائلة: كيف حال صغيري اليوم؟

(دوسر) بأعين مغمضة خلال عناقه لها: بأحسن حال وأنت بقرب وجهك (أنهار) نظرها للخلف لترى الفتيات نائمات بعضهن بجانب بعض فقالت: «نحتاج أن نبتاع بعض الخيام ..»

(دوسر): لماذا؟.. نحن لا ننام في الخيام

(أنهار) معيدة نظرها لوجه الصبي المتسائل: لكن هؤلاء الفتيات لسن مثلنا.. يجب أن نعتني بضيوفنا



نهض (دوسر) نافضاً حبيبات الرمل العالقة بملابسها ووجهه وسار نحو الفتيات وبدأ يهز جسد (عوراء) لإيقاظها بينما أنسدت الساحرة الهجينة رأسها لكتفها تراقبه. فتحت الصبية عينيها وابتسمت لكن ابتسامتها اختفت عندما رأت (أنهار) تراقبها خشيت أن تغضب منها لو لعبت مع (دوسر) لكن الساحرة الهجينة أو مأة لها باسمة بأن تذهب معه ففعلت. راقبت (أنهار) الصبي والصبية وهما يلعبان على الرمال خلال استلقاءها لفترة حتى انتبهت لـ (كميت) وهي تجلس وتدعك عينها ثم تقوم بهز جسد (رافدة) وتوقظها هي الأخرى لتجلس بجانبها تتأملان الصغارين وهما يلعبان وبين الحين والآخر ينظران لـ (أنهار) لكنهما لم يتحدثا معها أو يقتربا منها بالرغم من أنها كانت تتبعس لهما كلها وجهها أنظارهما نحوها. عندما خرج قرص الشمس الأصفر بالكامل من الأفق وقفت (أنهار) وقالت لـ (دوسر)
بصوت مسموع للجميع: خيلي دور نشو (دوسر)!

(دوسر) يرد عليها ضاحكاً: حاضر يا حالة!

(عوراء) بقلق: ماذا تقول؟

(دوسر) وهو يحفر في الرمال: تأمرنا بعدم الابتعاد أكثر



(عوراء) تشارکه الحفر قائلة: كيف تستطيع فهم لغتها.. هل أنت
فارسي مثلها؟

(دوسر) مبتسماً: لا لكنني اعتدت على مثل هذه العبارات لأنها تكررها
دائماً

(عوراء): سأخبرك بسر.. لكن لا تخبر به أحداً
(دوسر): ما هو؟

(عوراء): أنا أيضاً أفهم معظم كلامها وأشعر بأنني سمعت هذه
الكلمات من قبل
(دوسر): حقاً؟

(عوراء): نعم.. أخشى أن أكون فارسية
(دوسر): لم تخشين ذلك؟

(عوراء) بحزن: لأن العمدة (نافجة) تكرههم وأنا أحبها

(دوسر): الحالة (أنهار) تكره الفرس أيضاً لكنها لا تظهر ذلك

(عوراء): كيف علمت بذلك؟

(دوسر) ملقياً نظرة حذرة تجاه خالتة التي بدأت بالسير نحو (رافدة)
و(كميت) ويقول: رأيتها تقتل الكثير منهم خلال سفرنا المتكرر..

(عوراء): ربما لأنهم كانوا يحاولون الاعتداء عليكما
(دوسر): لا لا.. كانت تفعل ذلك في أحيان كثيرة بدون سبب وعندما
سألتها مرة عن السبب قالت بأنهم يستحقون ما أصابهم وطلبت مني
أن لا أسأها مرة أخرى

(عوراء) موجهة نظرها لـ (أنهار) التي وصلت للفتاتين: أهذا وبختني
بالأمس؟.. هل ستقتلني أنا أيضاً؟

(دوسر) ضاحكاً: لا يا غبية فهي تحبك مثلث تماماً لكنها تصاب بالإعياء
من وقت لآخر وهذا سبب غضبها.. رأسها يؤلمها كثيراً كما تقول.. لا
تقلقي

(أنهار) بابتسامة عريضة لـ (رافدة) و(كميت) الجالستين على الرمال
وهي تضع كفيها على بطنهما: كيف حالكم اليوم؟
(رافدة) بتجهم ونظرها للأفق: جياع.. عطشى.. متعبون.. كل ما
يسرك يا فارسية

(كميت): سفرنا معك يا سيدة (أنهار) شاق وليس كما اعتدنا
(أنهار): نعم لاحظت هذا وأنا اعتذر لكم وسوف نغير كل ذلك اليوم
(رافدة): تغييريه كيف؟.. هل ستطلقين سراحنا؟

(أنهار): أنتن لستن أسيرات عندي

(رافدة): معنى ذلك نستطيع الرحيل في أي وقت؟

(أنهار) مبتسمة: نعم.. لكن عندما ننتهي من الاتفاق الذي أبرمناه بيننا

(كميت): ماذا تبقى منه؟

(أنهار): لقد فشلتها في الحصول على القناع الذهبي لكن لا بأس فما زال

أمامنا شيئاً أريد الحصول عليها وبعد ما أضع يدي عليهما سنتهي

(رافدة): ما هما؟

(أنهار) وهي تمد يديها في وجوه الفتاتين لتنهضهما: لنسعد قبلها..

أمسكت كل فتاة بيد من أيدي الساحرة الهجينة التي سحبتها

وأنهضتها وقالت ضاحكة: ما بكما عابستين هكذا؟!.. ابتهجا!

نادت (أنهار) على الصغارين وطلبت منها الحضور على الفور ففعلوا

وعندما أصبح الجميع حولها قالت: سوف نرحل الآن من هذا المكان

(دوسر): أين سنذهب يا حالة؟

(أنهار) وهي تربت على حقيبتها الجلدية باسمة: للتسوق.. الفتاتيات

تحتاج بعض اللوازم وأنا أحتاج ملابس جديدة



(رافدة) بتجهم: نحن لا نحتاج لشيء

(أنهار): ماذا عن السلاح؟ ألم تكن ترددَ أسلحة؟

(دوسن) مبتهجاً: أنا أريد حلوى!

(عوراء): هل يمكنني أيضاً شراء ملابس جديدة غير هذه الخيمة التي أرتديها؟

(كُميت): أشعر بالنقص بلا قوس وسهام

(أنهار): الجميع سيشترون كل ما يريدون.. ماذا عنك يا (رافدة)..
ألا ترغبين بسيف بدل الذي فقدته؟

(رافدة) بتهكم: ماذا عن المال؟.. هل تملكون مالاً كي نشتري ما نريد
كما تقولين؟

(عوراء) محدثة نفسها: تذكرت.. (زبجد) لم يعد حتى الآن ولا أعرف
لماذا.. أين هو يا ترى؟

(أنهار) تمد يدها داخل حقيبتها الجلدية خرجت صرة منها وهي تقول:
معي ما يكفيانا جميعاً

(عوراء) بسعادة: ماذا ننتظر إذَا؟!.. لنذهب للسوق!

(كُميٰت) بقلق: انتظروا.. من أي سوق ستتسوق؟

(أنهار): لم تسألين؟.. هل هناك سوق محدد تريدين أن تسويقي منه؟

(كُميٰت): بل هناك سوق أريد تجنبه.. «سوق الحجاز».. لا يمكنني العودة إليه بعد ما حصل هناك

(رافدة): ولا أنا.. نحن مطلوبات هناك

(أنهار) بنبرة مطمئنة: لا تقلقن.. لن نذهب لسوق الحجاز.. بل لسوق آخر

(عوراء): متى سنذهب؟.. أشعر بالحماس!

(أنهار) وهي تمد كفوفها جانبًا قائلة: هيا.. مثلما فعلنا في المرة السابقة..

أمسك الجميع بكفوف بعضهم ببعضًا مشكلين دائرة ثم أغمضوا أعينهم وخلال ثوانٍ سمعوا أصوات مجموعة من الناس يتحدثون حولهم فقالت الساحرة الهجينة: «يمكنكم فتح أعينكم الآن..»

(عوراء) بانبهار: أين نحن؟

(أنهار) معنة النظر بالسوق المكتظ بالناس: «سوق اللصوص»..

(دوسر) بخيية: لقد أتينا هنا من قبل يا حالة



(أنهار) وهي تبحث في حقيقتها الجلدية: نعم صحيح يا عزيزي

(دوسن) يا حباطٌ كبير: إنهم لا يبيعون الحلوي هنا

(رافدة) مجازة (كميت): ستنسجمين في هذا المكان

(كميت): لم تقولين ذلك؟

(رافدة) تشير بسبابتها على المتسوقين مبتسمة: نصفهم ملثمون مثلّك

(كميت) بتوجههم: والنصف الآخر قبيحون مثلّك

(رافدة) ضاحكة: ولم الانفعال يا حجازية؟!.. أليست هذه هي
الحقيقة؟!

(أنهار) مخرجة المال من حقيقتها: هيا تعالوا ولیأخذ كل منكم نصييه
ولتكن مشترياتكم على قدر ما أعطيكم فقط

بدأت الساحرة تضع بعض قطع من الفضة في كف كل واحدة من
الفتيات عدا (دوسن) الذي أخذ قطعة واحدة فقط..

(رافدة) معنة النظر للقطع في راحة يدها: ما هذا؟.. هذه لا تكفي
لشراء شيء ذي قيمة



(أنهار): اختاروا ما تشاوون وعند دفع الحساب أخبروني.. القطع

الفضية ليست لشراء الأسلحة

(كُميٰت): لشراء ماذا إذاً؟

(أنهار): أي شيء آخر تشتهونه

(عوراء): هل تكفي لشراء رداءً جديداً؟

(أنهار): نعم.. لكن قبل أن شتروا أي شيء يجب أن تتسلح أختاك
الكبيرتان فهذا المكان يعج بالنخاسين وأنتم صيد مغري لهم

(عوراء): لن نخشاهم وأنتِ معنا يا حالة

(أنهار): سأفترق عنكم لقضاء حاجة ما.. لكن لا تفترقوا أنتم بعضكم
عن بعض حتى أعود

(كُميٰت): يمكننا مساعدتك في مبتغاك

(أنهار) موجهة نظرها لوسط السوق: لا.. هذا الأمر يجب أن أقوم به
وحدي.. سأترك (دوسن) في رعايتكن ريشما أعود

(دوسن) بحزن: إلى أين أنتِ ذاهبة يا حالة؟.. هل ستتركييني وحدي
مجدداً؟



(أنهار) تنزل على ركبتيها ماسحة على خده: فقط لبرهة قصيرة يا عزيزي لا تقلق لن تفتقدني سأعود في الحال

(عوراء) واضعة كفيها على أكتاف (دوسن) من الخلف: لا تقلق ستكون معي!

(دوسن) وعيناه تغرقان بالدموع: أريد أن أكون مع خالي
(أنهار) لـ (عوراء): اعتنى به يا صبيّة

(عوراء): حاضر يا خالة.. هيا يا (دوسن) تعال معي
(رافدة) مشيرة لمحل لبيع الأسلحة كان قريباً منهم: هذا المكان يبيع
سيوفاً جيدة

(كميت): السوق بأكمله يعرض أنواعاً فريدة
(أنهار): هيا انتقين ما تردن منها قبل أن أذهب

سارت المجموعة للدكان الذي أشارت إليه البدوية ووقفوا أمامه
فرحب بهم البائع ثم قال: أي من معروضاتي لفت انتباحكم؟

(كميت) وعينها على قوس نحاسي: هل هو مصنوع من المعدن؟
(البائع) رافعاً القوس: نعم.. هذا القوس غنيمة غنمها من باעה لي من
رجل يعيش في أقصى الشمال



(رافدة) ونظرها العابس للبائع: بالطبع أعجبني.. هذا السيف مصنوع بحرفية عالية لكن ثمنه سيكون مبالغًا فيه مثل القوس بلا شك
(أنمار) للبائع: أحضر السهام الخاصة بالقوس مع جرابها.. وأخبرني بالثمن الكلي

(البائع) بريبة: هل تنوون الهرب عندما أعطيكم الأسلحة؟.. اعلمي بأن..

(أنمار) مقاطعة تهدده: لن نهرب لأي مكان.. فقط أعطانا ما نريد كي تحصل على مالك مد البائع جراباً جلدياً به خمسة سهام نحاسية لـ (كميت) التي أخذته وعلقتها خلف ظهرها ومد كذلك غمد السيف لـ (رافدة) ثم قال: أين مالي الآن؟

(دوسر): هل يمكنني أن أبتاع سلاحاً أنا أيضاً يا حالة؟

(عوراء): وما حاجتك بالسلاح؟!

(دوسر): أريد أن أحمي نفسي به

(عوراء): لا يا (دوسر) أنت صغير على اقتناء سلاح



(دوسر) باكيًا: أريد سلاحًا!

(أنهار) مبتسمة: حسناً توقف عن البكاء.. ماذا ستختار؟

(دوسر) ماسحاً دموعه مبتهجاً: شكرًا يا حالة!

(رافدة) هامسة في أذن الحجازية: عجيبٌ ما يمكن للأطفال تحقيقه
بعضٍ من دموع الاستجداء..

القى (دوسر) نظرة سريعة على مجموعة من الأسلحة المفروشة أرضًا
على قطعة قماشية ثم قال وهو يشير بسبابته لخنجرٍ صغيرٍ: أريد هذا!!

(أنهار) ضاحكة: حسناً.. سأبتعاه لك

(عوراء): هل حقًا ستشترين له سلاحًا يا حالة؟!

(أنهار) وهي تلتقط الخنجر من الأرض وتمده لـ (دوسر): ولم لا؟..

(دوسر) رجل ويمكنه استخدامه.. ماذا عنك أنت؟.. هل تريدين
سلاحًا أيضًا؟

(عوراء) تهز رأسها بالنفي: لا.. أنا أكره الأسلحة

(رافدة) ملقطة سوطاً أسوداً: ما رأيك بهذا يا (كميت)؟

(عوراء) بنبرة متوترة: لا تتبعيه أرجوكِ



(كُميٰت) وهي تأخذ السوط وتقلبه في يدها: لماذا؟
(عوراء): لا أحبه هو بالذات.. أرجوك أرجعيه
(كُميٰت) معيدة السوط لمكانه: أنا لا أجيد استخدام السياط على أي حال

(البائع): هل انتهيتم؟.. أين مالي
(أنمار): كم حق ما أخذناه؟
(البائع): القوس بسهامه بخمسين قطعة ذهبية كما أخبرتك والسيف بسبعين والخنجر لن آخذ عليه مقابلاً فالمجموع يصبح مائة وثلاثين قطعة ذهبية

(رافدة) صارخة: مائة وعشرون قطعة يا لص!.. ثم إن السيف لا يستحق هذا المبلغ الباهظ!
(أنمار) بهدوء: توقيفي يا (رافدة)..
(رافدة) بعصبية: لكن...!

(أنمار): جدال الأحمق حماقة أعظم.. سوف أعطيه ما يستحق لا تقلقني
مدت الساحرة الهجينة يدها في حقيبتها الجلدية وقبضت على شيء ما

ثم أخرجت قبضتها ومدتها للبائع وهي تقول: افتح يدك وعد مالك
مد البائع يده وبسط كفه تحت قبضة الساحرة الهجينة ونظره على راحة
يده بانتظار تساقط القطع الذهبية وخلال ذلك انتبهت (كميت) إلى
أن (أنهار) نفخت تجاه الرجل السارح في قبضتها ثم فتحت يدها التي
كانت فارغة لكن الرجل ابتسم ومد كفه الأخرى وكأنه يحاول جمع
كمية من القطع الكثيرة المتناثرة والتي لم يكن لها وجود.

(أنهار) تبتسم وتراقبه يعد الهواء بسعادة: هل وصلك حدق؟

(البائع) وهو منهمك في العد: نعم! نعم!. هذا أكثر مما طلبت!

(أنهار) وهي تهم بالرحيل: اعتبرها هدية مني ..

تابعت المجموعة الساحرة الهجينة وهم مستغربون مما حدث ومن
تصرف البائع عدا (كميت) التي رأت ما جرى وعلمت بأن (أنهار)
قامت بإلقاء طلسم ما عليه أو همه بأنه حصل على أمواله لكنها لم تعلق.
بعد أن توسط الجميع السوق وقف الساحرة الهجينة تجول بنظرها بين
أرجل الناس وكأنها تبحث عن شيء محدد فقالت (كميت): عن ماذا
تبحثين؟



(أنهار) وهي لا تزال تمعن النظر بين أقدام الناس: عن المرشد
(رافدة): المرشد؟

(أنهار): نعم.. المرشد الذي سيقودنا لوجهتنا التالية والتي سأجد فيها
غاياتي الثانية

(رافدة): لم تخبرينا عن الأشياء الأخرى التي تبحثين عنها.. هل هي
أقنعة أيضاً؟

(أنهار): لا.. ولا أستطيع الاقتراب من الثالث قبل الحصول على الثاني
(كُميٍت): كلامك غير مفهوم

(أنهار) وهي تهم بالانفصال عن المجموعة: سأعود بعد قليل.. اهتما
بالصغارين واحمياهما من النخاسين المتربيسين

سارت الساحرة الهجينة واختفت بين جموع المتسوقين تاركة الفتيات
في حيرة..

(رافدة): ماذا نفعل الآن؟

(عوراء): أنا جائعة ..

(دوسر): وأنا كذلك

(كُميٰت) لـ (رافدة): يمكننا شراء بعض الطعام ريشاً تعود
(رافدة): هذا المكان يعج بال مجرمين.. حتى الباعة لصوص
(كُميٰت): لا تقلقي أنا أجيد التعامل معهم.. هيا لنبحث عن مكان
يقدم الطعام

(عوراء): هل يمكن أن أشتري لباساً جيداً قبلها؟
(رافدة) مبتسمة: لقد نسينا أمر لباسك.. حسناً.. لكن أخبريني قبلها..
لم تُمزقين ملابسك دوماً؟

نظرت الحجازية لـ (عوراء) متربة إجابتها..
(عوراء) منزلة رأسها: لا أعرف.. أنا لا أمزق ملابسي.. من وقت
آخر أستيقظ وهي ممزقة وأجهل السبب.. أعتقد أني أعاني من مرض
ما

(رافدة): وأي مرض يجعلك تُمزقين ملابسك؟.. هل تصرعين خلال
نومك؟

(عوراء) والخجل يعتريها: لا تسأليني عن أموري لا علم لي بها
(كُميٰت): يكفي يا (رافدة) لا تضايقي الفتاة



(دوسر) متعاطفاً معها: لا تحزني.. حتى خالي (أنهار) تصاب بالكوابيس وتصرخ في منامها أحياناً

(رافدة) موجهة حديثها لـ (دوسر): هذا يقودني لسؤالك أنت أيضاً أيها الصغير.. ما حكاية خالتك؟

(دوسر) براءة: ماذا تقصدين بحكايتها؟

(رافدة): كيف اجتمعت بها؟.. أين أهلك وقبيلتك؟

(دوسر): أنا مع الحالة منذ أكثر من عام وهي من أنقذتني (كميت): أنقذتك من ماذا؟

(دوسر): من أمي.. أخبرتني الحالة بأنها كانت سيئة معي ولا تستحقني وأنا لا أذكر ذلك

(رافدة): هل ترغب في أن نحاول إعادتك لأهلك؟

(دوسر): لا.. أنا سعيد مع الحالة (أنهار) ولا أريد فراقها.. لكن.. (كميت): لكن ماذا؟

(دوسر): مرض رأسها الذي يباغتها من وقتآخر يزعجني ويخيفني

(رافدة): هل تقصد أنها مجنونة؟

(دوسن) مختضناً (عوراء) من الخلف: لا أريد الحديث في الأمر
(كُميٰت) واضعة يدها على كتف (رافدة): اتركيه.. فهو صغير ولن
يستطيع فهم ما نريد أن نصل إليه
(رافدة): لكنني وصلت لما أريد.. تلك المرأة فاقدة لعقلها وسوف
تقودنا للهلاك معها
(كُميٰت): دعينا لا نستعجل بالحكم ولنبحث الآن عن لباسٍ جديٰ
للبصيرة ونتناول بعدها بعض الطعام

بعد جولة في «سوق اللصوص» توقفت المجموعة عند بائع للأقمشة
والملابس وبدأت (عوراء) تبحث بين بضائعه المعروضة عما يناسبها
بمعاونة (دوسن) والحجازية والبدوية تراقبانها مبتسمتين. رفعت
(عوراء) لباساً أخضرأمام ناظريهما وقالت بحراس: ما رأيكما بهذا؟!
(رافدة) تمن النظر باللباس باسمة: ما حكايتها مع اللون الأخضر؟..
لم تختارينه دوماً؟

(عوراء) تضم اللباس لصدرها ضاحكة: لأنه أجمل الألوان
(دوسن): نعم صحيح!



(كُميٰت): لا يهم لونه.. المهم أن يكون واسعاً كي لا يتمزق منها
حاولت

(رافدة) للبائع: هل تملك لباساً يناسب هذه الصغيرة بحيث يكون
واسعاً بما يكفي كي لا يتمزق؟

(البائع) مستغرباً: لم أفهم قصدك

(رافدة) هامسة في أذن البائع: الفتاة تصاب بالصرع وتمزق ملابسها
ونريد لباساً مناسباً لها

(البائع) يهز رأسه: آه نعم.. فهمت.. لدى شيء مناسب
أخرج بائع الأقمشة لباساً أصفر فضفاضاً واسعاً وبسطه على الأرض
قائلاً: هذا اللباس مصنوع من قماشٍ خاص لا يتمزق بسهولة وهو
واسع بما فيه الكفاية كي يعطي الفتاة مجالاً للحركة

(عوراء) بخيبة: ما هذا؟.. الخيمة التي عليّ أهون من هذا اللباس
البعض ثم إني لا أحب اللون الأصفر

(كُميٰت): هل يوجد منه لون أخضر؟

(البائع): لا.. ليس لدى سوى هذه القطعة

(رافدة): سنأخذها.. كم حقها؟

(البائع): ثلاثة قطع فضية

(رافدة) بتوجههم وهي تمد كل ما معها من نقود: صدق من أسمى هذا المكان بـ «سوق اللصوص»

(عوراء): أنا معي مال.. سأشتريه بنفسي

(رافدة) وهي تمد اللباس الأصفر للصبية باسمة: لا.. هذا الرداء هدية مني لك

(عوراء) تأخذ اللباس وتبتسم قائلة: شكرًا يا اختي!

(كُميٍّ) تفرك قمة رأس (عوراء) قائلة: هيا كي تجربيه

(عوراء): لا.. ليس الآن.. لاحقاً

(رافدة) مستديرة خلفها: أين (دوسر)؟

بحث الجميع بأنظارهن حولهن ولم يرین الصبي فقالت (عوراء) بقلق شديد: أين ذهب؟!

(رافدة): ستقتلنا الفارسية لو فقدناه

(كُميٰت) محدقة بنظرها الحاد في أقصى السوق: هناك!.. إنه يقف مع تلك المرأة ذات الجلباب الأسود!

جرت الثلاث نحو المرأة التي كانت تشد على معصم (دوسِر) وتسير معه وانتز عنه منها بالقوة..

(رافدة) صارخة فيها: ماذا تظنين نفسك فاعلة؟!

لم ترد المرأة وهربت جرياً من المكان..

(كُميٰت) للصبي: ما الذي تفعله؟!.. لم ترّكتنا؟!

(دوسِر): تلك المرأة أخبرتني بأنها تبيع الحلوي وكنت ذاهباً معها لأشتري بعضها لي ولـ (عوراء)

(عوراء) بنبرة مؤنثة: لا تفعل ذلك أبداً يا (دوسِر)!.. المكان خطير.. ألم تسمع تحذيرات الخالة؟!

(دوسِر) متولاً رأسه بحزن: حاضر

(رافدة): هذا المكان يثير القلق.. متى ستعود الفارسية؟

(كُميٰت) مشيرة بسبابتها محل بيع اللحوم المجففة: سنتظرها في ذلك المكان

وقف الجميع عند المحل وتناولوا بعض الطعام الذي اشتروه بهال
(عوراء) والخجازية ولم يتبقَّ معهم سوى قطعة فضية واحدة ابتعوا
بها بعض الماء من رجل كان يدور بقربته ويُسقي المارة.

(رافدة) وهي تراقب المتسوقين من حولهم: هل لاحظتِ كيف ينظر
الناس إلينا هنا؟

(كُميٰت) تشد على مucchم الصبي: نعم.. وكأنهم يحاولون تحْيُّن الفرصة
لنذهبنا أو خطفنا

(عوراء) تضم الرداء الأصفر لصدرها: أو سرقة لباسي الجديد!

(رافدة): إلى متى سنتنتظر تلك الفارسية حتى تعود؟

(كُميٰت): لقد تأخرت بالفعل

(رافدة): أقترح أن نتواري عن الأنظار قليلاً ونبعد عن الزحام وسط
السوق

(كُميٰت): لا.. فلن تجدها السيدة (أنمار) بسهولة لو اختبأنا

(دوسر): الحالة تجد كل من تبحث عنه

(رافدة): لنأمل أن تجد ما ذهبت لأجله بسرعة إذاً

بعد انتظار طويل جلست (عوراء) مع الصبي على الأرض يلعبان بعضهما مع بعض بينما وقفت البدوية والهزازية تراقبانها بصمت..

(رافدة) متاملة الصغيرين خلال لعبهما: الحياة كانت أسهل في الماضي..

(كُميٰت): الحياة لم تكن أسهل.. عقلك فقط كان أصغر.. كلما كبرنا زاد إدراكنا وفهمنا أن هذه الحياة غابة مظلمة مليئة بالحيوانات المفترسة

المترقبة بنا

(رافدة): لذا فأكثر ضحايا الحياة هم الصغار..

(كُميٰت): وأكثر الجناء هم الكبار..

خلال حديثها اقترب رجل منها وتحدث مع (رافدة) بعد ما ابتسם لها كاشفاً عن أسنانه الصفراء وهو يشير لـ (عوراء) قائلاً: بكم الجارية؟

(رافدة): كم ترى أنها تستحق؟

(كُميٰت) بتعجب: ماذا تفعلين؟

(رافدة) هامسة في أذن الحجازية: لن أمضي وقتى بمراقبة الناس..
لتنسلّ قليلاً مع هذا الأحمق

(كُميٰت) بصوت مسموع لـ (رافدة) فقط: هؤلاء الناس ليسوا



مناسبين لتسليتك فهم خطرون جدًا.. لا نريد إحداث مشكلة مثلها
حدث في سوق «هجر»

(رافدة) مشوحة بيدها: لا عليكِ

(الرجل): أقدرها بخمس قطع فضية

(رافدة) بتهمكم: هل تتحدث عنها أم عن لباسها؟

(الرجل) بتعجب: أي لباس؟

(رافدة) وهي مستمرة بالسخرية من الرجل: لباسها الأصفر الذي بين
يديها..

(الرجل) وهو مشوش: سأخذها بلباسها

(رافدة) ضاحكة: لا!.. الصبية ليست للبيع

(الرجل): كل شيء في هذا السوق للبيع

(رافدة): أخبرتك بأنها ليست للبيع.. انصرف الآن

(الرجل): لقد عرضتها للبيع وسوف أشتريها.. حددي السعر الآن

(رافدة) صارخة في الرجل: هل أنت أحمق؟!.. أخبرتك بأنها ليست
للبيع!



صمت الرجل وتجلت على ملامحه نظرات التوعّد ثم رحل..

(كُميٰت) تراقبه يسير مبتعداً عنهم: لقد اقترفت خطأً جسيماً

(رافدة): لم يحدث شيء.. لقد وصلته الرسالة

(كُميٰت): أنت لا تعرفي العرف الدارج بين النخاسين.. عندما

تعرضين شيئاً للبيع فهو يصبح مستباحاً.. لقد أعلنت أن (عوراء)

سلعة معروضة وهو الآن يريدها وسوف يبذل كل ما يستطيع

للحصول عليها

(رافدة): سأخبره بأنها بآلف قطعة ذهبية ولن يستطيع دفع هذا الثمن

(كُميٰت): وهل تظنين أن الوسيلة الوحيدة للحصول على العبيد هي

بالمال فقط؟

(رافدة): ماذا تقصدين؟

عاد الرجل مرة أخرى ومعه عشرة رجال ضخام مسلحون بالسيوف

ووقف أمام الفتاتين قائلاً: كم تريدين ثمناً للجارية؟

همت (رافدة) بسل سيفها للاشتباك مع النخاس ورجاله لكن (كُميٰت)

منعتها وقالت للرجل: ثلاثة قطع ذهبية

(رافدة): ماذا تفعلين؟!

حنى الرجل رأسه بالموافقة وأخرج القطع الذهبية ومدها لـ (كُميٰت)
ثم قال لأحد الرجال الواقفين خلفه وهو يشير لـ (عوراء): هذه..
أحضروها

(كُميٰت) تمد ذراعها موقفة الرجل: انتظر!
(الرجل) بعبوس: ما الأمر؟.. ألم أدفع ثمنها؟
(كُميٰت): بلى.. بلى.. لكننا نريد شراء غيرها منك.. هل لديك بعض
العييد لعرضهم علينا؟

(النخاس) مبتسمًا: نعم بالطبع.. اتبعوني
سار النخاس مع رجاله ومن خلفه المجموعة وخلال سيرهم قالت
(رافدة) بغضب مكبوت: هل جنتِ؟!.. ماذا تظنين نفسك فاعلة؟!..
كان يمكنني التخلص منهم جميعاً!

(كُميٰت) وهي تسير ونظرها للأمام: لو اشتربكنا معهم في وسط السوق
فلن يهرب الناس مثلما حدث في «هجر».. الجميع هنا مسلحون
وسيقفون معهم ولن نستطيع مقاومتهم جميعاً وحتى لو صمدنا
فسوف يتعرض الصغار لخطر الخطف في حمّة القتال.. كان يجب أن
نقل المواجهة معهم لمكان آخر وهذا ما أقوم به الآن

(رافدة) واضعة يدها على مقبض سيفها: معنى هذا أننا سنقاتلهم
(كميت): لا مخرج من الورطة التي ورطتنا فيها سوى ذلك
(رافدة): لا تقلقي فرجاله ليسوا أنداداً لي
استمر النخاس ورجاله بالسير خروجاً من حدود السوق وابعدوا
عنه حتى وصلوا لساحة مفتوحة يتوسطها مبنى ضخم بسور عالٍ
توقف عند بوابته الكبيرة التي فتحت أبوابها كاشفة عن ساحة كبيرة
امتلأة بالناس فأشار لها قائلاً: تفضل
(رافدة): نتفضل إلى أين؟

(النخاس): للزريبة كي تنتقلا ما تريدان من الرقيق
(كميت) بصوت مسموع لـ (رافدة) فقط: هذا هو المكان الذي
سنواجههم فيه.. كوني مستعدة
(عوراء) بقلق شديد: لا أريد الدخول
(دوسراً): لم ننتظر خالي وتركنا السوق؟

تجاهلت الفتاتان حديث الصغيرين ودخلتا الزريبة وهما تتحينان
الفرصة للصدام مع النخاس ورجاله لكن نيتها تبدلت عندما شاهدت

ما بالداخل. رأى مجموعة كبيرة من الزنازين امتلأت بالعيid نساء ورجالاً وأطفالاً وأن الرجال العشرة المصاحبين للنخاس لم يكونوا إلا جزءاً يسيراً من أتباعه فقد اكتظ المكان بهم بالإضافة لمجموعة من الرماة المتشرين فوق أطراف السور والذين شدوا سهامهم نحو ما بمجرد تجاوزهما البوابة ورأى كذلك شخصاً بملابس غريبة بدا أنه ساحر أو كاهن ما يجلس على قمة منصة خشبية وسط الساحة يراقب المكان.

(رافدة) لـ (كُميٰت): يبدو أن خطتك لن تنجح..

(كُميٰت) وهي تحاول أن تخصي من سيواجهونها بقلق شديد: فعلاً..
لا أظن أن الغلبة ستكون لنا هنا أيضاً

(رافدة): وما هي خطتك الآن؟

لم تلحق الحجازية أن ترد حتى سمعت صرخة (عوراء) من خلفها عندما قام النخاس بجرها من شعرها مسقطاً رداءها الأصفر من يدها ليقودها لأحد الأقفال الخشبية المنتشرة في المكان. سلت (رافدة) سيفها بنية القتال لكن الحجازية منعتها مرة أخرى قائلة: لا!.. أرجوك!

(النخاس) مشيراً لرجاله بفتح البوابة: كما تشاءين..

خرج الثلاثة من المبنى وأغلق الباب خلفهم وما أن حدث ذلك حتى
قالت (رافدة) بعصبية شديدة: هل تظنن حقاً أني سأنتظر للمساء؟!..
هل تعلمين ما قد يحدث لها في هذا الوقت؟!

(كُميٍّ) منزلة رأسها: أعرف.. لكن لا خيار أمامنا غير ذلك
(دوسراً): لنعد للسوق ونطلب العون من الخالة (أنهار)!

(رافدة): لن نعود!.. (عوراء) لن تبقى في هذا المكان لحظة واحدة!

(كُميٍّ) ممسكة بقوسها: حسناً.. لكن ماذا عن الصبي؟

(رافدة) تبحث بنظرها في المنطقة المفتوحة حولهم لتلمح مجموعة من
النخيل في الأفق ثم تقول: هناك!.. سنخبئه هناك

(كُميٍّ): هيا بنا إذاً

بعد مسيرة دقائق وصلت الفتاتان لمجموعة النخيل فحملت البدوية
الصبي على كتفها وصعدت به النخلة وهو يقول: هل سنقطف البلح؟
عند وصولهما لقمة النخلة مدت (رافدة) يدها للحجازية في إشارة منها
بأن ترمي عليها لثامها ففعلت..

ربطت البدوية خاصرة الصبي بجذع النخلة وشدت الوثاق وقالت له
بنبرة مطمئنة: سوف نعود إليك بعد ما ننقد (عوراء).. لا تتحرك أو
تحدث صوتاً

(دوسر): هل يمكنني تناول البلح؟
(رافدة) ماسحة على رأسه باسمة قبل أن تهم بالنزول: نعم.. تناول ما
تشاء منها

وقفت الفتاتان عند النخلة التي ربطتا (دوسر) في قمتها تراقبان المبني
البعيد بالأفق لثوانٍ ثم قالت (رافدة): ما الخطأ؟
(كميت) وأعينها الثاقبة تراقب السور: المواجهة المباشرة لن تكون في
مصلحةتنا.. والباب لن يفتح لنا بسهولة لذلك سوف نسلق السور
وما أن نستقر فوقه تقفزين أنتِ وتتجهين مباشرةً لـ (عوراء) وتحرريها
وتعودين بها

(رافدة): ماذا عنك؟
(كميت): سوف أقنص الرماة في البداية وبعدها أوفر لكِ الغطاء
اللازم للهرب

(رافدة): أنتِ لا تملkin سوى خمسة أسهم

(كُميٰت): الرامي الأول سوف نتسلل من ورائه ونقتله وأستعين

بسهامه

(رافدة): الخطة تبدو ركيكة وغير محكمة ولا تنسى الساحر الذي
يتوسط المكان ونجهل قدراته

(كُميٰت): أنا منصّة إذا كنت تملّكين حلاً آخر

(رافدة) مستلّة سيفها: لا شيء يخطر بيالي الآن

(كُميٰت): هيا بنا إذاً

هرولت الفتاتان متوجهتين نحو المبني واختارت الحجازية وجهتهما بناءً
على علمها المسبق بمواقع الرماة فوق سور بحيث لا يتبعون إليها
خلال تسللها بعد تسلقها. أنسندت الأختان ظهورهما للسور الطيني

الشاهق فقالت (رافدة): من أي جهة ستسلق؟

(كُميٰت) رافعة نظرها للأعلى: سنسير بمحاذاة سور عشرين ذراعاً
بعدها سنصل لمكان أول رامٍ وعندها نتخلص منه ونغم سهامه
وتنسلق

نُفذت الخطوة الأولى من الخطة كما قالت الحجازية لكن عند وصولها
للمكان فوجئتا بأمر أثار استغرابهما..

(كُميٰت) باندھا شدید: أین الراٰمی؟.. من المفترض أن يكون هنا

(رافدة): ربما غير مكانه

(كُميٰت) تتخلى عن التصاقها بالجدار وتقف أمام السور موجهة نظرها

للأعلى: الرماة لا يغيرون أماكنهم بهذه السهولة أو السرعة.. لقد رأيته

عن بعد قبل أن نصل إليه عندما كنا نجري قادمتين من أشجار النخيل

(رافدة) وهي تتحرك من مكانها أيضاً وتشاركها النظر لأعلى السور:

ماذا حدث إذاً؟

(كُميٰت) منزلة رأسها وكأنها تحاول التركيز بسماعها: هل تسمعين ما

أسمعه؟

(رافدة) بتركيز: نعم.. أعتقد.. كأنه صراغ لمجموعة من الناس

(كُميٰت) بتعجب: بالضبط.. ما الذي يحدث بالداخل؟

(رافدة): لنقترب المكان كما خططنا.. الوقت ليس في مصلحتنا أو في

مصلحة (عوّاء)

(كُميٰت): معيٰ حق.. هيـا!

سور المبني الطيني كان سهلاً للتسلق بسبب الشقوق والتوءات التي



انتشرت على سطحه وخلال أقل من دقيقة وصلت الفتاتان للحافة وأطلتا برؤوسهما بحذر لاستكشاف المكان وتحديد أهدافهما الرئيسية لكنهما صعقتا لما رأته.

محزرة.. هذا أقل تعبير يمكن أن يصف ما كانت البدوية واللحجازية تشاهدان أمامهما بأفواه مفتوحة عجباً من فوق السور فقد انتشرت الأشلاء والأطراف في كل مكان وتشبعت الأرض بدماء الحراس والتخاسين حتى العبيد لم ينجوا وتم ذبحهم كالخراف بعد ما حُطمت زنازينهم وأقفاصهم.

(رافدة) بنبرة مصدومة جدّاً: ما الذي حدث هنا؟.. من فعل ذلك كله؟

(كُميٰت) بصدمة مماثلة: لا تسأليني..

(رافدة): هل لقيت (عوراء) حتفها معهم؟

(كُميٰت) موجهة نظرها للمكان الذي احتجزت فيه: قفصها محطم لكنها ليست بداخله ولا أرى جثتها بينهم

(رافدة): لننزل ونبحث عنها حتى وإن كانت جثة هامدة فلن تركها هنا



قفزت الفتاتان من فوق السور وب مجرد أن حطت أقدامهما على الأرض
غطتا أنوفهما من رائحة الدماء التي فاحت في المكان وأثارت غثيانهما.

(رافدة): كيف لكل هذا أن يحدث في وقتٍ قصير؟.. نحن لم نر أحداً
يدخل أو يخرج من المكان

(كميت) وكفها على فمها وأنفها: لا أجد تفسيراً يقبله العقل لما حدث
 هنا

(رافدة): لنفترق ونبحث عن جثة (عوراء)
(كميت): لم أنت متيقنة من أنها ماتت؟

(رافدة): ولم ستنجو هي بالذات؟.. الناجي الوحيد في هذه المذبحة
هو..

توقفت البدوية عن الكلام وأدارت نظرها لـ (كميت) التي رمقتها
بنظرة خوف وقلق لكنهما لم تتبادل الحديث وافترقتا بحثاً عن الصبية..
خلال بحثهما مرت (رافدة) بالرداء الأصفر الملقى على الأرض فحملته
وضمته لصدرها وأكملت البحث. بعد مدة نادت الحجازية من بعيد
على أختها قائلة: «هل وجدت شيئاً؟!»

(رافدة): لا!.. فقط المزيد من الجثث والأشلاء!

(كُميٰت) محدثة نفسها: أين هي؟

قررت الفتاتان التوقف عن البحث في النهاية بعد فقدانهما الأمل في إيجاد الصبية وتوجهتا للبوابة للخروج منها وعند وصولهما توقفتا وقالت (رافدة): ربما تمرق جسدها بالكامل لذا لم نستطع التعرف عليها بين كل تلك الأسلاء
(كُميٰت): ربما..

(رافدة): لقد لاحظت شيئاً غريباً خلال البحث بين الجثث

(كُميٰت): وأنا أيضاً

(رافدة): أخبريني أنتِ أولًا

(كُميٰت): الجثث لم تقتل بنصال حادة.. لقد مزقت أطرافها وكأنها نزعـت نزعـاً من أجسادها والجروح تبدو ناتجة عن افتراس وحوش ضارـية مثل الذئاب أو السباع

(رافدة): هذا ما كنت سأقوله تماماً

(كُميٰت): شيء آخر..

(رافدة): ما هو؟



(كُميٰت): لقد رأينا هذه الآثار من قبل.. هل تذكرين؟

(رافدة) بقلق: نعم.. عندما كنا مع العمّة عند قصر ملكة الدم.. جثة المتنور الرامي الذي هاجمنا في ساحة القصر

(كُميٰت): بالضبط.. جروح جثته مماثلة لما نراه الآن

(رافدة): هل تريدين القول بأنّ ع...

قطع حديثها بطرقٍ قويٍ على البوابة من الخارج أثار فزعهما..

(رافدة) مسكة بسيفها والطرق مستمر ويزداد قوّة وتسارعاً: هل أفتح البوابة؟

(كُميٰت) تشد سهاماً على قوسها وتنزل على ركبتيها متأنية: نعم..

تقاطع النصال

مدت البدوية يدها وأمسكت مقبض البوابة التي لا تزال تهتز من الطرق القوي وباليد الأخرى شدت على مقبض سيفها تأهباً لأي مفاجأة واللحجازية من خلفها على ركبتها موجهة نصل سهمها للباب مباشرة بالتأهب والاستعداد أنفسهما. ما أن سحبت (رافدة) الدرفة اليسرى حتى فتحت البوابة بأكملها وانطلق من خلالها الساحر الذي رأته سابقاً وهو يهرول بسرعة والخوف والجزع يهيمنان على وجهه وببدأ يصرخ بهلع وجسده ورأسه مليئاً بالجروح الغائرة وملابسها ممزقة وقال صارخاً: «أين هي؟!.. أين الشيطانة؟!»

(رافدة) من خلفه بنبرة عالية ومهددة وهي تشد على سيفها: ابق مكانك ولا تتحرك!



التفت الساحر إليها مفزواً وصرخ فيها وبدأ بالجري نحوها لها جمثها
لكن سهم الحجازية سبقه وارتکز في رأسه ليسقط صريعاً في الحال.

شدت (كُميٰت) سهماً آخر على قوسها ونهضت من مكانها وأخذت
بعض خطوات نحو الساحر الملقي على الأرض ونظرها منصب عليه.

(رافدة): لا تقلقي.. لقد مات

(كُميٰت) ترخي شدها للسهم وتعيده للجراب الجلدي خلف ظهرها:
كيف خرج للخارج دون أن نراه؟

(رافدة) موجهة نظرها للسور الطيني العالي: لا أعتقد أنه تسلق
السور.. ربما طار كالفارسية أو رماه أحد من فوقه
(كُميٰت): ولم يعود للداخل؟.. ألا يخشى الموت؟.. هل تظنين أنه
الفاعل؟

(رافدة): إذا كان هو الفاعل فمن تسبب له بتلك الجروح؟
(كُميٰت) وهي تشد سهمها المغروس في رأس الساحر لتعيده: معي
حق

(رافدة): لم يعد هناك سبب لبقاء هنا.. لنعد للصبي قبل أن يهلك من
حر الشمس

خرجت الاشتان من المبنى عائدتين لمجموعة النخيل التي ربطتا
(دوسر) عندها وفي منتصف الطريق شاهدتـا (عوراء) تهيم عارية في
الصحراء فجرتا نحوها وعند وصولـها إليها اعترضـتا طريقـها بالوقوف
 أمامـها لكنـها لم تتحـدثـا معـها مباشرـة لأنـها رأـتـا أنـ أعينـها كانتـ بيضاءـ
 بالـكاملـ وفيـ حالةـ منـ الضـيـاعـ والـتيـهـ فـقـامـتـ (رافـدةـ) بـإـيقـافـهاـ عنـ
 التـقـدـمـ وأـلـبـسـتهاـ رـداءـهاـ الأـصـفـرـ وأـجـلـسـتهاـ عـلـىـ حـجـرـهاـ وـقـالتـ لـ
(كـُـمـيـتـ): أحـضـرـيـ الصـبـيـ وـأـنـاـ سـأـنـتـظـرـ هـنـاـ مـعـهـاـ..

جرـتـ الحـجـازـيةـ نـحـوـ مـجـمـوعـةـ النـخـيلـ وـتـسـلـقـتـ النـخـلـةـ الـتـيـ قـيـدـ فـيـهاـ
(دـوسـرـ) بـلـثـامـهاـ وـحـرـرـتـهـ ثـمـ حـمـلـتـهـ عـلـىـ كـتـفـهـاـ وـنـزـلـتـ عـائـدـةـ بـالـسـرـعـةـ
نـفـسـهاـ لـأـخـتـيـهـاـ وـعـنـدـ وـصـوـلـهـاـ رـأـتـ أـنـ (عـورـاءـ) مـغـمـضـةـ الـعـيـنـينـ
وـالـبـلـدـوـيـةـ تـمـسـحـ عـلـىـ جـبـينـهـاـ بـرـفـقـ.

(كـُـمـيـتـ) تـضـعـ الصـبـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ قـائـلـةـ بـقـلـقـ: ماـذـاـ حـدـثـ لـهـ؟ـ..ـ هـلـ
أـخـبـرـتـكـ؟ـ

(رافـدةـ) وـهـيـ مـسـتـمـرـةـ بـالـمـسـحـ عـلـىـ جـبـينـ (عـورـاءـ) مـحـدـقـةـ بـوـجـهـهـاـ بـقـلـقـ:
قـالـتـ شـيـئـاًـ غـرـيـبـاًـ..ـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ بـلـغـةـ لـمـ أـفـهـمـهـاـ..ـ لـكـنـ صـوـتـهـاـ لـمـ يـكـنـ
هـوـ..ـ كـانـ صـوـتـاًـ مـخـتـلـفـاًـ..ـ صـوـتـ رـجـلـ

(كميت): رجل؟

(رافدة) مديرة وجهها للحجازية: نعم.. هناك شيء مخيف في أختنا
(أنمار) من خلفها: أختكما غير طبيعية.. خذا حذركما منها..
قفز (دوسن) فرحاً لرؤيه خالتة وجري نحوها لمعانقتها..

(كميت): ماذا تقصدين بغير طبيعية؟

(رافدة): أختنا مريضة فقط
(أنمار) واضعة كفها على رأس الصبي بعد أن احتضن فخذها وعيناها
على (عوراء) الفاقدة للوعي: منذ أن عانقتنـي خارج أسوار «هجر»
وأنا على علم بأنـها ليست طبيعية.. أين وجـدتـوها؟

(رافدة) بعبوس: لا شأن لكـ بها!

(أنمار): حسناً.. لكن ما هو من شأنـي هو سؤالي لكـما عن سبب تركـكـها
للسـوق بعد ما حـذرـتكـها من ذلك؟

(كميت): نـحن آسفـ.

(رافدة) مقاطـعة بنـبرـة سـاخـطة: أـنت لم تحـذرـينا من تركـ السـوق!.. لقد
حـذرـتنا من النـخـاسـين فقط!



(أنهار) مبتسمة: حسناً يا (رافدة) لن أجادلك أكثر
(كُميٰت): هل وجدتِ ما كنتِ تبحثين عنه يا سيدة (أنهار)؟
(أنهار): لا.. الأمر كان أصعب مما ظنت
(كُميٰت): لم لا تخبريننا ما تبحثين عنه لعلنا نستطيع مساعدتك.. لا
تستصغرِي من قدراتنا
نظرت الساحرة الهجينة لأعين الحجازية المحدقة فيها بصمت لعدة
ثوانٍ متفكرة وكأنها لا تريد الإفصاح عن ما يدور في دواخلها لكنها
في نهاية المطاف قالت: «بашه..» .. سأخبركما عما أبحث عنه في «سوق
اللصوص» لكن الشمس شارت على المغيب والبحث عنه ليلاً غير

مجدٍ

(رافدة): عن من؟
(أنهار): عن المرشد.. الدليل الهادي.. الجوال المتجول والساكن
المسكون..

لم تفهم الفتاتان المقصود من كلام الساحرة الهجينة التي أخرجت بعض
القطع الذهبية من حقيبتها الجلدية وقالت له (كُميٰت) وهي تمدها لها:

«عودي للسوق واشتري دابتين وحمليهما بخيتتين وكل ما يلزم لرحلة
طويلة..»

(كُميٰت) وهي تأخذ القطع الذهبية: خيولاً أم إبل؟
(أنهار): فرساً وناقة.. لا تشتري جواداً أو بعيراً.. مفهوم?
(كُميٰت): حاضر

(أنهار): هل تحتاجين أن يرافقلِك أحد؟
(كُميٰت) تلف لثامها على وجهها: سأكون بخير وحدي
(أنهار) مشيرة لمجموعة النخيل التي ربط فيها (دوسن) سابقاً: سنكون
بانتظار عودتك هناك

(كُميٰت) تهز رأسها بالموافقة وتهم بالرحيل: حسناً
رحلت الحجازية سيراً على أقدامها عائدة لسوق اللصوص لجلب ما
طلبتها الساحرة الهجينة منها..

(أنهار) لـ (رافدة): هيا لنختم من حر الشمس فأختك ستستغرق
بعض الوقت حتى تعود

حملت البدوية (عوراء) النائمة وبدأت بالسير نحو أشجار النخيل
ومن خلفها (أنهار) التي حملت هي الأخرى الصبي الصغير الذي قال

لها بقلق: ما بها (عوراء) يا حالة؟
(أنهار) ونظرها مرتكز على (رافدة) السائرة أمامها: إنها متعبة قليلاً.

لا تقلق عليها ستكون بخير
عند وصولهم للمكان وضعفت (رافدة) الصبية على الأرض تحت ظل
النخيل وجلست بجانبها..

(أنهار) تُنزل (دوسر) أرضاً مخاطبة (رافدة): ما مشكلتك معي؟
لم ترد البدوية عليها ولم تلتفت حتى إليها..
(أنهار) مستأنفة الحديث معها: أنا لست عدوة لكن ولو كنت كذلك
لرأيت وجهي الآخر
(رافدة) بتهمكم وأعينها على وجه (عوراء): وكم وجهاً تملكين يا
فارسية؟

(أنهار) محركة سبابتها مجرة رأس (رافدة) على الالتفاتات إليها وبنبرة
مهذدة: لا تجبريني على التعامل معك بطريقة لن تعجبك
(رافدة) متألمة من انحناء عنقها رغمًا عنها: لن تكسرني بأساليبك
البالية يا ساحرة!

(أنهار) تلف عنق البدوية أكثر وتقول بهدوء: يمكنك فصل رأسك عن
عنقك بحركة من سبابتي.. ما رأيك؟



(رافدة) بلا اكتراش وبنبرة متأللة: لست متعلقة بالحياة يا ساحرة كي
تهديني بالموت..

أنزلت الساحرة الهجينة سبابتها محررة عنق البدوية من قبضتها وقالت:
أريد سبباً واحداً لعدائك لي..

وقفت (رافدة) تدعك عنقها بكفها وقالت بتجهم: لا أحتاج أسباباً
كثيرة.. يكفي أنكِ تبقيننا معكِ بالقوة لتحقيق مآربك.. تعاملين معنا
وكأننا خدم عندك!

(أنهار): ماذا تريدين؟.. أخبريني وسامنحك أي شيء
(رافدة): أن تركينا نرحل بسلام ولا تلزمينا بمرافقتك أو بتنفيذ
عهودنا معكِ

(أنهار): لكِ ذلك.. عندما تعود أختك سوف نفترق.. هل هذا كل
شيء؟

(رافدة) بريبة: هل تقولين الصدق أم أنكِ تجارييني فقط؟
(أنهار): لا حاجة بي للكذب.. إذا لم تطلبين بأنفسكين أن ترافقني فلن
أجبركن وهذا وعد مني

(رافدة): حسناً سنرى..

بقيت المجموعة عند أشجار النخيل عدة ساعات بانتظار عودة الحجازية من السوق لكنها تأخرت مما دفع (رافدة) الجالسة عند (عوراء) لقول: أين (كميت)? .. لم تعد من السوق حتى الآن؟

(أنهار) من جانبها وهي تراقب (دوسر) يلعب بالقرب منها: السوق يغلق مع غروب الشمس وغالباً هي لا تزال تبحث عن الدواب المناسبة

(رافدة): الشمس ستغرب بعد قليل والريح الباردة بدأت تهب.. يجب أن نشعل ناراً

(أنهار) تهم بمسح كفيها بعضها البعض لإشعال النار: أين تريدينها؟

(رافدة): هل يمكننا إشعال النار بالطريقة المعتادة ولو لمرة واحدة؟

(أنهار) متوقفة علىٰ كانت تقوم به: لا بأس لكن لماذا؟

(رافدة) تنهض من مكانها وتبدأ بجمع بعض أغصان الحطب الجافة: بدأت أفتقد الحياة الطبيعية.. الحياة الخالية من السحر والطلاسم

(أنهار) تبتسم وهي تتأمل البدوية خلال جمعها للحطب وتقول: ولم لا تعودين إليها؟ ما الذي يمنعك؟

(رافدة) واضعة غصناً آخر على ساعدها: أشياء كثيرة.. ومع ذلك ما زلت أريد العودة لقبيلتي بالرغم من المخاطر التي تنتظرني هناك (أنهار): هذا ما أسعى أنا لتحقيقه بالعودة لـ «فارس».. اشتقت لشواطئ «ديلم» ونخيلها

(رافدة): ألا يمكن لخالتك أن تسمح لك بالعودة دون الاقتتال معها؟ (أنهار): لن تتركني أهنا للحظة واحدة لو علمت بأني عدت لـ «فارس» وتخلت عن وصيتها.. قبل أن تزرع أرضاً بالورد يجب أن تقتلع ما فيها من صبار.. لن أستعيد حياتي الطبيعية وهي لا تزال على قيد الحياة (رافدة) رامية ما جمعته من حطب أمام الساحرة الهجينه: ما زلت أرى أن التفاهم قد يقودك لحل يرضي الطرفين (أنهار) ضاحكة: تفاهم؟!.. ومع العمة (أفسار)؟!

(رافدة) خلال جمعها المزيد من الحطب: نعم وما المشكلة؟ (أنهار) بابتسامة حزينة: كرهها للعرب يعمي أعينها في كل مرة يحاول عقلها العمل.. بالرغم من أن سر قوتها يعود الفضل فيه لعلوم العرب في السحر إلا أن هذا لم يغير في قلبها شيئاً تجاههم.. أخبرتني بذلك

عندما كانت تعلمني بعض طلاسمها الخاصة في «هجر» وكأنها تريد أن توصل لي رسالة بأنها لو أحسست بأي تعاطف من قبلني تجاه عرق أمري فسوف تسخط علي.. أكثر من يتعرض للكره هو من يحاربه.. ولو أني حاولت مع خالي لانقلبت عليّ وأقصتني دون تردد

(رافدة) تجلس بجانبها بعد ما جمعت ما يكفي من الحطب: وكيف حصلت على ذلك العلم وهي تكره العرب؟

(أنمار): هذه الحقيقة لا يعرفها أحد سوالي بعد ما أخبرتني بها قبل أن نفترق في «هجر» وتعود لـ «فارس» مع أخواتي.. قالت إنها وفي وقت مضى تعرضت لاعتداءٍ كاد يودي بحياتها وكانت على شفا الموت لولا أن شخصاً ما أنقذها وأبقاها بكونِ فوق جبل متجمد لمدة خمسة أعوام أجبرها فيها على تعلم السحر المتقدم بتقديم الكتب النادرة لها بشكل يومي دون أن يكشف لها عن هويته

(رافدة) تمسك حجرين من الصوان لإشعال النار بهما: ولم يقوم بذلك؟

(أنمار): معظم السحر المخضرمين عندما يتقدم بهم العمر ويشعرون بدُنُونَ أجلهم يختارون ساحراً آخر يورثون له هذا العلم الوافر الذي أفنوا حياتهم في جمعه وتحصيله ويبدو أن الحالة (أفسار) قد وقع عليها



الاختيار في تلك اللحظة لسببٍ ما عندما خسرت نزاتها مع كبير السحرة بـ «نخت سليمان».. أعتقد لأنها أول ساحرة تقرر مواجهة زعيم السحرة آنذاك لأن ذلك لم يكن مسبوقاً

(رافدة) وهي تطرق الحجرين بعضهما البعض محدثة بعض الشرر: ومن كان ذلك الساحر الذي ورثها علمه؟.. هل كشف هويته لخالتك؟

(أنهار): نعم.. لم يكن ساحراً بل ساحرة.. جدة أخي الكبرى (نازانين) هي من قام بإنقاذ خالي وتعليمها السحر لتخلصها وقد علمت بذلك عندما آوتها واحتوتها بعد ما تركت الكوخ فوق قمة الجبل وأحرقت جميع الكتب التي قدمتها لها وهذا السر لا يعرفه أحد حتى (نازانين)

(رافدة) خلال نفخها على النار الصغيرة التي أحدها مستخدمة الأوراق الجافة: ولم تخبركِ أنتِ بالذات دونَ أخواتكِ الأخريات؟

(أنهار): أعتقد أنها اختارتني كي أخلفها وانتقتنى من بين أخواتي عندما اكتشفت قدرتي على حفظ الطلاسم بسرعة بعد نزالنا مع العصبة العربية ووضعت مهمتي في «عربستان» تأختبار لي

(رافدة) وهي مستمرة بالنفح على النار لتكبر: كان من الأولى أن تختار فارسية لتورث علمها لها وليس هجينه مثلك

(أنهار): كره خالي للعرب لم يحل بينها وبين رغبتها باختيار الأنسب
لتلقي كل تلك العلوم بوقت قصير وتدمير سحرة «عربستان» من
الداخل وأخواتي لم يكن لليستطعن الانحراف في أرض الجزيرة بسهولة
مثلما فعلت أنا

(رافدة) تمسح كفيها أمام النار التي تصاعدت ألسنتها: وهل تكرهين
العرب بالقدر نفسه الذي تكرههم به خالتك؟

(أنهار): العرب كانوا وما زالوا جزءاً مني فهم أهل أمي وكل يوم
أمضيته بأرضهم وبينهم أجد نفسي تميل إليهم أكثر لكن ليس للدرجة
التي تجعلني أنسى «فارس».. ما أنا متيقنة منه هو أنني فقدت الرغبة في
إلحاق الأذى بهم مهما كانت رغبة خالي بذلك.. أرادت خلق شوكة
في خاصرة العرب من خلاي وتلك الشوكة سترتد بعينها في القريب
العاجل لكن ليس قبل أن أحصل على ما سيمنعني القدرة للتغلب
عليها وعلى أخواتي.. يجب أن أكون مستعدة لمواجهةهنّ إذا كنت أريد
أن أستعيد حياتي مرة أخرى

(رافدة) مسندة ظهرها لجذع نخلة خلفها: وكم بقي لتكوني جاهزة
لتلك المواجهة؟



(أنهار) سارحة بالنار المشتعلة أمامها: لقد بت اليوم أقوى منهـنـ جميعاً

لكن خالتـي لا تزال تخيفـني

(رافدة): لكنك لم تحصلـي على القناع الذهـبي..

(أنهار): لا بأس.. ما سـنـجـدـهـ في «المـديـنةـ المـفـقـودـةـ» سـيـعـوـضـ تلكـ الخـسـارـةـ..ـ المـهـمـ أنـ نـجـدـ الطـرـيقـ المـؤـدـيـ إـلـيـهاـ

(رافدة): .. «المـديـنةـ المـفـقـودـةـ»؟

(أنهار): نـعـمـ..ـ مـدـيـنـةـ «ـتـاجـ الـمـلـوـكـ»..ـ هـذـهـ هـيـ وـجـهـتـنـاـ التـالـيـةـ

(رافدة): وماذا سـنـجـدـ هناكـ؟

قبلـ أنـ تـرـدـ السـاحـرـةـ الـهـجـيـنـةـ عـلـىـ الـبـدـوـيـةـ اـنـتـبـهـتـ لـشـيءـ يـظـهـرـ أـمـامـهاـ
بـالـأـفـقـ الـبـعـيدـ حـيـثـ كـانـتـ الشـمـسـ الـحـمـراءـ تـحـطـ وـقـالـتـ لـ (رافـدةـ):
هلـ تـرـىـنـ مـاـ أـرـاهـ؟

(رافـدةـ) مـوجـهـ نـظـرـهاـ حـيـثـ كـانـتـ (أنـهـارـ) تـمـعـنـ النـظـرـ: يـبـدوـ وـكـائـنـهـ
سـرـبـ مـنـ الطـيـورـ الـمـقـبـلـةـ نـحـونـاـ
نـهـضـتـ السـاحـرـةـ الـهـجـيـنـةـ وـنـادـتـ عـلـىـ (دوـسـرـ) بـصـوـتـ مـرـتفـعـ: تعالـ هـنـاـ
بسـرـعـةـ!

جرى الصبي نحو خالته التي أمرته بالجلوس عند (عوراء) النائمة
وحضرته من ترك مكانه..

(رافدة) مراقبة ما يحدث بقلق: ما الأمر؟!

(أنهار) معيدة نظرها لسرب الغربان الكثيف المقرب منهم: أنت
كذلك ابقي معها حتى أخلص منه..

(رافدة): تخلصين مِنَّ؟!.. عن ماذا تتحدثين؟!

. (أنهار) وهي تبدأ بالسير مبتعدة عن أشجار النخيل: فقط ابقي مكانك
ولا تتدخل أبداً

قطعت الساحرة الهجينة مسافة مائة قدم تقرباً توقفت بعدها عندما
أحاط بها سرب الغربان وأخذوا يحلقون فوقها وينعقون بصوت
مزتعج ومرتفع.

(أنهار) بنبرة هادئة وواثقة: ليس لدى اليوم بطوله.. لننته من هذا الأمر
في الحال

صمتت الغربان وتوقفت عن النعيق في الوقت نفسه ليعلم هدوء
صارخ في المكان تبعها تساقط أجسادها واحداً تلو الآخر على الأرض

حول الساحرة الهجينة ولم يبق سوى ثلاثة غربان في السماء يرفرفون بأجنحتهم لعدة ثوانٍ قبل أن يتشكلوا الهيئة البشرية وينزلوا على الأرض أمام (أنهار).

بقيت الساحرة الهجينة تراقب من تشكلوا أمامها وقد كانوا رجلاً أصلع حليق الوجه يلبس رداءً أسود ممسكاً بيديه حربة طويلة برأسٍ حاد وأمرأتين متطابقتين في أشكالهما وكأنهما توءمتان فكلتا هما كانت تحمل سيفين. سيفاً في كل يد وشعرهما قصير جدًا والوشوم السوداء ملأتا أجسادهما عدا وجوههما ولم يكن بينهما أي اختلاف حتى بالملامح سوى لون الشعر فواحدة كان شعرها بلون فضي لامع والأخرى بلون أصفر كلون الذهب. اشتراك اللاثنان بسمة واحدة فقط وهي أن كلاً منها وشمت بخمس نجوم على أنوفهما بينما وشم الرجل على رأسه بشاني نجوم في إشارة واضحة إلى أنهم جميعاً من المتنورين القتلة.

(المتنور الأصلع) وهو يشد من قبضته على حربته الطويلة: إلى متى وأنتِ تحاولين الهرب من قبضة الطائفة الجنوية؟!

(أنهار) ببرود: أنا لم أهرب يوماً منكم.. أنتم من لا تدركون أنكم لن تستطعوا أبداً الإيقاع بي مهما أرسلتم من قتلة

(المتنورة ذات الشعر الفضي) مقلبة سيفيها ليشتعل بوهج أزرق:

رأسك مطلوب عند السيد الكبير وسوف نقطفه ونرسله إليه اليوم!

(المتنورة ذات الشعر الذهبي) رافعة سيفيها فوق رأسها ليشتعل هما

أيضاً بلهب أصفر وتقول ضاحكة: الموت يطرق بابك يا ساحرة فما

أنتِ فاعلة؟!

(أنهار) متزلة حقيقتها الجلدية جانباً وعيناها تحولان لبياضٍ مُشع

وبكل هدوءٍ تقول: «لنمْ.. ما بها؟.. لنمْ..»

اندفع المتنور الأصلع جرياً نحو الساحرة الهجينه موجهاً رأس حربته

للأمام وهو يصرخ كالجنون بينما تحركت المرأةان بسيوفهما المتوجهة

يمنة ويسرة منطلقتين بالسرعة نفسها و(أنهار) تقف بانتظارهم. قبل

أن يغرس المتنور رأس حربته في صدر الساحرة الهجينه حركت كفها

وكأنها تبعد ذبابة عن وجهها الترمي به أرضاً على وجهه في الرمال وقبل

أن يرتد كفها وجهت المتنورتان بسيوفهما الأربعة لعنقها بعد ما قفزت

كل واحدة منها من جنبيها لكنهما وجدتا أن أنصال بسيوفهن تحطمت

قبل أن تمسها لتقبض (أنهار) بيديها عنق كل واحدة وتقول:

«هل هذا أفضل ما يستطيع المتنوروں تقديمہ؟»



أمسكت المتنورة ذات الشعر الفضي بقبضتيها على معصم يد (أنمار)
القابض على عنقها ورفست بقدميها وجه الساحرة الهجينه وهي
تقول: نحن لم نبدأ بعد!

احتل توازن (أنمار) من تلك الضربة وأفلتت قبضتها من عنق المتنورة
 ذات الشعر الذهبي وقبل أن تستعيد تركيزها قامت الأخرى بنفخ نارٍ
 من فمها لوجه الساحرة الهجينه بينما نهض المتنور الأصلع وبحركة
 سريعة وخاطفة رمى برمحه الطويل تجاه (أنمار) المشوشة. لم ترخِ الهجينه
 قبضتها عن عنق المتنورة ذات الشعر الفضي بالرغم من استمرارها
 بنفث النار المحرقة عليها بل حركتها لتصد بجسدها ذلك الرمح
 المندفع نحوها وعندما انتبهت المتنورة ذات الشعر الذهبي لذلك ألت
 بجسدها عليها وأزاحتها عن طريق الرمح الذي تجاوزهما ولم يصب
 أي واحدة منها.

مسح المتنور الأصلع على رأسه ليتحطم رمحه لعدة أجزاء صغيرة
 تحولت لسرب من الغربان السوداء التي التفت وعادت محاصرة
 للساحرة الهجينه الواقعة على الأرض وأخذوا ينقرونها بمناقيرهم
 الحادة. تدحرجت المتنورة ذات الشعر الذهبي مبتعدة عن (أنمار) التي



كانت تصارع سرب الغربان وهي مستلقيّة ووقفت في الحال بجانب زميلتها تراقبان المشهد ضاحكتين. صرخ المتنور الأصلع فيهما من الخلف قائلاً: «لا تقفا هكذا وأجهزا عليها!»

خرج غرابان من السرب المحاصر لـ (أنمار) وحلقا تجاه المتنورتين اللتين رفعتا كفوفهما وأمسكتا بالطائرين ليتحولا لخناجر بيديهما. اندفعت الاشتنان جرياً نحو الساحرة الهجينه في نية لتوجيه عدة طعنات لها خلال انشغالها بإبعاد الغربان المحاصرة لها لكنها باغتتهما بقراءة طلسن خرج على أثره مجموعة كبيرة من الصخور من قاع الأرض قامت برمي الطيور جميعاً وقتلها في الحال دفعه واحدة لتجتمع مكونة صخرة كبيرة اندفعت نحوهما لتضربهما وتسقطهما أرضاً قبل أن تصلا إليها. ارتفعت الصخرة الكبيرة للأعلى خلال نهوض (أنمار) التي أصبحت بعض الجروح على وجهها وحركت كفها نزواً لتنزل الصخرة على المتنورة ذات الشعر الذهبي وتسحقها. صرخت المتنورة ذات الشعر الفضي عندما شاهدت أختها وهي تُقتل أمامها وهمت بالاندفاع باتجاه الساحرة الهجينه لكن الصخرة سبقتها وارتفعت مرة أخرى ونزلت على رأسها هي الأخرى. انفجرت الصخرة وتحطمـت



بعد ما نطحها المتنور الأصلع برأسه وقال وهو يتنفس بغضب كالثور

الهائج: «لن أكون لقمة سائغة مثلهما يا ساحرة!»

(أنهار): هيا.. أرني ما عندك..

خلع المتنور الأصلع رداءه الأسود وبسطه على الرمال أمامه وقفز
وسطه واختفى تحت الأرض..

(أنهار) بتهمكم: حيلة جميلة.. ماذا الآن؟

لم تكمل الساحرة الهجينة جملتها حتى أحسست بنصلٍ حاد يشق ظهرها
لتلتفت مذعورة خلفها وترى المتنور يغوص في الرمال بسرعة..

(أنهار) متأثرة من إصابتها وتجول بنظرها بحثاً عن المتنور: جبان
خسيس!.. أظهر نفسك!

صرخت الساحرة الهجينة مرة أخرى بعد ما تعرضت لطعنة ثانية في
خاصرتها لتشاهد الجزء العلوي من المتنور خارجاً من الأرض بجانبها
مسكاً بحربة نحيلة حادة غارساً رأسها فيها وهو يقول متهدكاً: «ما
بكِ؟.. ألن تقامي ولو قليلاً؟!؟!»

ووجهت (أنهار) قبضتها لوجه المتنور لكنه وبسرعة البرق غطس مرة



سيف السماء والدابة العظيمة

فتحت الساحرة الهجينة عينيها لترى بنظرها المشوش أنها مستلقيَة أمام النار و(دوسر) بجانبها نائِمًاً وعند النخلة فوق رأسها ربط لجام فرس رماديَّة وناقة حمراء محملين بالعتاد ووَجَدَتْ أن جروحها قد طبَّيت بالكامل. بعد أن زالت الزغالة بالكامل عن عينيها انتبهت إلى أن (رافدة) و(كميَّت) كانتا تجلسان عند النار تسامران لكن حديثهما لم يكن مسموعاً بوضوح لها فهمت بالنهوض لكن جسدها لم يساعدها فانتبهت الفتاتان لها ونهضتا من مكانهما وسارتا نحوها وهمما تقولان بصوت واحد: أبقي مكانك!

(أنهار) معيدة رأسها للخيمة المطوية التي وضعَتْ تحته: ما الذي حدث؟



بعض اللوازم الخاصة بتطيب الجروح لكنني لم أظن أننا سنحتاجها
بهذه السرعة وللآن أنت بالذات

(أنهار) مبتسمة: حتى الساحرات ينترن يا (كميت).. البدوية أنقذت حياثي وأنا مدينة لها

(رافدة): لم أفعل ما يستحق أن تدينني لي بشيء ثم إني في الحقيقة أشعر بأننا نحن من تسببنا لك بهذا الأذى بسبب ملاحقة المتنورين لنا (أنمار): هذه المرة لم يكونوا يبحثون عنك بل عنّي ..

(كُميٰت) باستغراب: عنكِ أنتِ؟.. هل أنتِ مطاردة منهم أيضًا؟
(أنهار) ماسحة على رأس (دوسن) النائم عند صدرها: نعم.. بدأت
مطاردتهم لي منذ عامين تقريبًا عندما قتلت أحدهم في (هجر) وأهدر
سيدهم الكبير دمي جراء ذلك ومن وقتها والطائفة الجنتية ترسل
قتلتها للثأر.. حقى.. لأجل متنور واحد سقط حتى الآن العشرات
منهم على يدي ولا يزالون يحاولون ويفشلون في كل مرة لكن مؤخرًا
بدأت هجماتهم تزداد قوة وأخشى أنهم سينجحون قريباً
(كُميٰت): لم تخبرينا بذلك من قبل؟



(أنهار): أشياء كثيرة لا تعرفنها عنِي ولا نية عندِي للتحدث عنها لذا
لا تسألن

(رافدة): هل يمكننا على الأقل السؤال عما إذا كنا سنرحل قريباً بعد
إصابتك؟

(أنهار): كما أخبرتِك.. يمكنكن الرحيل إذا شئْن.. سأتدبر أموري مع
(دوسر) كما كنا نعمل دوماً

نظرت الفتاتان ببعضهما البعض لثوانٍ بصمت ثم قالت (كميٰت) وهي
لا تزال تحدق بأعين اختها: لا.. سنبقي معكِ حتى تنتهي.. لقد اتفقنا
على ذلك ولن نتراجع الآن

(رافدة) تهز رأسها بالموافقة: نعم.. اختي معها حق
(أنهار): بعد غدٍ سوف أتعافي بالكامل لكن يجب أن نجد المرشد قبلها

(كميٰت): جروحك لن تلتئم بالكامل قبل عدة أسابيع

(أنهار): لدى طرقٍ خاصة في تعجيل ذلك.. لكن أريد منكما التوجّه
للسوق غداً والعثور على المرشد وإحضاره إلى هنا

(رافدة): وكيف سنجد هذا الرجل؟

(أنمار): المرشد ليس من البشر.. مرشد «المدينة المفقودة» من الجن
ويزور أسواق البشر في أرجاء الجزيرة بأوقات محددة لأسبابٍ مجهولة
وخط سيره غير معروف لكنني تمكنت بصعوبة من معرفة معلومة
واحدة من أحد مسترقي السمع وهي أنه يزور «سوق اللصوص» مرة
كل عام في هذا التوقيت ولا يبقى سوى يومين فقط ثم يختفي بعدها
ويصعب إيجاده وقد أهدرت اليوم الأول بالبحث عنه ولم أجده ولم
يتبقَّ سوى الغد

(كُميٰت): وكيف سنجده نحن؟

(رافدة): والأهم من ذلك كيف نقنعه بأن يأتي معنا

(أنمار) تبحث بنظرها: أين حقيبتي؟

(رافدة) وهي تنهض: سأحضرها لكِ

مدت البدوية الحقيقة الجلدية للساحرة الهجينة المستلقية والتي قامت
باخراج حجر أسود صغير منها ومدته لها قائلة: هذا الحجر سيجبره
على القدوم معكما

(كُميٰت) آخذة الحجر الأسود الصغير من بين أنامل (أنمار) معنة النظر

فيه: هل نقدمه له فقط؟

(أنهار): عندما تحددان مكانه وتتشبان من أنه هو المرشد فقط قوما
برمي الحجر عليه وسيصبح طوع أمركما

همت البدوية بالحديث لكن (أنهار) قاطعتها بصوتٍ متعب وقالت:
أعرف ما ستقولين.. المرشد متشكل كبشر لكن ينقصه سمة واحدة
وهي التي من خلاها تستطيعان كشف هويته

(كميٍّ): ما هي؟

(أنهار): المرشد لا يملك ظلاً.. منها تحركت الشمس حوله فجسده لا
يترك أثراً على الأرض.. لقد فشلت بالأمس وأنتما أملـي الأخير.. ابحثا
عن رجل بلا ظل فهو غايتكما

(رافدة): هل يحق لنا على الأقل معرفة غايتكِ أنتِ من الوصول لهذه
المدينة؟

(أنهار): لقد وضعت لنفسي ثلاثة أهداف للوصول للقوة التي أصبو
إليها لمواجهة خالي وأخواتي.. القناع الذهبي.. سيف النساء.. طلسـم
الدابة العظيمة..



(كُميٰت) : وأي من المتّبقي سنجده في المدينة المفقودة؟

(أنهار) : سيف السماء .. الذي قُتل به (الجلاد)

(كُميٰت) : من؟

(أنهار) : أمضيت سنوات من عمري أبحث عن حقيقة «المدينة المفقودة» التي شيدها الجنى التمرد المعروف بـ (الجلاد) والذي كان موته لغزاً محيراً بأوساط الإنس والجن لكنني وجدت الحقيقة

(رافدة) : وما هي تلك الحقيقة؟

(أنهار) : الجن لم يكن يسمح لهم بتعمير أرض أو تشييد بنيان لذا تجدن ممالكهم في الجبال أو البحار أو الصحراء المفتوحة لكن أميراً من الجن تمرد على هذا القانون السماوي وخرج مطالباً بمدينة معمرة يبنيها الجن على سواعدهم ودعا لتجاهل ذلك الأمر المحرم مدعياً أنه مجرد أوهام زرعها الجن المعمرون برأوسهم وأنه لا يوجد قوة أعلى منهم ستمنعهم وبالفعل نجح بإقناع عدد كبير من الجن من عدة قبائل مختلفة شاركوه ذلك الطموح في إعادة وجودهم على الأرض كشعوب معمرة وأسموا المدينة «تاج الملوك» بعد اكتئابها في أحد أرجاء جزيرة



العرب. قرر هذا الأمير المتمرد أو كما عرف لاحقاً (الجلاد) أن يغزو قبائل الجن التي لم تنضم إليه ويقبض على شيوخها ويقوم بجلدهم بسوطٍ كبيرٍ حتى يخضعوا له أو يهلكوا تحت ضربات سوطه.

بلغ (الجلاد) مرحلة من الطغيان أو صلته للجنون لكن جنونه هذا لم يزده إلا هيمنة ورغبة بالتوسيع أكثر وزيادة أعداد المنضمين إليه مما جعله مصدر رعب لبقية قبائل الجن لدرجة أن بعضهم بدؤوا يتوجهون لمدينة «تاج الملوك» طوعاً لينضموا إليه ويساندوا طموحه قبل أن يغزوهم ويرغمهم بالقوة لكن غروره قاده للتلهك في نهاية المطاف وبعد ما كبرت مملكته وأصبحت قوة يهابها حتى قبائل الشياطين بدأ (الجلاد) يخطط لغزو مدن يقطنها بشر وتلك كانت بداية النهاية..

(كميت): ماذا حدث؟

(أنمار): في ليلة من الليالي قبل تحركه نحو إحدى المدن جنوب «الحجاز» هبط من السماء جيشاً عرف بـ «جيش النور» لأنّه أحدث وهجاً أبيضَ كبيراً خلال نزوله على مدينة «تاج الملوك» رأاه الكثير من القاطنين في المنطقة على بعد مسافات طويلة وخلال دقائق من الصراع والقتال قتل جميع الجن بمن فيهم الأمير المتمرد الذي تلقى طعنة من



أحد مقاتلي السماء بسيفٍ ذي بريق قوي كان هو الأثر الوحيد الذي خلفه (جيش النور) خلفه. خلت المدينة من قاطنيها لعدة أعوام لكن ومع تقدم الزمن بدأ بعض الجن الذين كانوا متعاطفين مع (الجلاد) ولم ينضموا إليه بالعودة للمدينة والعيش فيها إحياءً لذكراه لكنهم لم يعلموا بأن «جيش النور» وقبل رحيله عن المدينة قد أصدر حكمًا أشبه باللعنة وهو أن كل من يدخلها من الجن لا يمكنه الخروج منها ويحبس خلف أسوارها للأبد..

(رافدة): إذا كان كل الشهدود على الواقعه لقوا حتفهم فكيف علمت بكل تلك التفاصيل؟

(أنمار): العلم كان موجوداً في السماء فقط ولا يستطيع سرقته سوى الشياطين المسترقة لذا جلت أطراف الجزيرة شرقاً وغرباً.. شمالاً وجنوباً حتى تمكنت من جمع فتات العلم من هنا وهناك من السحرة المتعاونين مع المسترقين وأكملت الحقيقة.. حقيقة أن السيف المنير لا يزال موجوداً في مدينة «تاج الملوك» ولا أحد يعلم بذلك سوى الجن المحبسين داخل المدينة

(كُميٰت): فهمت من كلامك أن الجن عموماً يستطيعون الوصول



لتلك المدينة وقتها يشاؤون فلم تتحاجين هذا المرشد بالذات؟.. لم لا
تستعينين بأي نفر من الجن؟

(رافدة): نعم.. لدينا عبد من الجن الأزرق وقد يقودنا إليها لو عاد
(أنهار): الوصول إلى المدينة هو نصف المهمة النصف الآخر هو
الدخول بأمان.. لا يكفي أن نجد الطريق المؤدي إليها فقط .. يجب
أن يسمح لنا بالدخول والمرشد هو الوحيد المخول بمنع ذلك الحق

(كميت): سوف يحبس إذا دخل معنا.. وهل هو من سيخرجنا منها؟

(أنهار) مبتسمة: أسئلتكم كثيرة.. سوف تريان بأعينكم كل شيء في
وقته.. فقط أحضراه لي غداً وهو مقيد لإحداكم بالحجر الأسود
هزت الفتاتان رؤوسهما بالموافقة..

(أنهار) تتأمل وجوههما التي تضج بالأسئلة وتقول باسمة: حسناً..
أسألا

(رافدة): ماذا عن الطلسم؟

(أنهار): طلسم الدابة العظيمة؟

(كميت): نعم.. ما حكايته ولم تريدينه؟



(أنمار): هذا الطلسم بالذات بدأت أشك بقدرتني في الحصول عليه بعد ما كاد المتنورون اليوم ينهون حياتي فصاحت به أقوى منهم بكثير.. بكثير جدًا.. كنت أريد مواجهتها وأنا أملك القناع الذهبي لأرجع كفتي قليلاً لكن ذلك لم يعد ممكناً الآن

(كميت): ماذا عن (سيف السماء).. ألن يكون كافياً لمواجهتها؟

(أنمار): السيف أجهله وأجهل قدراته ولم يمسه بشر من قبل وقد لا يكون ذا منفعة من الأساس هذا إن وصلنا إليه ووجدناه

(رافدة): سنكون معك ونعاونك في مواجهتك ضدّها

(أنمار) مبتسمة: الطلسم لا يجيده سوى ساحرة سنديمة اسمها (العطبول) وتعرف بـ (أميرة العاج).. صغيرة بالعمر لكنها اكتسبت علماً عظيماً من جدها قبل وفاته.. ذلك العلم توارثه أفراد عائلتها لقرون طويلة وقد وقع عليها الاختيار لحمله بعد إصابة جدها بالمرض لأنها كانت آخر سلالتهم ولم يكن لها إخوة ليحملوا العلم عوضاً عنها وأعظم ما تعلنته هو طلسم (الدابة العظيمة) والذي لا ينجو منه أحد كما يشاع بين أوساط السحراء



(كُميٰت): سندحرها.. لكن كيف تنوين الحصول على الطلسم منها؟

(أنهار) مغمضة عينيها: كل شيء في وقته يا بنات.. كل شيء في وقته..

مع أول الصباح استيقظت الفتاتان وامتنعنا الفرس الرمادي وانطلقتا نحو السوق للبحث عن المرشد ولم توقظا (أنهار) التي كانت لا تزال نائمة مع (دوسن) و(عوراء) عند جذوع النخيل. بعد مضي ساعتين على غيابهما فتحت الساحرة الهجينة عينيها عندما أحسست بتقلب (دوسن) في حضنها وهو يهم بالاستيقاظ فتبسمت له وقالت: ألم تكتفي من النوم؟

(دوسن) بنبرة ناعسة محتضناً (أنهار): لا أريد ترك دفء النار يا حالة

(أنهار): هل رأيت الناقة التي أحضرتها أخواتك؟

(دوسن) رافعاً رأسه بحماس: لا!.. أين؟!

(أنهار) مبتسمة: إنها مربوطة عند تلك النخلة.. أعرف أنك تحب

اللعب مع النياق

(دوسن) ينهض من مكانه على عجلة باحثاً بنظره حوله حتى وقعت

عينه على الناقة المربوطة عند جذع النخلة: إنها جميلة!



(أنهار): اجلب لنا بعض البلح لتناوله قبل أن تفك رباطها
جري (دوسن) نحو النخلة وبدأ بتسليقها و(أنهار) تراقبه باسمه..
خلال ذلك سمعت أنين (عوراء) من خلفها وقد بدأت هي الأخرى
بالاستيقاظ..

(أنهار) محدثة الصبية دون أن تخيد بنظرها عن (دوسن) فوق النخلة:
كيف حالك يا صبية؟.. هل استرددتِ عافيتك؟
(عوراء) بنبرة متعبة جدًا وهي مستلقية على ظهرها تحدق بأهداب
النخيل المترافقية فوقها: أين أنا؟

(أنهار): أنتِ في أمان والفضل يعود لأختيك..
(عوراء): أين (دوسن)؟
(دوسن) ملوحًا بيده من فوق النخلة: أنا هنا!
وجهت الصبية نظرها إليه وشعرت بالاطمئنان وتبسمت..
(دوسن) رامياً بلحة تجاهها: خذني!.. تناولي هذه!
سقطت الثمرة نصف الناضجة بجانب الصبية لكنها لم تتحرك
لتلتقطها وكان التعب بادياً عليها بالرغم من ابتسامتها. نهضت (أنهار)

بتشاكل من مكانتها وزحفت ملتقطة البلحة مكملة زحفها حتى استقرت بجانب (عوراء) ومدتها عند فمها قائلة: «تناوليها كي تكتسي بعض القوة..»

(عوراء): لا أشتاهي يا حالة وضعت أنهار الشمرة في فمها ولاكتها حتى أصبحت مضخة لزجة ثم أخرجتها من بين شفتيها ودستها بضم الصبية وهي تقول: يجب أن تأكلني..

تناولت (عوراء) البلحة الممضوغة دون مقاومة ثم قالت: أين أختاي؟ (أنهار) مسندة رأسها بجانب رأس (عوراء) دون أن تلامسها: ذهبتا للسوق..

(عوراء) بنبرة مهمومة: هناك شيء مظلم مرتبط بي ولا يريد تركي..
(أنهار): أعرف يا صبية لكن ماذا تعرفين أنتِ عنه؟
(عوراء): لا شيء.. لا شيء البتة.. لكنني أحس بأثره وتفاقم ذلك الإحساس منذ خروجي من «مدينة البركة»
(أنهار): هل كنتِ من سكان تلك المدينة؟



(عوراء) مديرة نظرها نحو (أنهار) المستلقية بجانبها: نعم.. هل تعرفينها؟

(أنهار): زرتها قبلًاً

(عوراء) مبتهجة: حقًا؟!.. ما رأيك بها؟!

(أنهار) سارحة في ملامح الصبية المسرورة وخدتها مسند جانبياً: مدينة كئيبة يملؤها الألم..

(عوراء) بحزن: صحيح.. هذا أقل ما يمكن أن يُقال عنها (أنهار): لم كنت هناك؟

(عوراء): لا أذكر ولا أريد التذكرة.. التحرر من الماضي هو أول خطوة نحو المستقبل.. الماضي الذي عشته حalk السواد ولا أريد العودة إليه حتى لو كان بعقولي فقط

(أنهار): أنتِ روح عتيقة بجسد يافع.. هذه الكلمات لا تصدر من فتاة بعمرك

(عوراء): ربما لأنها ليست كلماتي.. سمعتها من أحد زوار «مدينة البركة» ولم أفهمها إلا عندما خرجت منها



(أنهار): وهل وجدت السعادة بعد خروجك منها؟

(عوراء): لم أكن أبحث عنها لأجدتها.. كنت أريد حياة هادئة فقط

(أنهار) معنة النظر في الأجزاء المكسوقة من جسد (عوراء): الندب والحرق على جسدي تحكي الكثير..

(عوراء) مشيرة لعينها المقوءة: بالرغم من أنّي أكره كل ندبة في جسدي إلا أن هذه الندب بالذات بكفة والبقية في كفة.. بت أكره نفسي بسببها (أنهار): من يكره نفسه لا يمكنه أن يحب الحياة أبداً..

(عوراء): الحياة هي من تكرهني وليس العكس.. لقد أعادت هذه الندب حياتي وحرمتني الكثير

(أنهار): أنا كذلك أملك ندباً لكنها لم تكن يوماً عائقاً لي بل على العكس تماماً كانت هي من تحفظني وتذكرني كل يوم..

(عوراء): تذكرك بماذا؟

(أنهار) وأعينها محدقة بأعين (عوراء): بأنه لا أحد سيهتم لأمرك سواك وكما ولدنا وحدنا سنموت وحدنا لذا يجب ألا نعلق مصائرنا بأشخاصٍ مهما كانوا.. البحث عن القبول عند الآخرين هو بداية



انهيارك أنت أقبل نفسك وحاول أن تؤمن بنفسك فقط بعدها ستكون
صخرة لن يؤثر فيك شيء ..

(عوراء): ماذَا عن (دوسِر)؟.. ألا تخبيه؟
(أنهار) ومعالم وجهها تتغير: (دوسِر)؟.. هذا الصبي هو وحده من استطاع
تجاوز كل الحواجز التي شيدتها بيني وبين الناس.. هو من استطاع الولوج
إلى قلبي دون استئذان وحبي له تجاوز نفسي وهذا ما يخيفني

(عوراء): لماذا؟
(أنهار): أن تحب غيرك هو أن تصحي له بكل ما تملك.. روحك
وراحتلك.. شعورك ومشاعرك.. وأنا عاهدت نفسي أني لن أفعل ذلك
أبداً لأي أحد.. لكن.. مع (دوسِر) أنا مستعدة للقيام بذلك دون تردد
صوت شيء يسقط من خلفهما..

جلست الاثنين ووجهتا أنظارهما للمكان الذي صدر منه الصوت
لتريا (دوسِر) وقد وقع من فوق النخلة على قفاه..

(عوراء) باسمة: وأنا أحبه أيضاً ومستعدة للتضحية من أجله
(أنهار) خلال مراقبة (دوسِر) وهو ينهض وينفض التراب عن ملابسه:
مع الحب تأتي الغيرة يا صبية وهي شعور مدمراً حذري منه..

(عوراء) موجهة نظرها لجسد (أنهار) المطبب ثم لوجهها المصاب

بعض الخدوش: ما الذي حدث لك يا حالة؟

(أنهار) ماسحة على وجنتها بأناملها مبتسمة: حصلت على ندب جديدة

لا أكثر..

(عوراء): وندبك القديمة.. ما سببها؟

(أنهار): خالي.. هي من تسببت بنبي.. ما ظهر منها وما بطن

(عوراء): هل تكرهينها؟

(أنهار): أكره ما كانت عليه.. امرأة بلا قلب.. بلا رحمة.. منحتني أسوأ

ذكريات حياتي

(عوراء): وتلك الذكريات لا تزال تطاردك؟..

(أنهار): نعم.. في يقظتي ومنامي.. عندما تنوی دفن الذكريات

المؤلمة ثبت من أن الحفرة عميقه.. أنا لم أستطع القيام بذلك.. خالي

(أفسار) هي كابوسي الذي لا أستطيع الاستيقاظ منه لكنها أعطتني

نصيحة في وقتٍ من الأوقات تمكنت من خلاها من البقاء والصمود

أمام عواصف الحياة التي تعصف بي دوماً

(عوراء): وما تلك النصيحة؟

(أنهار): بعد ما قدمتني أول مرة لأحد السحرة في «الجبل البارز» مقابل طسمٍ وعدت منه بين الحياة والموت وأفقت فجراً بغرفتي وحدي بكى بشدة وحرقة.. أحسست بالظلم والعجز عن أخذ حقي وعندما دخلت على خالي (أفسار) ورأته بتلك الحالة توقعت منها بعض المواساة خاصة وأنها هي من رمتني تحت أقدامه وتنوي تكرار الشيء نفسه مع ساحر آخر يعيش في «سيبه» لكنها لم تفعل واكتفت بقول: «لا تظهي دموعك لأحد لأنها ستكون سلاحاً تُطعنين به ويستخدم ضدك عاجلاً أم آجلاً..»

(دوسر) منادياً على (عوراء) من عند النخلة التي وقع تحتها: تعالى لنلعب مع الناقة!

(عوراء) ترد بصوت مرتفع عليه: حسناً!.. حل وثاقها وسألحق بك!

(أنهار) مستأنفة حديثها وهي سارحة بحزن: ندي وندبك هي سر بقائنا وستكون يوماً سبباً في عظمتنا فأصحاب الإعاقات عظام دوماً..

(عوراء): وما العظمة في النقص؟.. هل رأيت عظيمًا أعرَّ من قبل؟

(أنهار): هل ترين أن عاهتك هذه نقص؟

(عوراء): نعم.. ولا تحاولي إقناعي بغير ذلك

(أنهار): إذا كان بكِ نقص فهو في عقلك الذي يفكر بتلك الطريقة..

(عوراء) تبتسم وتهم بالنهوض للحاق بـ (دوسر): أعرف هذا سلفاً

يا حالة

استلقت الساحرة الهجينة مرة أخرى وبقيت صامتة تراقب الصبي

والصبية يلعبان مع الناقة..



قافلة أَجِيف

على ظهر الفرس الرمادية دخلت البدوية والهجازية «سوق اللصوص»
أول الصباح وتجولتا فيه بهدوء وأنظارهما تبحث عن المرشد الذي
أخبرتهما عنه الساحرة الهجينة..

(رافدة) ممسكة بلجام الفرس: كيف سنجد هذا المرشد بين هذه
الحشود الكبيرة؟

(كُميٰت) من خلفها: أعتقد أن البحث ونحن على ظهر الفرس غير
مجدي.. يجب أن نرجل عنها كي نستطيع إمعان النظر في ظلال الناس
أكثر

(رافدة): لو تركنا دابتنا فسوف تسرق بلا شك
(كُميٰت) وهي تقفز على الأرض وتمسك باللجام: ستسير معنا..



(رافدة): أنا سأبقى فوقها كي أراقب من فوق

(كميت) معنة بأعينها الثاقبة بين أرجل الناس: حسناً

مضت الدقائق وتحولت لساعات من البحث غير المثمر وانتصفت
الشمس في كبد السماء وأصبحت ظلال الناس محصورةً أسفل أقدامهم
ما زاد من صعوبة إيجاد المرشد فقررت الفتاتان التوقف وأخذ قسطٍ
من الراحة عند أحد الباعة الذي كان يبيع اللبن وتناول بعضه ريشاً
ينزل قرص الشمس مرة أخرى ويمتد معه ظل الناس مجدداً ل تستأنفاً
البحث.

(رافدة) تشرب من إناء فخاري صغير ونظرها على المارة بالسوق: إذا
لم نجده اليوم فستغضب منا الفارسية..

(كميت) تند للبائع بعض المال المتبقى عندها من تسوقها الأخير:
سنجد.. ولا أظنها ستغضب فهي تعرف أننا نبذل ما في وسعنا

(رافدة) معيدة الإناء للبائع ماسحة فمها بظهر يدها: لقد حملتنا
مسؤولية عدم إيجاد القناع الذهبي وسوف يتكرر الأمر الآن مع
المرشد.. أشعر بأنها جلبتنا معها فقط لتعلق علينا فشلها المتكرر



(كُميٰت): كنت أظن أن سخطك عليها بدأ يهدأ
(رافدة): هذا ليس سخطاً بل شفقة على حالها.. المرأة غير مستقرة في عقلها وقد تقلب علينا في أي لحظة
(كُميٰت): حديثك مكرر وليس وقته الآن
(رافدة) سارحة في الفرس الرمادية: اشتقت لجوادي (لشيم)..
(كُميٰت): أنا متعجبة من أن (زبجد) لم يعد إلينا حتى الآن
(رافدة): ربما لو كان معنا لساعدنا في إيجاد هذا المرشد بحكم أنها كليةٰ من الجن
(كُميٰت) تبحث بنظرها بين أرجل المارة: سأجده أنا.. سأجده
(رافدة): من أين تأتين بكل هذه الثقة؟
(كُميٰت) محدثة نفسها خلال بحثها: أين يمكن لجني متشكل أن يذهب في سوق كهذا.. ولماذا؟
(رافدة) بتهمكم: ربما يأتي للتسوق
(كُميٰت) وكأن فكرة قد باعثتها: نعم صحيح.. لم لا؟
(رافدة): أنا لا أتكلم بجدية.. ما الذي يمكن للجن أن يشتروه من هنا؟

(كُميٰت): شيءٌ هم بحاجةٍ إليه ولا يستطيعون إيجاده بكميات كبيرة

إلا في أسواقنا وخاصة سوقاً مثل «سوق اللصوص»

(رافدة) مجارية لحديث الحجازية دون حماس: نعم.. وما هو هذا

الشيء؟

(كُميٰت): فكري قليلاً بما قالته (أنهار) عن المدينة المفقودة.. ألم تقل بأن

الجن فيها محبوسون ولا يستطيعون الخروج؟

(رافدة): بل لكن ما علاقة ذلك بإيجاد المرشد؟

(كُميٰت): هل تذكرين عندما كانت العمة تقدم ما يتبقى من طعامنا لـ

(زبجد) وتحديداً العظام؟

(رافدة): ماذا تريدين أن تقولي؟

(كُميٰت): إن من نبحث عنه ليس مجرد مرشد.. بل هو المسؤول عن

تزويد المدينة المفقودة بالمؤن فهم لا يستطيعون الخروج منها للحصول

على الطعام ولا بد لأحد من الخارج أن يجلبه لهم كي يبقوا أحياء

(رافدة): حسناً.. لو كنت سأجاريك بهذا التفكير الغريب فمعنى ذلك

أن هذا المرشد يريد شراء العظام لكن لا أحد يبيع العظام لأننا لا نأكلها

(كُميٰت): أنتِ مخطئة يا أختي العزيزة.. هناك من يبيعون جثث الدواب على تجار الجلود وتلك الجثث تحتوي على العظام وهذه التجارة ممنوعة في الأسواق الكبيرة والمعروفة لأنهم لا يسمحون بدخول الجيف المحملة بالأمراض إلى داخل المدن المكتظة بالسكان لكن في سوقٍ كهذا لا بد وأنها تجارة رائجة

(رافدة) واهتمامها يزداد بكلام الحجازية: هل تظنين حقاً أن..
(كُميٰت) مقاطعة: بل أنا متيقنة من أن المرشد يأتي هنا لشراء جثث الدواب.. إذا وجدنا تجار الجثث النافقة فسنجد المرشد
(رافدة) بحماس: ماذا ننتظر إذًا؟!.. هيا لنذهب في الحال!

(كُميٰت) ملتفتة على بائع اللبن: أين نجد تجار الجثث النافقة في السوق؟
(بائع اللبن) رافعاً سبابته للأمام: في أقصى السوق.. فهم لا يعرضون بضائعهم إلا هناك بعيداً لأن الناس يشمئزون من منظر الجيف
ورأيتها

تبادلَتْ الأختان النظارات لثوانٍ ثم جرتا نحو الفرس وقفزتا فوق ظهرها وانطلقتا لـ «سوق الجيف»..



(رافدة) خلال انطلاقها فوق الفرس: كيف فكرت بهذه الفكرة
وطرأت على بالك؟

(كميت) وتركيزها منصب أمامها: بعض الأفكار الجميلة تولد في
ظروف مؤلمة وقبيحة..

خلال وقت قصير وصلت الاشتنان لأقصى حدود السوق الشهالية
حيث انتشرت أكواخ الأجياف للدوااب النافقة والمعروضة للبيع.
كانت تلك الجثث مكونة على شكل هضابٍ صغيرة من مختلف
الحيوانات وأكثرها كان من الخيول والجمال وبعض الباعة عرضوا
بضائع مختلفة مثل جثث الذئاب والكلاب والثعال الصغيرة. تجولت
الأختان في ذلك السوق الجانبي ولاحظتا أنه لم يكن مكتظاً فالعرض
كان أكثر من الطلب ومعظم الزبائن اشتروا البضائع بالجملة وحملوها
على قواقل متأهبة للرحيل وخلال تجوالهما انتبهتا لرجلٍ يقف أمام أحد
باعة الخيول النافقة يمد له صرة بدا أنها تضم كمية ضخمة من المال
ومن خلفه مجموعة كبيرة من النياق المحمولة بأكياس كبيرة مليئة لقمتها
بالعظام فقط.

(كميت) هامسة في أذن اختها: هل تظنين أنه المرشد؟

(كُميٰت) موجّهة نظرها لأقدام الرجل: لا فهو يملك ظلاً
(رافدة): لا أرى أحداً غيره يشتري العظام في السوق بتلك الكمية
(كُميٰت): لنبحث أكثر فنحن لم نغطِ السوق بأكمله
استمرت الاشتنان بالبحث ولم تجدا شيئاً أثراً انتباههما عدا ذلك الرجل
الذي رأته سابقاً يشتري تلك الكمية الكبيرة من العظام فقالت
(رافدة): ما العمل الآن؟
صمتت الحجازية وهي تشعر بقليل من الخيبة لكنها لم تيأس وشدت
لجام الفرس وعادت أدراجها للمكان الذي شاهدتا فيه ذلك الرجل
أول مرة وعند وصولهما لم تجداه. ترجلت (كُميٰت) عن دابتها وسارت
نحو البائع وسألته: «هل أجد عندك عظام خيول؟»
(بائع) ضاحكاً: ما حكاية العظام اليوم؟.. نحن بالعادة نبيع الجلود
فقط ونرمي بالعظم.. ما سر الاهتمام بها الآن؟.. هل هناك سر لا
أعرفه؟

بالطبع الحجازية تعمدت أن تسأله هذا السؤال لتسدرجه بالحديث
عن الصفقة الكبيرة التي أتمها للتو وقد نجحت في ذلك وقالت: «نعم

صحيح.. الطلب على العظام ازداد مؤخراً لأنها مناسبة جدّاً لصناعة
السهام الخفيفة والقوية»

(البائع) موجهاً نظره لقوسها وسهامها خلف ظهرها: هل أنت هنا
لشراء العظام للتسلح؟

(كُميٰت) متوقعةً هذا السؤال: نعم.. هل بقي عندك بضاعة يمكن أن
أشترى بها؟.. سوف أدفع ما تريده

(البائع) مشيراً بكتفه خلفه: كما ترين.. لم يتبقّ عندي سوى جيف
الكلاب والجمال.. لقد اشتري رجل قبل قليل كل بضاعتي من جثث
الخيول ورحل

(كُميٰت): أي وجهة سلك؟

(البائع) مبتسمًا بخبيث: هل تنوين سرقة حمولته؟

(كُميٰت) تقدّم ما تبقى معها من مال للناجر: هل يهمك ما يحدث له؟

(البائع) وهو يأخذ المال باسمه: بالطبع لا.. لقد توجه بقافلته غرباً

(كُميٰت) وهي تهم بالعودة للفرس: شكرًا

(البائع) ضاحكاً: لو رغبت في بيع غنيمتك فسوف أشتريها منك
بنصف القيمة!



قفزت الحجازية على الفرس وضربت خاصرتها بکواحلها وانطلقت
مسرعة باتجاه الغرب ..

(رافدة) تختضن ظهر أختها كي لا تقع من سرعة اندفاع الفرس
وتقول: إلى أين؟!

(كُميٰت) ونظرها منصب للأفق: لدى حدس ..

(رافدة): حدس؟.. حدس ماذا؟

(كُميٰت): بأن المرشد لم يدخل السوق من الأساس وقام بإرسال من
ينوب عنه لشراء الجيف وهو نفسه الرجل الذي رأيناه عند البائع
(رافدة): ولم يقوم بذلك؟

(كُميٰت): جني مهم كهذا يعلم بأن الكثير يبحثون عنه وهذا أقل ما
يمكن أن يقوم به حماية هويته

(رافدة) مسندة ذقنها على كتف أختها ونظرها للأمام: أتمنى أن تكوني
محقة ..

لم تمضِ دقائق من العدو السريع وسط الصحراء المفتوحة على ظهر
الفرس الرمادي حتى ظهرت في الأفق قافلة الجثث وشاهدت الأخنان



الرجل الذي رأته سابقاً يقف مع شخص آخر يتحدثان.

(رافدة) بتفاؤل: هل تظنين أنه المرشد؟

(كميت): سنعرف الآن.. كوني هادئة ولا تشيري جز عه كي لا يهرب
منا

(رافدة): حسناً

رفع الرجالان رؤوسهما ووجهها أنظارهما نحو الفتاتين اللتين وصلتا
عندهما وكان من الواضح أنها امتعضا من حضورهما بسبب معالم
التجمهم التي تجلت على وجوههما لكن الحجازية تداركت الموقف
وقالت على عجالة مخاطبة صاحب القافلة وعينها موجهة لأقدام
الرجل الآخر: نحن رسلا!

(صاحب القافلة) بعبوس: رسلا؟!.. أنتما قاطعتا طريق!

تيقنت (كميت) من أن الرجل الآخر هو المرشد عندما لم تر له ظلاً لكن
الخوف دب في قلبها من أن يختفي في أي لحظة خاصة وأنه كان مستوى
جدّاً عند رؤيتها مع (رافدة) فقالت وهي ترمي بقوسها وسهامها على
الأرض رافعة كفيها: لا لا.. نحن لسنا لصتين.. نحن هنا لإيصال
رسالة فقط



(رافدة) وهي ترمي بسيفها على الأرض أيضاً وتقول: نعم صحيح

(صاحب القافلة) بنبرة مشككة: رسالة مِنَّ وما فحواها؟

(كميت) متوجلة عن الفرس وكفافها للأعلى: من باائع الجيف في السوق

(المرشد) لصاحب القافلة: ما الأمر؟.. ما الذي يحدث؟

(صاحب القافلة) دون أن يلتفت إليه: يمكنك الرحيل.. اتركني أنا

مع هاتين الغريتين وسوف أتفاهم معهما

أدار المرشد ظهره وأمسك بلجام الناقة القائدة لقافلة الجثث وبدأ

بالسير مبتعداً عن المكان وعندها استغلت الحجازية الفرصة وأخرجت

الحجر الأسود من جيبها ورمته تجاهه لكن صاحب القافلة اعترض

مسار الحجر وأمسكه بقبضته قائلاً بتجهم: «ماذا تحاولين فعله؟!»

فجعت (كميت) من ضياع الفرصة الوحيدة لأسر المرشد وشلت

حركتها ووقفت مصدومة وعاجزة عن التفكير وخلال ذلك خرجت

(رافدة) من خلفها جرياً بعد ما التققطت سيفها من على الأرض

وقطعت يد صاحب القافلة الذي أطلق صرخة مدوية لفتت انتباه

المرشد فاستدار بنظره للخلف ليرى الحجر يضربه على صدره بعد ما

التققطته (رافدة) من الأرض وألقته نحوه.



راقبت الفتاتان بتوjis المرشد الذي وضع كفه على صدره دون أن يتحرك أو يقول كلمة واحدة بينما كان صاحب القافلة يصرخ ألمًا من إصابته ويتوعّد بالانتقام. أنزلت البدوية نصل سيفها على صاحب القافلة من نهاية حياته في الحال ليعلم الهدوء المكان ونظرات الترقب بين الثلاثة تتسيد الموقف. أنزل المرشد كفه من على صدره ببطء ثم قال بهدوء: «الرسالة وصلت.. أنتظر أوامرِي..»

ابتسمت الفتاتان فرحاً لما حدقتا وقررتا العودة في الحال بعد ما نجحتا في أسر مرشد «المدينة المفقودة»..

مع حلول الليل وبينما كانت (أنهار) تجلس مع الصغيرين تتسامر معهما عند نارٍ صغيرة أشعّلتها لهما الإحساس بها بالبرد الشديد. وصلت الفتاتان على ظهر الفرس الرمادي وما أن رأتاه حتى تبسمتا لها فعلمت بأنهما قد أتمتا المهمة. وقفـت الساحرة الهجينة بتشاقـل بسبب جروحـها التي لم تبرأ بالكامل وقالـت: أين هو؟

أشارـت (رافـدة) بصـمت خـلفـها لـترـى (أنـهـارـ) رـجـلاً يـلبـس عـباءـة خـضرـاء وـعـمة سـوـداء كـثـيف اللـحـيـة وـالـشـارـب يـنـظـر إـلـيـها بـوجـهـ مـكـتبـ فـتبـسمـت قـائلـة: «مرـحـباً بـكـ أـيـها المـرـشدـ..»



ترجلت الفتاتان عن الدابة بسرعة عندما رأى أن (عوراء) قد استيقظت واستعادت عافيتها وعانتها في عنق مشترك وقبلتها بقبلة متكررة وهي تقول ضاحكة: ما بكم تقبلانني هكذا؟!

(رافدة) وهي تشد شعر الصبية الأحمر: اشتقتنا لك يا حمقاء!

(كُميٰت): لا تغيبيني هكذا مرة أخرى!

(عوراء): أنا لم أغب.. عن ماذا تتحدثان؟

(أنهار) بعد ما سارت نحو المرشد ووقفت أمامه وقالت بصرامة:

خذني لـ «تاج الملوك» أيها الجندي..

(المرشد) عابساً: أنا لا آخذ أو أمرني منك

(أنهار) ملتفة على (كُميٰت): وجهي له الأمر في الحال بأن يأخذنا للمدينة المفقودة!

(كُميٰت): لست أنا من رماه بالحجر.. البدوية هي من أصابته

(أنهار) بخلطٍ من الحماس والعصبية: لا يهم!.. المهم أن نرحل في الحال لأحصل على سيف السماء!

(رافدة): ألا تريدين الانتظار حتى تتعافي بالكامل؟



(أنهار) معيادة نظرها لوجه المرشد العابس: لن أهنا بنومِ أو راحة بعد ما أصبحت قريبة من هدفي.. أعدوا العدة وجهزوا الدواب.. ستتحرك الآن..

بدأ الجميع بالتجهز للتحرك وبينما كانوا يقومون بذلك دنت (رافدة) من (دوسر) الذي كان جالساً على ركبتيه أمام النار مغمضاً عينيه ضاماً كفيه بعضها البعض فقالت له باستنكار: ماذا تفعل؟

(دوسر): أطلب البركة

(رافدة): من؟

(دوسر): من النار.. فالنار فيها خير وبركة كما تقول خالي

(رافدة): لن تقول ذلك عندما تمسك في جسدك

(دوسر): خير النار أبدي ولا ينقطع

(رافدة): هل هذا ما علمته لك تلك الفارسية؟

(دوسر): نعم..

(رافدة) تركل حفنة من الرمال بقدمها مخمدة النار: لا شيء أبدي يا عزيزي.. لا شيء.. انهض الآن وانس هذه الترهات



لم ينهض الصبي في الحال وبقي يراقب رماد النار بصمت..

(رافدة) تسير عائدة للمرشد وتقول له: كم سنشتغرق من الوقت
للوصول للمدينة المفقودة؟

(المرشد): مسيرة خمس ليالٍ..

(كُميٰ): هذه مسافة طويلة

(أنهار) مبتسمة بخبيث: أسائليه كم ستكون المدة لو نقلنا هو إلى هناك؟

(رافدة) لـ (المرشد): أجب على السؤال

(المرشد): ارتداد طرف عين..

(رافدة): ماذا تنتظر إذًا؟.. هيا خذنا إلى هناك



تاج الملوك

تحت ضوء عدد لا متناهٍ من النجوم يتوسطها قمر حديث الولادة..
مدينة كبيرة مبنية من الحجارة ذات أسوارٍ عالية وباباً حديدياً
ضخمة مشرعة..

لا أثر لحراسة من أي نوع ولا سكان قاطنين..
صامتة كالموت إذا أقبل..
ومخيفة كالفرح إذا أدبر..

الساحرة الهجينة تتقدم بخطواتٍ حذرة نحو البوابة الحديدية المفتوحة
بعد وصولها مع مجموعتها وبوجه مبتهج ونظارات تشتعل حماساً تقول:
.. «تاج الملوك».. وأخيراً وبعد كل تلك المدة أصل عند مشارفها..



(كُميٰت): هل سندخل جمِيعاً؟

(أنهار) وهي سارحة في مدخل المدينة: لا.. أنا سأدخل وحدي فقط

(دوسر): أريد الذهاب معك يا حالة

(عوراء): وأنا أيضاً

(رافدة) لـ (عوراء): وما دخلك أنت؟.. ابقي مكانك هنا

(أنهار) ملتفته إليهم: لا هو ولا هي.. أنا وحدي فقط..

(كُميٰت): وكم ستغيبين؟

(أنهار) معيدة نظرها لسور المدينة الحجري: لو سارت الأمور كما يجب

فلن أغيب أكثر من ساعة من الزمان

(رافدة) بتهكم: ومنذ متى تسير الأمور كما يجب؟.. سنهلك حتى

الصباح

(أنهار) تبدأ بالسير نحو البوابة المفتوحة: سأعود قبلها

(رافدة) منادية على الساحرة الاهجينة: ماذا عن المرشد؟!.. ألا تحتاجينه

بشيء؟!



توقفت (أنهار) عن السير وبعد تفكير قليلٍ استدارت وقالت: بلى..
نسيت أن أسأله عن الطريقة للدخول بأمان

(رافدة) لـ (المرشد): أخبرها بالطريقة
(المرشد): أن لا تدخل وهي تحمل سلاحاً من أي نوع ولن يتعرض لها أحد

(رافدة): وكيف تخرج؟
(أنهار): لا أحتاج هذه المعلومة.. لدي خطة

(رافدة): حسناً كما تشاءين
(أنهار) لـ (رافدة): وتدكري أمراً مهماً.. لا تحرريه قبل أن أعود.. سوف يطلب منك تحريره مراراً وتكراراً.. لا تفعلي ذلك أبداً و تستجيببي له تحت أي ظرفٍ من الظروف.. هل تفهميتنى؟

(رافدة): لم أكن أنوي ذلك لكن لماذا؟
(أنهار): لأن الغرض منه لم ينتهِ بعد..

أكملت الساحرة الهجينة طريقها وتجاوزت بوابة المدينة..

(المرشد) لـ (رافدة): حررني..



(رافدة) ضاحكة: كانت الفارسية محققة!

(المرشد): حررني يا سيدتي.. لقد أنهيت مهمتي وقد تكم لـ «تاج الملوك»

(رافدة) تسير مبتعدة عنه: اخرس الآن فلست بمزاج يسمح لي بالحديث معك

لحق المرشد بالبلدية وبقي يكرر عليها طلبه بتضرع وإلحاح وهي تنهره وتصرخ بوجهه للابتعاد عنها..

ابتسمت الحجازية من ذلك المنظر ثم جلست على الأرض وخلعت جراب سهامها ووضعته مع قوسها أمامها وبدأت تتأمل سور المدينة بصمت. خلال تأملها لاحت أرنباً يجري في الأفق أمامها فقالت محدثة نفسها: طريدة ثمينة في هذا الوقت!

شدت في الحال سهماً على قوسها ورمي الأرنب لتصيبه في خاصلته وترديه قتيلاً..

(دوسن) يقفز فرحاً من خلفها: إصابة رائعة!

(عوراء) تجري تجاه الأرنب: سأحضره لنطبوخه!



(دوسن) وهو يجلس بجانب (كُميٰت) مراقباً الصبية وهي تجري: أريد

أن أتعلم الرماية مثلكِ

(كُميٰت) باسمة: وما حاجتك لذلك؟

(دوسن): أريد أن أكون قوياً لأدافع عن الحالة (أنمار)

(كُميٰت): خالتك تستطيع الدفاع عن نفسها فلا تقلق

(دوسن): لكنني أحتج التعلم للدفاع عن نفسي أيضاً فهي قد لا تدوم

لي

(كُميٰت): حديثك يسبق سنك أيها الصغير.. ثم إن حاجتك لشيء ما

ليست سبباً كافياً لأحقيتك به..

(دوسن): وكيف أكون مستحقاً لأن أتعلم مهارة الرمي مثلكِ؟

(كُميٰت): سؤال جيد أيها الصغير لا أملك الإجابة عليه

(دوسن): لا يهم! سأراقبك حتى أتعلم منك!

(كُميٰت): مراقبة الطيور لن تجعلك طائراً.

(دوسن): باحباط: لكنني أريد تعلم الرماية



(كُميٰت): ألا يكفيك الخنجر الصغير الذي اشتريته لك خالتك من
«سوق اللصوص»؟

(دوسٌر) مخرجاً للخنجر من جيب صدره معناً النظر فيه بإحباطٍ: هذا
الخنجر لا يمكنه أن يؤذي بعوضة

(كُميٰت) تأخذ الخنجر من يده وتقول باسمه: ماذا لو جعلت هذا
الخنجر أكثر خطورة؟.. هل ستشعر بالاطمئنان أكثر؟

(دوسٌر) بسعادة كبيرة: نعم!.. لكن كيف؟!

(عوراء) وهي ترمي بالأرنب بينهما مقاطعة حديثها: هيا لنشعل ناراً!
(كُميٰت): إشعال النيران هو اختصاص أختك (رافدة).. اطلبني منها
ذلك

(عوراء) موجهة نظرها للبلدية التي لا تزال تتشاجر مع المرشد: إنها
مشغولة بالصراخ على ذلك الرجل
(كُميٰت) وهي تنھض: هيا إذا..
(دوسٌر): إلى أين؟

(كُميٰت): سنجعل خنجرك الصغير أكثر قوة



(عوراء): مَاذَا عَنِ الْأَرْنَبِ؟ .. أَنَا جَائِعَةٌ!

(كُميٰت) تنزع السهم من بطن الأرنب وتبداً بالسير: لا تقلقي سنعمود في الحال وسأشعل أنا النار لتطبخيه بنفسك لكن اتبعاني أولًا

تبع الصبي الصغير و(عوراء) الحجازية التي توقفت بعد سير قصير عند مجموعة من الجحور المحفورة في هضبة صغيرة نبتت فوقها عشبة برية شائكة. أشارت (كُميٰت) للجحور وقالت لـ (دوسن): هل ترى تلك المنازل؟

(دوسن): نعم.. ما بها؟

(كُميٰت) وهي تفك لثامها وتطويه على يدها وساعدها: هناك يبيت من سيهديك القوة لخنجرك

(دوسن): لم أفهم

(عوراء): ولا أنا ..

نزلت الحجازية عند أحد الجحور ومدت يدها الملفوفة بلثامها داخله وبعد بحث قصير أطبقت على شيء ما وقالت: أمسكته!

جرى الصغيران ووقفا خلفها قائلين بصوتٍ واحد: بماذا أمسكتِ؟!

أخرجت الحجازية ذراعها من الجحر وهي مسكة بأفعى صفراء
مقرونة طويلة لفت جسدها على ساعدها بينما قبضت بقوة على رأسها
وقالت باسمة: هذه!

صرخ الصغيران جزاً عند مشاهدة الأفعى وسماع فحیحها المخيف..
(كُميٰت) تمد يدها الأخرى تجاه (دوسر) قائلة: ناولني خنجرك
(دوسر) يمد الخنجر الصغير قائلاً بتوتر: هل ستقتلينها؟

أخذت الحجازية الخنجر وقربت رأسه من فم الأفعى وهي تضغط
على فكيها بقوة كاشفة عن أنيابها التي سال منها سمها الزعاف وبدأ
يقطر على نصله والصغيران يراقبان باهتمام.

(كُميٰت) تحرك أنياب الأفعى صعوداً ونزولاً على حد الخنجر: خنجرك
الآن أصبح مكتحلاً..

(دوسر): مكتحلاً؟
(كُميٰت) تنفس على الخنجر ثم تمده للصبي: نعم.. طعنة بسيطة منه
الآن ستردي أي شخص قتيلاً خلال ثوانٍ
(عوراء) بحِّراس: ضعي بعضه على سهامك أيضاً!



(كُميٰت) تلوى رأس الأفعى وتفصله عن جسدها: لا حاجة لي بذلك.. فأنا لا أخطئ هدفي أبداً

(دوسر) معناً النظر في الخنجر بين يديه: شكرأ يا أختي
(كُميٰت): خذ حذرك فخنجرك بلا غمد وقد يحرك وتصاب أنت
بالسم

(دوسر) بقلق: ماذا أفعل به إذا؟
(كُميٰت) ضاحكة: أعده لي!

أخذت الحجازية الخنجر وشقت جزءاً من لثامها ولفته به ثم مدتة مرة أخرى للصبي وهي تقول: الآن يمكنك وضعه في جيبك بأمان
خباً الصغير الخنجر في جيب صدره وقال مبتسمًا: أشعر بالأمان منذ
الآن!

(عوراء): هل يمكن أن نعود الآن ونشعل النار لطبخ الأرنب؟!

(كُميٰت) تنھض وتلف لثامها على وجهها: نعم.. هيأ بنا
في تلك الأثناء قطعت (أنهار) مسافة ليست بالقصيرة سيراً على أقدامها
لوسط المدينة المفقودة أوصلتها لمنطقة بدت أنها سوقها والذي لم يجدُ



لها مهجوراً فالدكاكين عمرت بالبضائع المتنوعة ولم يكن أي منها فاسداً والشيء الوحيد الغريب هو خلو المكان من الناس. لم يبق الحال هكذا مطولاً وبدأت (أنهار) تسمع تدريجياً تصاعداً لأصوات مجموعة كبيرة من الناس يتحدثون حولها وكان المكان مكتظ لكنها لم تشاهد أحداً. همت الساحرة الهجينة بالبحث وتركيزها كان منصباً وقتها على إيجاد سيف النساء وبالاعتماد على علمها المحدود في أن «الجلاد» قتل داخل القصر الكبير الذي كان يقطنه والذي رأته بالأفق البعيد عند طرف المدينة الشمالي فتجاهلت الأصوات المحيطة بها وهرولت تجاهه. قبل أن تصل لبوابة القصر تحولت الأصوات وتشكلت دفعة واحدة لأناسٍ يمكنها رؤيتهم وجميعهم كانوا يحدقون فيها بتعابير ساخطة ومتوجهة مما أثار رعبها في البداية لكنها استجمعت شجاعتها وتجاهلتthem وأكملت المسير نحو البوابة الكبيرة خاصة وأن لا أحد منهم وجه إليها كلاماً أو تعرض لها جسدياً.

وقفت الساحرة الهجينة أمام بوابة القصر الحجري الضخم تفكّر بطريقة ما لتجاوزها لكن حدث ما لم يكن متوقعاً وهو أن البوابة الحديدية فتحت لها وكأنها ترحب بقدومها. بخطواتٍ واثقة تقدمت



(أنهار) ودخلت باحة القصر ومع تقدمها وصلت للمدخل الرئيس الذي قادها لقاعة كبيرة مظلمة اتضحت معالمها بعد ما اشتعلت النيران في جوانبها كاشفة عن أعمدة رخامية ضخمة امتدت بطول القاعة وارتکز على أحدها سيف براق تلاؤاً بشعاعٍ متوجّح كلون النساء. سحرت الساحرة الهجينة بجمال ذلك السيف وسارت نحوه بوجهٍ سارحٍ وفي مفتوح حتى استقرت أمامه ورفعت يدها في نية للإمساك بمقبضه ونزعه من العمود الرخامي لكن صوتاً حدثها من الخلف قائلاً بنبرة هادئة: «سيف جميل.. أليس كذلك؟»

التفت الساحرة الهجينة بسرعة لمصدر الصوت لترى رجلاً عجوزاً يبتسم لها..

(أنهار) بخلط من الخوف والريبة: من أنت؟

(العجوز): أنا من يجب أن يسأل هذا السؤال وليس أنت

(أنهار) بثقة: أنا (أنهار) وقد أتيت للحصول على «(سيف النساء)».. السيف الذي قتل (الجلاد).. سيكون من نصيبي ولن تمنعني

(العجوز) مبتسمًا: ومن قال بأني سأمنعك؟.. تفضلي.. خذِي السيف..



همت الساحرة الهجينة بأخذ السيف لكنها توقفت عندما حدثها العجوز مرة أخرى قائلاً: لم تخبريني.. أين الثمن؟

(أنهار) دون أن تلتفت إليه: ثمن ماذا؟.. السيف؟

(العجز): لا.. السيف ليس ملكي كي آخذ مقابلًا عنه
(أنهار) مديرة نظرها نحو العجوز: عن ماذا تتحدث إذا؟

(العجز): ثمن خروجك من هنا.. أقصد المدينة..

(أنهار): سوف أخرج كما دخلت.. البشر لا يحبسون مثلكم.. أنت من الجن أليس كذلك؟

(العجز): المدينة لا تستطيع منعك من الخروج.. لكن نحن نستطيع وسنفعل

(أنهار): إلا إذا قدمت الثمن

(العجز) يغمض عينيه حانياً رأسه: تماماً

(أنهار): وما هو الثمن الذي تريدونه؟

(العجز): نحن لا نحتاج لشيء.. وهنا تكمن معضلتكم



(أنهار): هل خرج أحد من قبل من هذه المدينة.. أقصد من البشر؟

(العجوز) متفكراً: آخر زائر بشري دخل وخرج من المدينة كان ساحرة.. ساحرة في متتصف العشرين من عمرها.. كانت هاربة من مجموعة يلاحقونها وقد قتلناهم جميعاً وسمحنا لها بالخروج

(أنهار): لم هي بالذات؟.. لم لم تقتلوها معهم؟

(العجوز): لأنها قدمت لنا معروفاً كبيراً دون أن تعلم وقد اعتبرناه ثمن خروجها سالمة من هنا

(أنهار): هل يمكن أن تخبرني بهذا المعروف لعلي أستطيع تقديم شيء مماثل له

وضع العجوز كفيه خلف ظهره وبدأ يتتجول في القاعة واستأنف حديثه قائلاً: هذه المدينة كانت وما زالت مطمعاً للكثير من الناس.. بحث عنها ملوك وشيوخ قبائل رغبة منهم في غزوها ونهب كنوزها المدفونة والتي من ضمنها هذا السيف الذي أتيت من أجله لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل لأن الطريق المؤدي إليها لا يمكن سلكه دون دليل ومن وقتٍ لآخر يتغادر بعض المسافرين بالطريق الصحيح



مصادفة ويكتشفون المكان ويلقى من يدخلها حتفه في الحال إذا كان
لا يعرف القانون

(أنهار): تقصد الدخول بدون سلاح..

(العجوز): نعم.. يبدو أنك ملمة بالكثير

(أنهار): لم آتِ هنا لأهلك أو أحبس وأنا مستعدة لكل شيء

(العجوز) مكملاً كلامه: الساحرة لم تكن تعرف قوانيننا ولم تسمع
بمدینتنا من الأساس لكن الأقدار شاءت أن لا تدخل علينا إلا وهي
محصنة حاملة معروفة لها على أكتافها.. شيخ «قبائل حمير» كان من المهتمين
بإيجاد المدينة وسرقة ثرواتها لدعم غزواته على «اليهامة» وبالفعل تمكّن
من إيجاد الطريق المؤدي إليها وكنا على علم بذلك وعلى علم أيضاً
بأنه سيدخلها بجيش غير مسلح ليمنعنا من التصدي له لكن الساحرة
الشابة غدرت به وقتلته وخلصتنا منه قبلها وحسن حظها أنها وخلال
هروبها من ديار «قبيلة حمير» بعد قتل شيخها وملاحقة فرسانها لها
أدت إلينا وقمنا نحن بتخلصها من كانوا يطاردونها وتركتها ترحل
سلام.



(أنهار) وهي تنزع سيف السماء من العمود الرخامي: وأنا سأرحل
سلام مثلها..

(العجز) موجهاً نظره نحوها: لا أظن ذلك.. الموت هو قدرك ولا
فرار منه

(أنهار) والسيف يتوجه بيدها: لو قتلتني فسوف تحكم على قاطني
مدينتك بالهلاك

(العجز) ببرود: وكيف ذلك؟.. أفصحي
(أنهار): مرشدكم أسير عندي.. هل تذكرة؟.. المرشد المسؤول عن
جلب الطعام لكم على مدار العام.. بدونه ستموتون من الجوع..
لقد استوليت على قافلة العظام التي كانتقادمة إليكم وهو الآن مع
أتبعي خارج المدينة ولو لم أخرج لهم قبل الصباح فسوف يقتلونه

ظهرت معالم التوتر على العجوز ثم قال بهدوء مصطنع: أنت كاذبة..

(أنهار): أنت تعلم بأنني أقول الحقيقة.. وإلا فكيف وجدت مدينتكم؟..
تنحَّ عن طريقي الآن ورافقني لخروج المدينة كي أحرر المرشد وتعود
الأمور كما سبق..



صمت العجوز مهدقاً بالساحرة الهجينة الواثقة من كلامها ومعالم
القلق تجلت على وجهه ولم يخاطر بتكذيبها وقرر موافقتها على طلبها
وبالفعل سار الاثنان حتى وصلا لبوابة المدينة وقبل أن تخرج (أنمار)
قال لها: «أوفي بوعدك وحرري المرشد..»

(أنمار) بنبرة متهكمة وهي تسير خروجاً من المدينة: سأفكر بالأمر..
خرجت الساحرة الهجينة لترى الجميع مجتمعين حول نارٍ متقددة
يتناولون الأربن الذي اصطادته الحجازية والمرشد يقف فوق رأس
(رافدة) يتحدث معها وهي متزعجة منه. أول من انتبه لعوده (أنمار)
كان (دوسن) الذي نهض من مكانه وجرى نحوها محتضناً ساقها قائلاً
ببهجة عارمة: لقد افتقدتك!

انتبه البقية لها بعد نهوض الصبي الصغير ووقفوا جميعاً يراقبون بانبهار
السيف المشع بيدها فقالت بنبرة فخر ورضا رافعة السييف للأعلى: لقد
حصلت عليه!

(المرشد) لـ (رافدة): هل يمكن أن تحرريني الآن؟
(رافدة) لـ (أنمار): أرجوك اسمحي لي بتحرير هذا المزعج!

(أنمار): لم يعد لنا حاجة به.. حرريه

(رافدة) تصرخ في أذن المرشد: اذهب أنت حر!

اختفى المرشد بلمح البصر دون أن يقول شيئاً..

(رافدة) وهي تزفر: كان كالكابوس!

سارت الهجينة حتى وصلت عند النار التي اجتمعوا عندها وقالت:

هيا لنرحل نحن أيضاً.. لا أريد البقاء هنا أكثر

(كميٍّ): نحن مستعدون للرحيل والدواب جاهزة لكن إلى أين؟

قبل أن تجيب (أنمار) على سؤال الحجازية اهتز السيف المشع بقوة

بيدها وتفلت من قبضتها وبدأ يدور بشكل سريع فوق رأسها والجميع

يراقبون ما يحدث بذهول.

(دوسن) بخوف وعيته للأعلى تراقبان السيف الذي شكل حلقة

ضوئية فوقه وفوق خالته من سرعة دورانه: ما الأمر يا حالة؟!

(أنمار) تشاركه القلق محتضنة رأسه لخاستها: لا أعرف يا عزيزي!

(رافدة) رافعة كفها على جبينها للاحتفاء من الضوء القوي الذي انتشر

حولهم: ابتعدوا!

(كُميٰت) وعيناها تشعاٰن مع وميض السيف المتحرٰك: لا وقت لذلك
الآن

(عوراء) بفم مفتوح وأعين متّسعة: بريقه أخاذ..

توقف السيف فجأة وارتفع رأسه تجاه النجوم وبسرعة البرق انطلق
صعوداً نحو السماء واختفى بعد ما أحدث لمعة خاطفة في كبدٰها وكأنه
نجمة ومضت..

صرخت (أنمار) عندما رأت ذلك المشهد وبدأت تلطم وجهها بكفيها
وتشد شعرها وتضرب عنقها بقبضاتها وهي تئن وتنوح كالجنونة
ما دفع (عوراء) للجري نحوها وسحب (دوسراً) من تحتها والبقية
يراقبونها تنزل على ركبٰها وتقبض من رمال الأرض وتضرب بها
وجهها حتى أدمنته.

استمر الصراخ والعويل بشكل هستيري ولم يستطع أحد التدخل
لمنعها لأنها ومن الواضح قد أصيّبت بنوبة غير طبيعية من الغضب
والسخط أفقدتها عقلها وقد تؤذى أي شخص يقترب منها لذا قررت
(رافدة) و(كُميٰت)أخذ الصغارين والدوااب بعيداً عنها حتى تهدأ.



بالرغم من ابتعاد الجميع عنها مسافة ليست بالقصيرة وصعوبتهم تلة
رمليّة كانت بالقرب منهم إلا أنهم كانوا لا يزالون يسمعون صوت
نواحها مما دفع (دوسر) لوضع كفيه على أذنيه وإغماض عينيه والبكاء
بهدوء خلال احتضان (عوراء) له وطمأنته.

(رافدة) لـ (كُميٰت) وهم تقفان فوق التلة تراقبان (أنمار) من بعيد: هل
تحققت الآن من أنها مجنونة؟

(كُميٰت): المرأة مجروعة لا أكثر.. لا تقيي عليها هكذا
(رافدة): مجروعة؟.. لا شيء يبرر ما تقوم به الآن سوى العته في
رأسها.. العته الذي قد يصيبنا في أي لحظة ويدمرنا جميعاً
(كُميٰت): لا تقللي من حجم مصيبتها فخسارتها كبيرة.. لقد أمضت
سنواتٍ طويلة للحصول على ذلك السيف وبكل بساطة يضيع كل
شيء أمام ناظرها في لحظات

(رافدة) وهي تستدير عائدة لوسط قمة التلة حيث كان الصغيران
جالسين: وأنا لن أنتظر حتى نضيع نحن معها

(كُميٰت) وهي لا تزال تراقب (أنمار) وهي تلطم وتنوح بصوت



مرتفع: لم يبق سوى وجهة واحدة نراقبها فيها ثم سنفترق عنها للأبد..

مع أول الصباح كان أول المستيقظين (رافدة) التي نهضت ومدت أذرعها للأعلى متشائبة قبل أن تسير لطرف التلة لرؤيه على أي حال كانت (أنهار) لتجدها منكبة بوجهها على الرمال فقالت محدثة نفسها: «يبدو أنها قد ناحت حتى الإنهاك..»

بحثت البدوية بنظرها عن الدواب التي لم تكن مربوطة فوق التلة ولم تر سوى الجواد فامتنعته باسطة نظرها في الأفق من حولها حتى لاحت الناقة تهيم بعيداً فأيقظت (كميت) وأخبرتها بأنها ستذهب لتعيدها.

(كميت) تنهض محتضنة نفسها من البرد: وماذا سنفعل بعدها؟

(رافدة) وهي تنطلق: أيقظي الفارسية لنعرف فمصايرنا لا تزال مربوطة بها

نزلت الحجازية من فوق التلة وسارت نحو (أنهار) المستلقيه على بطنهما وعند وصولها إليها جئت عندها ومدت كفها لتوظفها لكن وقبل أن تهز جسدها قالت بصوتٍ مشبع بالإرهاق والتعب: «أنا مستيقظة..»

(كميت) مبعدة كفها: هل هدأتِ؟

(أنهار) وخدتها لا يزال على الرمال الباردة: أهدأ؟.. أنا لم أهدأ منذ

سنوات.. كل شيء أقوم به يتلهي بالفشل

(كُميٰت): اندمٰي على الأشياء التي لم تقمي بها وليس ما قمت بها..

(أنهار): أحس بغضب عارم يقطع أوصالي

(كُميٰت): أبي كان يقول دوماً بأن العقول غير المتزنة تُفجع بسهولة..

(أنهار): أعرف أنكم تظنونني مجنونة

(كُميٰت): أنا لم أقل ذلك

(أنهار): لم تقوليها في وجهي

(كُميٰت): أنا فقط عبرت لك عنهاأشعر بكل صراحة

(أنهار) تنھض وتجلس على ركبتيها دون أن تنظر لـ (كُميٰت): هناك

خط رفيع بين صراحة الرأي وواقحة التعبير..

صمتت الحجازية ولم ترد واكتفت بالنظر لـ (أنهار) بشفة..

(أنهار) رافعة نظرها للحجازية وبوجهٍ تغطى بعض الرمال وأعين

محمرة وشعر منكوش: ألن تردي عليّ؟.. لقد اتھمتك بالوقاحة؟

(كُميٰت): أنتِ تحاولين افتعال مشكلة معي ولن أعطيك الفرصة

(أنهار): لأنكِ جبانة!

(كُميٰت) وهي تهم بالنهوض: مواجهة العواصف الهاوجاء ليست
بشجاعة..

أمسكت الساحرة الهجينة بمعصم (كُميٰت) وقالت بنبرة نادمة: أنا
آسفة.. لم أقصد ما قلته..

(كُميٰت): أعرف.. وقتها تكونين جاهزة أخبرينا كي نرحل
(أنهار) تاركة يدها منزلة رأسها للأرض: وما الفائدة من الرحيل؟..
سيكون من المستحيل عليّ مواجهة (العطبول) بدون سيف السماء..
طلاسمي وحدّها لا تكفي وأي صدام معها سينتهي بهلاكي بلا
شك.. الرحلة انتهت

(كُميٰت): الحرب ليست قتلاً فقط.. القتال جزء بسيط منها..
(أنهار) موجهة نظرها للحجازية والريح تتلاعب بشعرها: ماذا
تقصدين؟

(كُميٰت) بثقة: ستحصلين على «طلسم الدابة العظيمة» وسنفي نحن



بوعدنا.. ربى نفسك ولا تجعلني (دوسن) يراك بهذه الحالة فقد كان
يبيكي طيلة الليل قلقاً عليك

(أنهار): (دوسن)؟

(كميت): نعم.. (دوسن) الذي يهتم لأمرك أكثر منك.. لا تخذله
وتتخاذلي الآن فهو يراك قوية على الدوام

(أنهار): شكراً يا (كميت).. أمهليني بضع دقائق

(كميت) تسير عائدة للتلة: خذى كل الوقت الذي تريدين

حينما بلغت الحجازية قمة التلة الرملية رأت أن (رافدة) قد عادت
وأيقظت الصغارين وأطعمتها وسقتها من حمولة الناقة التي أعادتها
وعند رؤيتها لأختها قالت: كيف حالها الآن؟

(كميت) مدير نظرها نحو (أنهار) التي بدأت إصلاح شكلها وهندامها
في الأفق بعيد أسفل التلة: كل شيء على ما يرام.. ستتحرك بعد قليل

(رافدة): هل أخبرتك إلى أين؟

(كميت) بأعين منشغلة بالساحرة الهجينة وبنبرة يشوبها القلق: لا يهم
إلى أين المهم أن نخرج سالمين



(رافدة): لم تقولين ذلك؟.. أشعر بأنك تعرفين شيئاً ما وتحاولين إخفاءه على

(كميت) مديرة نظرها نحو أختها: هذه أول مرة أحس بأنها خائفة..

(رافدة): من تقصدين؟.. الفارسية؟

(كميت): نعم.. ثقتها مهزوزة.. حديثها عن تلك (العطبول) غير مريح

(رافدة): ماذا قالت؟

(رافدة): لم تقل كثيراً لكن ما قالته كان كافياً لأن أعرف أننا مقبلون على شيء ليس بالسهل

(رافدة): من حقنا أن نرفض مصاحبتها!.. نحن لسنا ملزمين بالسير في طريق هلاكنا

(كميت): قد تظنين أنها حماقة مني لكنني لا أستطيع تركها وحدها تواجه مثل هذا المصير.. حتى وإن ماتت فلا أستطيع التخلص عن ذلك الفتى.. لا أعرف.. أفكار يمتزاحمة

(رافدة): تعرفين أني سأكون معك أنت وليس معها.. لذلك فكري مليئاً بأي قرار تخدينه



(كُميٰت): أعرٰف يا أختي.. فلنرٰ إلى ماذا ستؤول الأمور

اشتدت الرياح وبدأت الرمال ترتفع والأتربة تعصف شيئاً فشيئاً من
حول الجميع..

(كُميٰت) تشد رباط لثامها: عاصفة رملية سوف تمر من هنا

(رافدة) مغطية فمهما: هذا ما كان ينقصنا

(كُمِيت): لعلها تحمل لنا الخير

(رافدة): أي خير قد نجنيه من الأتربة الخانقة؟.. هل سننافر في هذه الأجواء؟

(كميٰت) وهي تراقب (أنماٰر) تشق طريقةٰ صعوداً نحوهما: أعتقد ذلك.

وصلت الساحرة الهجينة لقمة التلة وكان (دوسر) كعادته في استقباها لكنها لم تمنحه الود المعتمد بل اكتفت بقبلة سريعة على رأسه وأكملت سيرها نحو الفتاتين الواقفتين وسط الريح المصاعدة وقالت: السفر بالدواب لم يعد خياراً.. يجب أن نصل لوجهتنا بسرعة

(رافدة): ستحلقين بنا إذاً كالمعتاد؟



(أنهار): نعم

(كميت): لكننا أنفقنا الكثير عليها وعلى المؤن على ظهورها

(أنهار) تمد أذرعها جانبًا: حيث نحن ذاهبون لنحتاج إليها..

شكل الجميع الدائرة وأغمضوا أعينهم وخلال ثوانٍ وصلوا الوجهتهم
الجديدة والأخيرة..



أميرة العاج

«يمكنكم فتح أعينكم الآن..»

بعد ما فتح الجميع أعينهم رأوا أنهم فوق جبل يطل على مدينة ضخمة
جداً يدخل وينخرج منها أفواج كبيرة من الناس والقوافل..

(رافدة): أين نحن؟.. هل مازلنا في الجزيرة؟

(أنمار) وهي تراقب مدخل المدينة المكتظ: لا.. نحن بعيدون جداً عنها
لكن تلك المدينة تضم جميع الأعراق.. عرب.. عجم.. حتى أهل
الشمال يرجعون بها

(دوسر): لقد أتينا إلى هنا من قبل يا حالة أليس كذلك؟

(أنهار): بلى يا عزيزي.. قطعنا المسافة بالترحال أول مرة كي أستطيع
العودة إليها عندما يحين الوقت

(دوسر) بسعادة: نعم تذكرت!.. هذه المدينة التي اشتريت منها حلوي
العسل!

(عوراء) بتساؤل: حلوى العسل؟

(دوسر): نعم!.. حلوى لذيدة جداً!.. يجب أن تجربها!

(عوراء) وهي تشاركه سعادته: حسناً سأفعل!

(كُميٍّ) تقف بجانب (أنهار) وتشاركها النظر: ذكرتني المدينة بـ
«سوق الحجاز»..

(أنهار): اسمعني يا (كُميٍّ).. اسمعني جمِيعاً.. لو حدث لي أي
مكروه فطريق العودة سيكون جنوباً من هنا.. مسيرة بضع أسابيع
وتصلون لحدود الجزيرة

(رافدة): لن نستطيع العودة بدون دواب هل نسيت ذلك؟

(دوسر) بقلقٍ شديد: ما الذي سيحدث لك يا حالة؟

(كميت) واسعة كفها على رأس الصبي القلق ونظرها لـ (أنمار): لن يحدث شيء.. أعدك بذلك

التفت الساحرة الهجينة نحو الحجازية وبادلتها النظرات الصامتة للحظات ثم قالت دون أن تحيد عنها: «هيا بنا كي لا تتأخر..»

تحرك الجميع ونزلوا من فوق الجبل ومشوا على أقدامهم حتى وصلوا لبوابتها المشرعة والمحروسة بمجموعة من الفرسان والجنود واندجوا مع الأفواج السائرة لوسط المدينة الكبيرة وخلال سيرهم نبهتهم الساحرة الهجينة بأن لا ينظروا للحراس مباشرة ويحاولوا قدر الامكان التقدم ورؤوسهم متزلة لأنهم يراقبون كل المارة وأي شيء يمكن أن يثير شكوكهم سيدفعهم للتحرك والتحقق من الأمر غالباً سيؤدي هذا لمنعهم من دخول المدينة أو أسوأ من ذلك. تجاوزت المجموعة البوابة بسلام وسار الجميع بخطٍّ مستقيم وراء (أنمار) المسكة بيد (دوسر) بشدة خشية أن تفقده بسبب الزحام في مرات تلك المدينة المكتظة بالناس.

(رافدة) بتذمر وهي تسير خلف (عوراء) مسكة بأكtafها لتحميها من التدافع: لمَ هذا الزحام الشديد؟.. هل هناك مناسبة ما؟



(أنهار): هذا يوم اعتيادي في المدينة.. لا تقلقا سنتجاوز هذه الفوضى
بعد قليل

(كميت) وهي تسير أمام (عوراء) وخلف (أنهار): التنوع العرقي هنا
لافت.. أستطيع سماع لغات كثيرة يتحدث بها الناس من حولي
(أنهار) حاملة (دوسرا) على كتفها مكملة سيرها للأمام: حاكم المدينة
يؤمن بالتنوع وهو سر ازدهار مدینته

(رافدة): شعوبنا لا تحب مثل هذا الخلط في الأعراق..

بدأ الزحام يخفي تدريجياً مع تقدمهم لوسط المدينة وبعد مسيرة نصف
ساعة تقريباً وصلت المجموعة لساحة كبيرة أقل ازدحاماً انتشرت فيها
الأشجار المثمرة توسيطتها بركة ماء مصنوعة من الحجارة المصوفة
اجتمعت حولها الدواب والطيور انبعث منها عدد من الأزقة المتفرعة.

أنزلت (أنهار) الصغير من على كتفها وقالت: لقد اقتربنا..

(كميت): اقتربنا من ماذا؟

(أنهار) مشيرة لزقاق على يمينهم: من حي «المدارغir»
(رافدة): ولأي غرض أتينا هنا؟

(أنهار) وهي تتقدم نحو الزقاق: اتبعوني ولا تحدثوا مع أي أحد منها حاول التقرب منكم.. مفهوم؟

(عوراء) لـ (دوسر): متى سنشتري حلوى العسل؟

(دوسر) وهو يسير خلف خالته: لا أعرف.. ربما عندما تنتهي الحالة من عملها

كان الزقاق أشبه بالمر الطويل المغطى بشبكة من الشجيرات في قمته مما جعله مظلماً بعض الشيء وانتشرت على جوانبه أبواب خشبية متقاربة جداً وشبه متلاصقة لا يفصل بينها سوى نوافذ صغيرة أطل من بعضها مجموعة من النساء بمختلف الأعمار والأعراق. بعض تلك الأبواب كان مفتوحاً والبعض الآخر وقف عند عتبته امرأة أو فتاة يراقبن بصمت من يعبر من خلال ذلك الزقاق وعند مروره بجانبهن يبدأ بالسعال.

(رافدة) وهي تحول بنظرها على النساء اللاتي كنّ يسعلن كلما مررّوا بجانبهن: يبدو أن هناك مرضًا ما منتشرًا هنا..

(أنهار) وتركيزها منصب على الوصول لنهاية الزقاق الطويل: لم تقولين ذلك؟



(رافدة): جميع النساء هنا يسعلن..

(أنهار): هؤلاء النساء لسن مريضات.. إنهن «الكِحاح»

(كميت): الماذا؟

(عوراء) وعينها تقع على فتاة ترمقها بنظرة وتتبسم لها: ولم يسعلن إذا لم يكنَّ مريضات يا حالة؟

(أنهار): يفعلن ذلك لاستدراج الزبائن..

(عوراء): لأي غرض؟

(أنهار): لغرضٍ لا يعنيك يا صغيرتي..

(عوراء): وماذا يبَعْنَ؟.. الحلوى بالعسل؟

(أنهار): بضاعتهن رخيصة ولا تلزمنا.. أكملِي سيرك بصمت
مدت إحدى النساء الواقفات عند باب منزلاً يدها تجاه رأس (دوسن)
ومسحت عليه قائلة: «صبي جميل..»

(أنهار) ضاربة يدها من على رأسه وبنبرة ناهية: لا تلمسيه!

(رافدة) لـ (أنهار): هل بقي الكثير لنصل؟



(أنهار) وهي مستمرة بالسير: لم يبقَ الكثير
(عوراء) مشيرة بسبابتها لإحدى النساء بانبهار وتقول له (رافدة)
الواقفة خلفها: انظري لشعرها يا (رافدة)!.. كم هو طويلاً وجميلاً!

(رافدة): استمرني فقط بالسير بصمت
وقفت الساحرة الهجينة قبل نهاية الزقاق عند إحدى الفتيات اللاتي
وقفنَ عند عتبات أبوابهنِ كالبقية وقالت لها دون أن تنظر إليها: أين
عمتكنْ؟

رفعت الفتاة العاقدة لأذرعها أكتافها متظاهرة بأنها لا تعرف..
أطبقت (أنهار) بقبضتها على غرة الفتاة وشدت شعرها للأمام بعنف
ثم للخلف ضاربة رأسها بقوة في الجدار ثم قالت بهدوء: حاوي التذكر

(عوراء) مصدومة واضعة يدها على فمها: لمَ ضربتها؟!
(كُميٰت) وهي تراقب الموقف: لا تتدخلني يا (عوراء)
(الفتاة) تمسح على رأسها دون أن تبدي أي غضب أو استياء مما فعلته
(أنهار): أمي كانت تقول لي دوماً: «لا تحاول الدخول في جسد شخصٍ
قبل أن تدخل عقله أو قلبه..»



تبسمت الساحرة الهجينة وأخرجت من حقيبتها الجلدية قطعة ذهبية
ومدتها للفتاة فأخذتها وعضت عليها بأسنانها للتحقق من أصالتها..

(أنهار) بتهمكم: لن تري أنقى من هذا الذهب في حياتك البائسة..
الآن.. أين عمتك؟

بدأت الفتاة بالسير بعد ما وضعت القطعة الذهبية بجib صدرها
وقالت: اتبعيني..

تبعها الجميع حتى خرجوa من الزقاق الضيق لمنطقة مخضرة ذات سور
حجري منخفض بدت وكأنها بستان خاص فأشارت الفتاة لهم تجاه
مسار بين هضبتين كبيرتين من القش وقالت: اسلكي هذا الطريق
وستصلين لمنزل العممة..

(أنهار) وعينها على الطريق: هل هي وحدتها؟
(الفتاة) وهي تهم بالعودة: العممة دائماً وحدتها..

(أنهار) للبقية: هيا بنا
(رافدة): إلى أين؟.. ومن هذه العممة التي تريدين زيارتها؟
(كُميٍّ): هل يمكن أن تخبرينا على الأقل ما المطلوب منها؟

(أنهار): سأخبركـن بكل شيء عندما نصل لكن لنـبتعد من هذا المكان
أولاً

لم يمضِ وقت طـويل من المشـي حتى أقبل الجميع على مكانٍ مـريـب
شـيد من الصـخـور الكـبـيرـة بـطـرـيقـة لم تـشـبـه بـقـيـة العـمـرـان بـالـمـدـيـنـة فـهـو لم
يـكـن متـزـلاً أو قـصـراً لـكـنـه كان أـشـبـه بالـكـهـفـ المـنـحـوتـ والمـصـمـمـ ليـشـبـهـ
الـهـرـمـ وـاـنـتـشـرـ حـوـلـهـ مـجـمـوعـةـ منـ التـهـائـيلـ بـأـحـجـامـ مـخـتـلـفـةـ لـبـشـرـ بـرـؤـوسـ
وـأـجـسـادـ حـيـوانـاتـ غـرـيـيـةـ اـكـتـسـىـ بـعـضـهاـ بـالـذـهـبـ وـالـوـرـدـ وـبـعـضـهاـ
الـآـخـرـ أـشـعـلـ أـسـفـلـ مـنـهـ الـبـخـورـ وـوـضـعـتـ حـوـلـهـ أـطـبـاقـ فـخـارـيـةـ مـنـ
الـفـواـكـهـ وـالـأـطـعـمـةـ المـتـنـوـعـةـ.

(كـُـمـيـتـ): مـكـانـ غـرـيـبـ

(عـورـاءـ): أـجـدـهـ مـرـيـحاًـ بـعـضـ الشـيـءـ
(رافـدةـ) وـاـضـعـةـ كـفـيـهاـ عـلـىـ صـدـرـ (عـورـاءـ) مـنـ الـخـلـفـ: لـاـ تـبـتـعـديـ عـنـيـ
(دوـسـرـ) لـ (أنـهـارـ): هـلـ هـذـاـ الدـكـانـ يـبـيـعـ حلـوىـ العـسلـ يـاـ خـالـةـ؟
(أنـهـارـ) وـذـهـنـهـ مـشـتـتـ خـلـالـ مـرـاقـبـتهاـ لـمـدـخـلـ ذـلـكـ الصـرـحـ الحـجـرـيـ:
لـاـ تـتـحـدـثـ مـعـيـ الـآنـ يـاـ عـزـيـزـيـ..ـ اـذـهـبـ وـابـقـ مـعـ (عـورـاءـ)



(دوسر) يجري تجاه الصبية: حاضر

(عوراء) تحضنه باسمة ومرحبة: أهلاً!

دنت (كُميٰت) من الساحرة ووقفت على يسارها تشاركها النظر في
مدخل الصرح الحجري: ماذا الآن؟

(أنهار) والتوتر والقلق الشديد ظاهران على محياتها: ننتظر.. ننتظر فقط
(كُميٰت): هل..

(أنهار) مقاطعة: اطلبني من (رافدة) أن تنضم إلينا وتقف بجانبي
(كُميٰت): ماذا عن الصغارين؟

(أنهار) ببال مشغول وذهن مشتت: لا يهم.. لا يهم.. أحضرتها الآن
أشارت الحجازية لأختها بأن تقف على يمين الساحرة الهجينه ففعلت
بعد ما همست للصغارين بأن يقيا مكانها ولا يتحركا وعند وصولها
قالت: «ما الحكاية؟.. ماذا ننتظر؟»

في تلك اللحظة سمع الثلاث ما يشبه صوت أوراقِ جافة مسحوبة على
الأرض وقبل أن يت Kahn عن مصدره خرجت من الكهف فتاة ذات
عنق طويلاً بأعين رمادية فاتحة وجلدتها كان كلون الطين ولم تتجاوز



في عمرها العقد الثاني ترتدي لباساً شفافاً بالكاد غطى جسدها الذي
وشم معظمها بوشوم غريبة أبرزها كان ما وشم على ظهرها وهو رجل
بأطراف متعددة ورأس فيل بأعين حمراء. اكتحلت عيناهما بطبقة كثيفة
من كحل الإثمد الأسود خرج عن حدود حاجبيها ومنخارها ثُقب
بحلقه ذهبية ربطت مع حلقة مشابهة في شحمة أذنها بسلسال تدلّى
على وجنتها. شعرها الأسود لف في جديلة طويلة وضخمة لامست
الأرض وهو كان مصدر الصوت الذي سمعنه خلال خروجها.
شفتها السفلية وسمت بندبة امتدت عبر ذقنها. تقدمت الفتاة التي
لم تكن سوى (العطبول) نحو (أنهار) بخطواتٍ اختلطت بين التغنج
والترنج وهي تلوك شيئاً ما في فمهما وعيناهما تتجلان بينها وبين
الحجازية والبدوية ثم قالت لها:

«هل أتيت لبيع الفتيات اللاقي معي..؟»

(أنهار) بتوتر: نعم..

(العطبول) مرة طرف ظفر خنصرها الطويل على وجه (أنهار): لطالما
فتنت بالملامح الفارسية..



(أنهار) : الفتيات المعروضات أمامك .. اختاري ما تشاءين منهن
(العطبول) تلف رأسها جانباً وهي مستمرة باللوك معنة النظر في
(كميت) و(رافدة) : اطلبني من تلك أن تزيل اللثام عن وجهها ..
(أنهار) للحجازية ونظرها منصب على (العطبول) : أزيلي لثامك يا
(كميت)..

وضعت الحجازية طرف سبابتها على لثامها وأنزلته كاشفة عن وجهها
المتوتر ..

وجهت (العطبول) عينيها نحو (رافدة) لبضع ثوانٍ وأمعنت بها
وبجسدها نزولاً وصعوداً بنظرها ثم قالت بنبرة متهكمة: ذات الأعين
لا بأس بها .. سأخذها مع العربية الأخرى بقطعتين ذهبيتين
(أنهار) : موافقة ..

(العطبول) تنظر خلفهن وترى (عوراء) و(دوسرا) : وتلك الخادمة
بقطعة من الفضة ..

(أنهار) : حسناً

(العطل) تشير برأسها لـ (دوسن) باسمة: ماذا عن الصبي الجميل؟ ..

كم تريدين مقابلًا له؟

(أنهار): الصبي ليس للبيع

تبسمت الساحرة السنديبة بخبث وبدأت بالسير نحو (دوسن) المتشبث

بـ (عوراء) مرعوباً من نظراتها له و(أنهار) تراقبها بتوتر شديد..

وقفت (العطل) أمام الصبي تحدق به صامتة وهي تلوك ما كان في

فمها ثم قالت: «مذاقهم في هذا العمر شهي..»

(أنهار) وهي تزفر: حسناً.. حان الوقت

(العطل) ملتفة إليها باسمة: وقت ماذا؟

بسطت الساحرة الهجينة كفها في وجه الساحرة السنديبة وأطلقت

وهجاً أزرق دفعها للخلف عدة خطوات لكنه لم يسقطها وفي لمح

البصر وجدتها (أنهار) خلفها تطبق على عنقها وتقول بغضب: «لقد

اقترفت خطأً كبيراً يا فارسية!»

(أنهار) تشير بيدها للفتيات وهي تختنق للهرب من المكان في الحال



لكن (رافدة) سلت سيفها وصرخت في (عوراء) قائلة: خذني (دوسرا)
وابتعدني من هنا!

تدحرجت (كميت) جانباً ثم جلست على ركبتيها وشدت سهماً على
قوسها ونزلت في انتظار فرصة سانحة لإصابة (العطبول)..
حاولت (أنهار) ثنيهما عما كانتا تنويان القيام به لكن قبضة الساحرة
السندية على عنقها منعتها من الحديث أو الصراخ..

(العطبول) تهز (أنهار) بقوة وعنف ضاحكة: ماذا ستفعلان بذلك
الأسلحة المزيلة؟!

(رافدة): حرريها من قبضتك وواجهينا وسترين ما سنفعله بكِ!
رمت أميرة العاج (أنهار) جانباً على مجموعة من الجرار الفخارية الكبيرة
التي تحطممت فوقها في الحال..

(العطبول) باسطة أذرعها: هيا أرياني ما في جعبتكما..

أطلقت (كميت) سهماً تجاه رأس الساحرة السندية غير الآبهة لكن
السهم وقبل أن يصييها توقف عند وجهها ولم يتقدم أكثر أو يسقط
لكنه بقي معلقاً في الهواء لبرهة ثم استدار بعدها وانطلق نحو (رافدة)

وأصابها في فخذها لتقع صارخة على الأرض و(العطبول) تضحك
وتقول ساخرة: أنت لا تحيدين النيشان يا قطة!

أخرجت (كُميٰت) سهِّما آخر من الجراب الجلدي خلف ظهرها لكنها
لم تلحق أن تشده على قوسها لأن (العطبول) وفي لمح البصر ظهرت
 أمامها وقبضت على وجهها بكفها ورفعتها للأعلى وبدأت بغرس
 أظافرها الطويلة في وجنتيها وجبينها وهي تقول: لا حاجة لك بهذا
 الوجه الجميل إذا لم أكن سأستفيد منه!

سقطت الحجازية على الأرض عندما أفلتها (العطبول) بسبب المِ
 مباغٍت أصحابها في بطنها فأنزلت رأسها لترى (رافدة) تطل عليها من
 بين سيقانها وهي مستلقية على ظهرها ممسكة بمقبض سيفها المطعون
 في بطن الساحرة السنديمة وتقول باسمة: قضي الأمر!
(العطبول) تبادلها الابتسام قائلة: مازلنا في البداية!

رفست الساحرة السنديمة وجه (رافدة) بقدمها الحافية رفسة أدمت
 أنفها وأفقدتها الوعي..

أمسكت (العطبول) بمقبض السيف المغروس في بطنها ونزعته ثم



نظرت للبدوية المغشى عليها بين أقدامها وقالت: سلاحك سيرد إليك
يا خرقاء!

قفزت (كميت) فوق أكتاف (العطبول) وقبل أن تحاول إلحاق الأذى
بها ارتفعت في الهواء ورميتك بقوة للجدار فوق (رافدة) لتقع على
رأسها وتفقد الوعي هي الأخرى بجانب أختها.

(العطبول) بتذمر وهي ترمي بالسيف جانباً: ما هذا اليوم المزعج؟!
(أنهار) من خلفها عاقدة أصابعها: لننتبه منه إذاً!

(العطبول) مديرة نظرها وجسدها نحو الساحرة الهجينة: لا تقلقي يا
فارسية.. ستمتنَ جميماً!

(أنهار) محاولة استفزاز (العطبول) لاستخدام «طلسم الدابة العظيمة»
كي تسمع نصه وتحفظه: هيا أريني قدرتك!.. لم أر سوى فتاة ضعيفة
طعنت بسهولة!

(العطبول) بنبرة متهكمة: قبل أن أحولكن جميماً لتراب سأعطيك
فرصةأخيرة لها جمتي.. هيا يا فارسية أنا بانتظارك

أغمضت (أنهار) عينيها وقرأت طلسمها خرج على إثره سرب من

الدبابير السوداء من أذنيها وفمها وأنفها وانطلقا دفعة واحدة تجاه
أميرة العاج التي بدأت بالضحك قائلة: ما هذه الطلاسم الحقيرة؟!

قبل أن يصل سرب الدبابير للساحرة السنديبة أمسكت بجديلتها بيديها
وببدأت تلف حول نفسها محدثة زوبعة سحقت السرب بالكامل..

توقفت (العطبول) عن الدوران ثم وضعت باطن كفها الأيمن على
جبينها ووجهت نظرها للأرض أمامها وهي تقول: شاهدي كيف
يستخدم السحرة الكبار طلاسمهم!

بدأت الساحرة السنديبة بترديد طلسم بلغتها و(أنهار) منصته إليها
بتركيز وبعد ما انتهت تشكل بينهما فيل أبيض ضخم بأعين حمراء
وأنياب عاجية كبيرة وطويلة جداً. تغطى ذلك الفيل بأشكال مختلفة
من المصوغات الذهبية والأحجار الكريمة تدل اثنان منها من أذنيه
الكبيرتين كأقراط ووقف يدك الأرض بقدمه وينفح الدخان من فمه
غاضباً.

(العطبول) تربت على قفا الفيل باسمة: لا تبق منها شيئاً ولا تذر..
اندفع الفيل الضخم نحو الساحرة الهجينة التي بادرت بمسح كفيها

بعضها ببعض بحركة دائيرية سريعة ليخرج من أناملها مجموعة من الحراب المنطلقة نحو تلك الدابة الضخمة. غُرست جميع الحراب في جسد الفيل ولم تخطئه حربة واحدة لكنه لم يهتز أو يتوقف عن الجري حتى وصل لـ (أنمار) المصدومة والتي حاولت إدخال يدها في حقيبتها الجلدية لكن الفيل المندفع أدركها قبل أن تتمكن من ذلك ونطحها برأسه بقوة رامياً بها للأعلى وقبل أن تقع أرضاً التقاطها بأحد أنيابه وأخذ يلوح بها في الهواء ممزقاً لباسها ولحماها و(العطبول) تراقب ما يحدث ضاحكة.

أسقط الفيل (أنمار) بعد فترة من الزمن ليترطم رأسها بقوة على الأرض لتلحق بـ (رافدة) و(كميت) وتفقد وعيها هي الأخرى. سار الفيل حتى وصل لجسدها الملقي ورفع قدمه فوق رأسها متظراً الأمر من سيدته.

(العطبول): ماذا تنتظر؟.. هشم رأسها!

رفع الفيل خرطومه للأعلى وأطلق نَهِيماً قوياً وهم بإنزال قدمه على رأس (أنمار) لكنه توقف عندما سمع صوتاً أحشّ غليظاً يلهث غضباً يحدثه من خلف (العطبول) قائلاً بالفارسية: اتركها وشأنها!

التفت الساحرة السنديّة خلفها نحو مصدر الصوت ورأت من كان يتحدث فتبسمت قائلة: ما هذا؟!.. هل كلكن تردن ال�لاك اليوم؟!
كانت (العطبول) توجه حديثها لـ(عوراء) التي وقفت أمامها بأعين بيضاء بالكامل مشرعة فمها إلى أقصاه ورأسها يهتز للأمام والخلف وتلهمت كالكلاب باسطة كفيها جانبًا محركة أناملها وكأنها تحمل مخالب و(دوسر) يقف خلفها مرعوبًا منها ومن الحالة التي كانت عليها.

أشارت (العطبول) بلا اكتئاث للفيل الضخم بيدها بأن يترك (أنمار) ويهاجم الصبية عوضاً عنها فانطلق نحوها يهز الأرض بدبسه المتسارع وبعد ما تجاوز سيدته ولم يتبقَّ بينه وبين (عوراء) سوى بضعة أقدام وهي لا تزال على وضعها المتشنج خرج من فمها جذع جسد علوي ماردٍ أسودَ ضخم بقرون حمراء تشبه قرون الجدي أمسك بأنفاس الفيل العاجية وقلبه على ظهره.

فجعت (العطبول) بما رأته وزادت صدمتها عندما شاهدت ذلك المارد الأسود يخرج من فم عوراء بالكامل وينزع عنها كما تنزع الملابس ويقف أمامها بقامة أطول منها بثلاث مرات وقرونها الحمراء زادت من طوله



أكثر. بدأ الفيل يحرك سيقانه في الهواء كالسلحفاة المقلوبة محاولاً النهوض لكن المارد باغته وجه قبضته لبطنه ونزع أحشاءه وقتله في الحال.

(العطبول) عاقدة أصابعها وهي ترتجف: أي سحر تستخدمن؟!

قبض المارد الأسود بيديه خاصرة الساحرة السندية ورفعها للأعلى حتى أصبح وجهها مثابلاً لوجهه وبقي يحدق بها بأعينه الصفراء متوجهًا ومزجراً وهي ترتعد من الخوف صارخة فيه بلغتها: من أي جحيمٍ أتيت؟!

قضى المارد وجه (العطبول) ورمى بها على الأرض وبقي يراقبها وهو يلعق ما علق من دمائها على شفتيه ويتنفس كالثور الهائج لثوانٍ قبل أن يستدير ويمسك بجسده (عوراء) والتي كانت لا تزال بحالة تشنج ويفتح فمها ويدخل في جوفها مثلياً خرج وخلال دخوله تمدد جسدها كالقربة المنفوخة لكن ملابسها لم تتمزق هذه المرة بسبب اتساعها لتسقط بعدها فاقدة للوعي و(دوسر) خلفها متزوياً بزاوية مفروعاً غارقاً في دموعه.



تفتح الساحرة الهجينه عينيها بعد فترة غير معلومة لها..

ترى البدوية والمحاجية مستلقيتين بجانبها فاقدتين للوعي..

ترفع رأسها وهي تشعر بألم مبرح في جميع أجزاء جسدها..

تباحث بنظرها من حولها لترى جثة (العطبول) المشوهة ودابتها المقتولة..

تنادي بصوت خفيض مشبع بالألم على (دوسر) دون أن تحصل على إجابة..

نهضت (أنهار) وأحسست بعد ما وقفت بالدوران والغثيان لكنها سارت بخطوات متزنة تنادي على (دوسر) وخلال سيرها وقعت عينها على (عوراء) الملقة على الأرض لكنها لم تكترث لها وأكملت طريقها خروجاً من المكان نحو الزقاق الذي أتوا منه بحثاً عن الصبي الصغير.

لم يمضِ وقت طويل بعد رحيل (أنهار) حتى أفاقت (كميت) والتي بدورها أيقظت أختها (رافدة) وأصابتها العجب مما رأته حولها..
(رافدة): ما الذي حدث هنا؟



وجهت (كميت) نظرها لحثة (العطبول) والذباب يحوم حول وجهها المفقود وبجانبها استلقى الفيل الضخم متزوع الأحساء وقالت بنبرة متواترة جداً:

«لقد تكرر الأمر ذاته مرة أخرى.. لماذا؟.. لماذا ننجو في كل مرة؟»
نهضت البدوية وتوجهت مباشرة لـ (عوراء) وبدأت تهز جسدها محاولة إيقاظها: أفيقي!.. ما الذي جرى هنا؟!
(عوراء) بتململ: دعيني أكمل نومي!

وصلت (أنهار) لمدخل الزقاق وبدأت تصرخ في النسوة الواقفات على جوانبه تسأل عن (دوسر) وهن يراقبنها بين مستغربة وغير مكترثة حتى تعاطفت معها فتاة وأخبرتها بأنها رأته يذهب برفقة إحداهنّ عندما شاهدته يسير باكيًا وأخذته معها. صفت (أنهار) المرأة صارخة فيها بعصبية: أين أخذته؟!

(الفتاة) وكفها على وجنتها: لمتز لها..
(أنهار) رافعة يدها مرة أخرى في وجهها مهددة بصفعة أخرى وبوجه محتقن: سيري أمامي لمنزلها في الحال!

قادت الفتاة الساحرة الهجينة عبر الزقاق وأشارت لأحد الأبواب
وسطه فدفعت بها جانبًا ثم ركلت الباب ودخلت كالمحونة تصرخ
منادية وسط البيت على صغيرها حتى سمعته يرد عليها من إحدى
الغرف قائلاً: «أنا هنا يا خالة!»

دخلت (أنمار) الغرفة ورأته على حجر امرأة وأخرى تطعمه بعض
الخبز..

شدت الساحرة الهجينة شعر التي كانت تطعمه وأسقطتها أرضاً
ودفعت بوجه الأخرى للجدار وحملت (دوسن) بين ذراعيها وهمت
بالخروج..

(أنمار) تسير وتمسح على ظهر الصبي وبنبرة جنونية: هل أنت بخير؟!
هل تعرضت للأذى؟!

(دوسن) وذقنه مسندة لكتفها مراقباً النساء الخائفات في الغرفة خلفها
وبنبرة هادئة: لا.. لم أصب بشيء.. لقد حمتنني (عوراء)
(أنمار) وهي مستمرة بالتقدم خروجاً من المنزل: (عوراء) أصيّبت
مثلنا..

(دوسر): لقد حماها الغول الذي خرج من بطنها..

توقفت الساحرة الهجينة عن السير فجأة وسط الزقاق المكتظ بالنساء على جوانبه وأنزلت (دوسر) من على كتفها ووضعته أمامها وقالت باهتمام شديد: تقول غول خرج من بطنها؟

(دوسر) يهز رأسه موافقاً: نعم.. خرج من فمها وأكل الساحرة والفيل ثم عاد لبطنها.. هل هو ابنها؟

(أنمار) رافعة رأسها لنهاية الطريق المؤدي لمنزل (العطبول) سارحة لشوانٍ ثم معيدة نظرها لـ (دوسر) قائلة بتوتر: هل كان ذلك الغول أسود اللون بقررون حمراء؟

(دوسر): نعم كيف عرفت؟.. هلرأيته مثلِي؟

احتضنت الساحرة الهجينة صبيها بقوة والجزع يتفجر من عينيها وقالت: لا تذكر ذلك لأحد ولا تتحدث في هذا الموضوع أمام أختيها.. هل تفهم يا عزيزي؟

(دوسر): حاضر

حملت (أنمار) الصبي مرة أخرى وأكملت السير عائدة من حيث أتت..

بعد وصول الساحرة الهجينة مع الصبي ورؤيتها أن الجميع قد أفقن
سوى (عوراء) التي كانت تمانع كل محاولات أخيتها لإيقاظها وكأنها
لم تنم منذ أيام قالت لها و(دوسن) لا يزال على كتفها ونظرها المرتاب
على الصبية:

«لا تجبرها على الاستيقاظ.. يجب أن نرحل في الحال ونخرج من
المدينة.»

(رافدة) وهي تقف: وكيف سنقوم بذلك دون إيقاظها؟.. هل
سنتركها هنا؟

(أنهار) تشد من قبضتها على جسد (دوسن) دون أن ترفع عينيها
المتوترتين عن (عوراء): أخبرتكما سلفاً بأن اختكما ليست طبيعية..

(كميت): هل تعرفين شيئاً لا نعرفه؟

(أنهار) وسرحانها ينقطع موجهة عينيها المرتictين نحو الحجازية:
أنا سأرحل الآن وسأنتظركن فوق الجبل حيث وصلنا وعند المغيب
سأرحل بكن أو بدونكن..

(رافدة) بتجهم: ترحلين إلى أين؟!.. هل تنوين تركنا في هذه المدينة
الغريبة عنا؟!



(أنهار) تهم بالرحيل: أمهلken حتى المغيب لتلحقن بي
رحلت الساحرة الهجينة مع صبيها تاركة الفتاتين في حيرة وعجب مما
قالت..

(كُميٰت): ما بها؟
(رافدة): نوبة من نوبات جنونها المعتادة ما الجدید؟
(كُميٰت): لا.. هذه المرة كانت مختلفة
(رافدة): مختلفة كيف؟
(كُميٰت): أشعر حقاً ولأول مرة بأنها تريد الافراق عنا
(رافدة): سيكون يوم عيد إذا حدث ذلك!
(كُميٰت): يجب أن نلحق بها.. نحن لا نزال بحاجتها كي تعيننا للأرض
الجزيرة على الأقل
(رافدة) مشيرة بكفها نحو (عوراء): وماذا عن هذه البقرة الصفراء
النائمة؟
(كُميٰت): سأحملها أنا



(رافدة): لن تستطعي حملها كل تلك المسافة خارج المدينة خاصة في
هذا الزحام.. يجب أن نوقفها

(كُميٰت): انعثيني بالجنونة لكنني أظن أن إيقاظها ليس فكرة جيدة
الآن

(رافدة): ما حكاياتك أنتِ وتلك الفارسية؟.. لم لا تريдан إيقاظها؟

(كُميٰت): قودي الطريق فقط وأنا سأحملها

(رافدة): حسناً كما تشائين..



قرة عيني المفقوءة

قبل الغروب بقليل وعلى أحد أطراف قمة الجبل المطل على المدينة
المكتظة جلست الساحرة الهجينة تراقب أفواج الناس والقوافل بهدوء
وهي محتضنة لـ (دوسن) بقوة وأقدامه الصغيرة تلعب في الهواء وهو
يراقب الهاوية العميقية أسفل منه..

(رافدة) من خلفها بعد ما انتهت للتو من صعود القمة مع أخيتها
بتذمر: أرى أنكِ لم تر حلي يا فارسية..

(أنمار) سارحة في الأفق وببرود: لم ينقضِ الوقت الذي حددته لكنّ
بعد

(كميت) تنزل (عوراء) النائمة أرضاً وبنبرة مشبعة بالتعب والإرهاق:
أعیدينا لأرضنا.. لقد انتهى كل شيء بيننا بعد ما حصلت على طلسنك



(أنهار) دون أن تلتفت إليهنّ: ومن قال بأني حصلت عليه؟.. بمقتل الدابة العظيمة كسر الطلس ولا يمكن لأحد استخدامه الآن

(رافدة) بصوت مرتفع قليلاً: حصلت عليه أم لا!.. هذا أمر يخصك ولا يعنينا!.. نفدي كلام أختي وأعيدينا!

(أنهار): لا ترفعي صوتك.. سوف أعيدكنّ كما كان الاتفاق (كميت): نحن جاهزات.. هيا

(أنهار): ليس الآن..

(رافدة) بتجهم: متى إذا؟!.. ماذا تنتظرين؟!
(أنهار) ماسحة على رأس (دوسر): نحن متعبان ونحتاج بعض الراحة وأنتما كذلك.. سننام لبعض ساعات وبعدها سنرحل

همت البدوية بقول شيء وهي فاقدة لأعصابها لكن (كميت) تداركتها ووضعت يدها على ظهرها في إشارة منها بأن لا تجادل وتحمل أكثر حتى يتنهين من هذا اليوم سلام. زفرت (رافدة) بقوة وجلست بجانب (عوراء) النائمة بوجه عابس ولم تقل شيئاً.



(كُميٰت) لـ (أنهار) قبل أن تنضم إلى أختها: أيقظينا عندما تقررين الرحيل..

(أنهار) بصوت مسموع لـ (دوسن) فقط: سأفعل..

(دوسن) مشاركاً خالتة تحدّيقها بدخول المدينة في الأفق: لقد نسينا شراء الحلوى بالعسل.. لقد وعدت (عوراء) بأن تجربها

(أنهار) متجاهلة حديثه عن الحلوى: هل خنجرك الصغير لا يزال معك؟

(دوسن): نعم.. إنه في جيبي.. لم تسألين؟

(أنهار) بنبرة هادئة تخللتها غصة: سأستعيّره منك.. هل تمانع؟

(دوسن) دون اكتئاث: لا.. لكن خذى الخدر فهو مسموم

(أنهار) مستندة خدها لخد الصبي محكمة عنقه أكثر: هذا أفضل..

غابت الشمس وأسدل الليل ستاره المظلم وغط الجميع في النوم بسرعة بسبب الإرهاق الذي ألم بهم جميعاً خلال ذلك اليوم الحافل. جميعهم عدا الساحرة الهجينة التي بقيت محتضنة للصبي الصغير وهو نائم في حضنها. قبل أن يتتصف الليل وضعفت (أنهار) جسد الصبي النائم على

الأرض بجانبها ومدت يدها في جيده مخرجة الخنجر المسموم الملفوف
بالخرقة من وشاح الحجازية وحررته منها وأمسكت بمقبضه وحذقت
به لثوانٍ قبل أن تنهض وتسير نحو الفتيات الثلاث المضطجعات
والنائمات بعضهن بجانب بعض. وقفـت فوقـهن تراقبـهن بنظرـات
حـادة وـشفـاهـها تـرـجـفـ لكن قـبـضـتهاـ علىـ الخـنـجـرـ كانـتـ محـكـمةـ. انـصبـ
ترـكـيزـهاـ فيـ النـهـاـيـةـ عـلـىـ (ـعـورـاءـ)ـ وـبـقـيـتـ تـمـعـنـ النـظـرـ فـيـهاـ وـطـالـ إـمـانـهاـ
حتـىـ فـتـحـتـ (ـرـافـدـةـ)ـ عـيـنـهاـ مـصـادـفـةـ وـرـأـتـهاـ بـتـلـكـ الـحـالـةـ فـقـالتـ بـصـوـتـ
مـسـتـنـكـرـ:ـ «ـمـاـ هـذـاـ الخـنـجـرـ بـيـدـكـ؟ـ!ـ ..ـ مـاـذـاـ تـنـوـيـنـ أـنـ تـفـعـلـ؟ـ!ـ»

(أنـهـارـ)ـ دـوـنـ أـنـ تـحـيـدـ بـنـظـرـهـاـ عـنـ الصـبـيـةـ النـائـمـةـ وـبـأـعـيـنـ دـامـعـةـ وـنـبـرـةـ
مشـبـعةـ بـالـجـنـونـ:ـ «ـأـخـتـكـمـ يـحـبـ أـنـ تـمـوتـ..ـ»

نـهـضـتـ الـبـدـوـيـةـ مـنـ مـكـانـهـاـ بـسـرـعـةـ مـسـتـلـةـ سـيـفـهـاـ مشـهـرـةـ رـأـسـهـ فـيـ وـجـهـ
الـسـاحـرـةـ الـهـجـيـنـةـ مـهـدـدـةـ:ـ إـيـاـكـ وـالـاقـرـابـ مـنـهـاـ يـاـ فـارـسـيـةـ!

انتـبـهـتـ (ـكـمـيـتـ)ـ وـأـفـاقـتـ مـنـ مـنـامـهـاـ هـيـ الـأـخـرىـ بـسـبـبـ صـرـاخـ
(ـرـافـدـةـ)ـ وـعـنـدـ مـشـاهـدـتـهاـ لـذـلـكـ الـمـوقـفـ الـمـحـتـدـمـ وـقـفتـ عـلـىـ عـجـالـةـ
وـقـالـتـ:

«ـمـاـ الـذـيـ يـحـدـثـ يـاـ (ـرـافـدـةـ)ـ؟ـ!ـ»



(كُميٰت) مرخية السهم: ونحن لا نريد البقاء معك أيضًا.. هيأ يا
(رافدة) لنرحل!

(رافدة) دون أن تنزل سيفها أو تبعد نظرها عن (أنهار): إلى أين؟..
كيف نعود للجزيرة؟

(كُميٰت) تحمل (عوراء) وتهم بالنزول من قمة الجبل: ستتدبر أمورنا..
هيأ!

وقفت الساحرة الهجينة تراقبهن وهن يرحلن وبعد ما اختفيت على
أنظارها سارت بهدوء وجلست عند طرف الجبل وبعد صمتٍ قصيرٍ
قضته في التحديق بالسماء أجهشت بالبكاء فجأة مما أيقظ (دوسن)
الذي وقف خلفها وقال بنبرة قلقة: «ما بكِ يا حالة؟.. وأين البقية؟»

(أنهار) بصوت مشبع بالهم والدموع: رحلن وتركني..

(دوسن) مواسياً بوجهٍ حزين: أنا ما زلت موجوداً ولن أتركك أبداً
(أنهار) وبكاؤها يزداد ويتحول لتحبيب: ستتركني عاجلاً أم آجلاً؟..
أنا معطوبة ولن تطيق معي صبراً!

صمت الصبي ولم يرد على خالته المنهارة..

(أنهار) مكملة حديثها الممزوج بالبكاء والنحيب والذي بدأ يأخذ طابع الاهلوسة: فكرت مليّاً بإنتهاء حياتي لأنخلص من كل هذا العناء لكن وفي كل مرة تراودني تلك الفكرة أقوم بشيء جنوني.. شيء لم أتصور يوماً القيام به أبداً.. بعدها أجد روحي والتي كانت راغبة بالرحيل تلتصق بجسدي بكل قوتها وكأنها لا ت يريد أن تفارقني لكنني مؤخراً فقدت حتى هذا الإحساس.. سأعود لـ «فارس» ول يحدث ما يحدث..

احتضن (دوسر) الساحرة الهجينة من الخلف واضعاً رأسه على ظهرها وقال: سينتهي حزنك قريباً يا حالة.. أعدك بذلك..

(أنهار) تبسم وتسع بعض دموعها المنهمرة بكفها وتقول:

«في اليوم نفسه الذي تخسر فيه أجمل شيء في حياتك قد ترى العوض يتجلّ أمامك باسطاً ذراعيه يدعوك لمعانقته وકأن الأقدار ترفض لك أن تغرق في حزن أو حسرة على شيء لم يكن مقدراً لك من الأساس.. أنت يا (دوسر) كنت وستبقى الشيء الوحيد الجميل في حياتي

البائسة..»

شعرت الساحرة الهجينة في تلك اللحظة بوخزة في ظهرها..

تحول شعور ال وخز تدريجياً لألم صاعق..

تلتفت خلفها والألم يتآجر ويتصاعد في جسدها لترى (دوسن) يمسك

بخنجره الصغير بين قبضتيه ويهدق بها بعد ما سحبه من ظهرها..

(أنهار) بوجه مفجوع ومتسائل: .. (دوسن)؟.. لماذا؟

رمى الصبي بالخنجر الملطخ بدماء الساحرة الهجينة جانباً ولم يحبها..

مسحت (أنهار) بعض الدماء التي سالت من فمها ثم نظرت لكتفها

الأحمر وقالت:

«لم تكذب حجارة وأصداف عرافة «حجر».. لقد تحققت نبوءتها

أخيراً.. لست غاضبة منك يا (دوسن).. هذا قدرى الذى هربت منه

لسنوات.. تعال يا عزيزى لأعانقك للمرة الأخيرة..»

(دوسن) وعيناه تدمعن: أنا أسف يا حالة (أنهار)..

مدت (أنهار) ذراعها وأشارت له باسمة بيدها الملوثة بالدماء للاقتراب

منها..



سار الصغير نحوها فعائقته بذراعها الممدود وحضرته ثم مسحت على وجهته بأناملها الدامية وقالت بأعين دامعة وصوت مختنق:

«تعذر عن ماذا يا قرّة عيني؟.. لقد وهبتني حريري أخيراً.. كنت أخشى أن أعيش وأخاف أن أموت.. لقد قدمت لي هدية طال انتظارها.. شكرأً يا (دوسراً)..»

(دوسراً) وصوته يتغير لصوت رجل بالغ:

«أنا سعيد لسماع ذلك.. فقد أحببتك بالفعل يا (أنهار)..»

رفعت الساحرة الهجينة ذراعها من على الصبي وهي مصدومة وبكل ما تبقى من قوتها الخائرة قالت: «ما الذي يحدث؟!.. من أنت؟!»

أخذ (دوسراً) بضع خطواتٍ للوراء ثم وضع كفه على وجهه وبدأ جسده بالتلوي والانتفاض متحولاً لرجلٍ بشعر أبيض قصير بوجهٍ يافع وسيم وعلى وجهته وشمت ثلاث دوائر سوداء مصممة.

راقبت (أنهار) ما يحدث أمامها بضمٍ مفتوح يقطر دماً وأنفاس متناقصة ولم تستطع الحديث لأنها بدأت تفقد القدرة على الحركة في معظم أطراف جسدها بما فيه لسانها لأن سُمَ الخنجر قد بدأ مفعوله بالسريان بعروقها.



(دوسن) وهو بهيئة ذلك الرجل وبالفارسية:

«عندما يفشل القتلة يتدخل الكهنة.. المتنورون لا يقهرون.. نحن
نصفي حساباتنا دوماً.. ولو بعد حين..»

لم تستطع (أنمار) التعبير عنها كان يتفجر بقلبها من إحساس بالغضب
والقهر لكن عينيها ضجتا بصرخات خرساء ودموع حارقة..

(مايزك) وهو يراقب الساحرة الهجينة في لحظاتها الأخيرة: «قبل أن
ترحلي.. اعلمي هذا.. خالتك (أفسار) وأخواتك متن منذ زمنٍ طويل
وسيكِنَّ بانتظارك في العالم الآخر..»

سقط رأس الساحرة الهجينة مرتطماً بالأرض..

دمعت عين الكاهن (مايزك) قبل أن يختفي من المكان تاركاً جثتها
فريسة لذئاب الجبل الذين بدؤوا بالاقتراب..

صح الصت

في منطقة اختلطت فيها التضاريس الجبلية والمسطحات الخضراء سارت البدوية والمحازية الحاملة لـ (عوراء) ليلاً وخلال سيرهما استيقظت الصبية متسائلة عن مكانها. أزلتها (كميت) وشرحت لها ما حدث معهن لكنها لم تخبرها بأن (أنهار) حاولت قتلها واكتفت بإخبارها بأنهن انفصلن عنها بعد ما انتهت من الحصول على طلسم الدابة العظيمة كما كان الاتفاق.

(عوراء) بحزن شديد: لم لم توقطاني؟.. كنت أريد توديع (دوسرا) (رافدة): لم يكن هناك فرصة.. كان يجب أن نرحل بأسرع وقت قبل أن تغير الفارسية رأيها

(عوراء) ودموعها تنزل على وجنتيها: ألم تقل بأنها هي من سيعيدنا للجزيرة؟



(رافدة): لقد أصابتها نوبتها المعتادة ولم نشأ أن ننتظر أكثر

(عوراء) ماسحة دموعها: وهل سنسير على أقدامنا كل المسافة؟

(رافدة) ونظرها لسلسلة الجبال المحيطة بهن: سؤال جيد يا (عوراء)..

لا أظن أننا سنتمكن من بلوغ وجهتنا سيراً على أقدامنا.. يجب أن نجد
وسيلة أخرى للسفر فنحن بلا زاد أو ماء..

(عوراء) بتوتر: هل سنموت؟

(كُميٰت) واضعة كفيها على أكتاف الصبية القلقة: لا تخافي.. سنسير
حتى نجد مدينة أو قافلة وسنحصل على بعض الدواب

(عوراء) متزلة رأسها: حسناً

(كُميٰت): ما بكِ؟.. ألا تثرين بكلام أختيك؟

(عوراء) دون أن ترفع رأسها: بلى.. لكن.. بدأت أفتقد (دوسن) منذ
الآن

ضمت الحجازية الصغيرة إليها وقالت: أنا واثقة بأنه يفتقلك أيضاً
لكن الظروف قيدتنا ولم يكن لدينا خيار آخر

يسمع الجميع عواء ذئب آتياً من إحدى القمم حولهن وبعد لحظات
يرد عليه آخر في الجهة المقابلة وثالث في جهة أخرى ..

(رافدة) رافعة نظرها نحو القمم: المنطقة تعج بالذئاب

(كُميٰت) تفك عناق الصبية وتشارك البدوية نظرها للأعلى: لقد
رأونا.. وعواوؤهم بهذا الشكل المتتابع يدل على أنهم ينون الهجوم
 علينا

(رافدة) مخرجة سيفها من غمده: لنكمِّل السير ولنكن حذرات حتى
شرق الشمس

(كُميٰت) تشير لـ (عوراء) بالبقاء بقربها: لا تبعدي عنِّي ..

(عوراء) دون أن تتحرك من مكانها ونظرها على الطريق المظلم
أمامهن: أشعر بأن هناك شيئاً يقترب منا

(رافدة): لا تسمحي للوهم أن يتسلل إلى قلبك.. سيري بجانبنا فقط
(عوراء) وهي سارحة: لا.. قلبي يخبرني بأن ننتظر قليلاً

(رافدة) بتجهم: ننتظر ماذا؟!.. هيا تحركي!

(كُميٰت) ممسكة يد الصبية وبنبرة هادئة ومطمئنة: تعالى معِي

(كميت) والجزع باٍ على وجهها: ألا تدرkin ما حدث لـلتو؟

(عوراء): ما الذي حدث؟.. لقد طلبت منكما الانتظار فقط.. لم أنتـها
خائفتان مني هكذا؟

لم تجب أختاها عليها وبقيتا صامتتين تحدقان فيها بتوتر وحذر شديدين
متجلبـتين الاقتراب منها حتى تبسمـت الصبية ورفعت سبابتها مشيرة
لشيء خلفـهما وقالـت: لقد عاد!

أدارت البدوية والـحجازية أنظارـهما خلفـهما لـلـريا (زـمـجـدـ) يقف
وراءـهما..

(رافـدةـ) دافـعةـ صـدـرـهـ بـكـفـهـاـ: وـأـخـيرـاـ ظـهـرـتـ أـيـهـاـ الأـحـقـ؟ـ؟ـ

(كمـيـتـ): هـذـاـ لـيـسـ وـقـتـهـ يـاـ (رافـدةـ)ـ!ـ..ـ أـيـنـ كـنـتـ يـاـ (زـمـجـدـ)ـ؟ـ؟ـ

(زمـجـدـ)ـ بـنـبـرـةـ جـادـةـ: لـاـ وـقـتـ لـلـشـرـحـ..ـ يـحـبـ أـنـ نـعـودـ لـ«ـعـربـسـتـانـ»ـ فـيـ
الـحـالـ..ـ هـنـاكـ أـمـرـ طـارـئـ!

(رافـدةـ)ـ بـعـصـبـيـةـ وـتـهـكـمـ: لـاـ،ـ شـكـراـ!ـ نـحـنـ مـسـمـعـاتـ هـنـاـ فـيـ هـذـهـ
الـأـرـضـ الـغـرـيـبـةـ الـمـوـحـشـةـ وـحـدـنـاـ!



(كُميٰت) مقتربة من الجنـي الأزرق: دعك منها الآن.. وحدثني أنا..
ما الأمر الطارئ؟!

(زَمْجَد): السيدة (نافـحة) لا تزال على قيد الحياة..

(عوراء) بسعادة كبيرة: ماذا؟!.. العـمة حـية تـرـزـق؟!

(كُميٰت) وهي مصدومة: .. القائدة؟

(رافـدة) صارخـة فيه: ماذا تـنـتـظـر إـذـا؟!.. خـذـنـا إـلـيـهـا فـي الـحـال!!

سار الجنـي الأزرق نحو (عوراء) ووقف أمامها باسـمـاً وقال: كيف
حالـك يا سـيـدـتـي؟

(عوراء) بخلـيطٍ من البـهـجـة وـالـحـزـن: افتقدـتـك يا (زَمْجَد).. لقد عـانـيـتـ
الـكـثـيرـ فيـ غـيـابـكـ

(زَمْجَد) مبـسـمـاً وهو يـمـدـ يـدـهـ نحوـهاـ: وـأـنـاـ كـذـلـكـ.. لـنـ أـتـرـكـ بـحـدـاًـ..
أـعـدـكـ بـذـلـكـ

(عوراء) وهي تـقـبـضـ علىـ كـفـهـ المـمـدـوـدـهـاـ: هـلـ تـخـشـانـيـ مـثـلـهـاـ ياـ (زَمْجَدـ)ـ؟
(زَمْجَدـ) حـامـلاًـ الصـبـيـةـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ: لـاـ أـخـشـىـ سـوـىـ أـنـ أـخـذـلـكـ..

تبـسـمـتـ الصـبـيـةـ وـعـانـقـتـ عنـقـ الجنـيـ الأـزرـقـ بـذـرـاعـيـهـاـ وـالـذـيـ أـدارـ

وجهه محدثاً الجميع: «قبل أن تتحرك يجب أن تدركن أمراً مهمّاً.. السيدة (نافجة) ونحن نتحدث الآن تواجه خطراً كبيراً وقد لا تنجو منه لذا تقبلن فكرة أننا قد لا نلحق بها في الوقت المناسب..»

(كُميٍت): ماذا تقصد أنها في خطر..؟

(رافدة): خطر من أي نوع؟

(زَمْجِد) وهو يمد ذراعه: تشبين بي وسترين بأنفسكم ..



أصون أولاً أخون

«أوضح معالمها كان أربع عشرة نجمة موشومة على وجنتيها..»

قالها شيخ «الأزد» للعرجاء التي تحولت معالم وجهها خليط من القلق
وقبول المصير وقالت: أريد الرحيل يا شيخ (كهلان)..
(الشيخ كهلان) بتعجب: ترحلين؟.. أنت لا تزالين تتعافين من
إصابتك

(نافجة): لن أعرضكم للخطر أكثر.. سوف أخرج لها
(الشيخ كهلان): عن ماذا تتحدثين يا (عرجاء)؟

(نافجة): نهاية اليوم ومع غروب الشمس أريد أن تكون (الغبساء)
جاهزة كرماً لا أمراً يا شيخ



(الشيخ كهلان): لن أقف حائلاً بينك وبين رغبتك لكنني سأرسل
معك قافلة وجموعة من الفرسان لحمايتك

(نافجة): أقسم عليك أن لا تفعل

(الشيخ كهلان) بنبرة مصرة: بل أنا من يقسم بأولاده إنك لن ترحي
وحدك حتى لو استدعي الأمر أن أقوم بأسرك

(نافجة) مبتسمة: ساكتفي بفارسٍ واحدٍ فقط كي لا تخنت بقسمك

(الشيخ كهلان): وهذا الفارس موجود.. (غسان).. فارس فرسان
قبيلتنا.. سيرافقك ويوصلك حيث تشاءين

(نافجة): ممتنة لك يا شيخ (كهلان)

(الشيخ كهلان): لكن ستبقين معنا يومين آخرين كي أطمئن عليك
أكثر

مضى اليومين وحل المساء واستعدت العرجاء للرحيل وخلال
استعدادها بمساعدة جاريتها مدت لها صرتين. الصرة الأولى صفراء
والآخرى خضراء وقالت لها: الخضراء لك وبها بعض المال الذى وهبه
لي الشيخ فلست بحاجة لكل هذه الأموال..

(الجارية) وهي تضم الصرة لصدرها: شكرأ يا سيدتي!



(نافجة): الصرة الصفراء أبقيها معك حتى يأتي من يسأل عنها
(الجارية) وهي تأخذ الصرة الصفراء: لم أفهم
(نافجة): لا تفهمي.. فقط نفدي
(الجارية): حاضر

الشيخ (كهلان) من خارج الخيمة يستأذن بالدخول..
(نافجة) تشير للجارية بتخبئة الصرتين: تفضل يا شيخ
دخل الشيخ (كهلان) عليهما وقال لـ (نافجة): لا مجال لعدولك عن
نية الرحيل إدأ؟

(نافجة) تشد على عكازها والجارية ترتب هندامها: لم أعرف الاستقرار
في مكان واحد منذ زمن طويل.. ولو لا كرمك لما بقى كل هذه المدة
(الشيخ كهلان): أعرف أن سبب رحيلك هو خوفك من أن يطالنا
أذى مالكن..

(نافجة) مقاطعة: لقد لجأت إليكم وأنا أعرف أنكم لن تخذلوني ولم
تفعلوا.. الريح هبت و يجب علي أن أسير معها
(الشيخ كهلان) مبتسمًا ومستسلماً لإصرارها: رافقتك السلامة يا
عرجاء



رافق الشيخ (نافجة) خلال عكزها لخارج الخيمة حيث كانت
(الغبياء) بانتظارها فدنت منها ومسحت على جبينها وقبلت خطمها
قالة: افتقدتك يا جميلة..

(الشيخ كهلان) مشيراً لفارس شاب كان يقف بعيداً عنهم: هذا هو
(غسان) الذي سيرافقك يا (عرجاء)

وجهت (نافجة) نظرها للفارس ورأت شاباً وسيماً يمتنع جواداً أحمر
فقالت للشيخ (كهلان) وهي تربط عكازها بلجام (الغبياء) مبتسمة:
ماذا تريد أن تفعله بي ياشيخ؟.. كنت أظننك تريد جعل رحلتي أسهل
وليس العكس

(الشيخ كهلان) مستغرباً: لم تقولين ذلك؟.. (غسان) فارس صنديد
وسيذود عنك بكل ما أوتي من قوة ومهارة

(نافجة) مجازحة الشيخ: هذا الشاب يحمل فتنة الأرض على محياه.. هل
تنوي هز وقاري بهذا العمر؟.. ألم تجد فارساً غير هذا الفاتن

(الشيخ كهلان) ضاحكاً: اختerte لقوته وبراعته في السيف وليس
لشكله

(نافجة) واسعة كفها على رأس (الغبياء) ونظرها للفارس الواقف بعيداً وتقول باسمه: لحسن الحظ أني افترقت عن بناتي وإنما كنّ سيقتلن عليه..

(الشيخ كهلان) يشاركها النظر والابتسام: حقيقة لا أرى ما ترينـه يا عرجـاء).. الشـاب وسـيم بالـ فعل لكن ليس لتـلك الـ درـجة

(نافجة): الفتـى يـملك جـمالـاً وـنسـباً وـعينـاه تـفـيـضـان شـهـامـة وـمـرـوـءـة وـأـيـ حرـة تـرـيد أنـ تكونـ أـسـيرـتـه.. نـادـ عـلـيـه أـرـيدـ الـحـدـيـث مـعـه فـلـعـلـ حـدـيـث لـسانـه يـُسـقط بـعـض فـتـنته وـيـخـفـف عـبـئـي ضـحـكـ الشـيخـ وـأـشـارـ لـ (غـسانـ) بـالـاقـتـراـب مـنـهـما..

وصل الفارس على ظهر جواده الأحمر وحنى رأسه لـ (نافجة) قائلاً: شرف لي أن أكون رفيقاً لفخر العرب في حلها وترحالها.. سأكون محل غبطة الكثير فقط لكوني سرت على رمـالـ وـطـئـتها قـدـمـكـ..

(نافجة) للشيخ (كهلان) وهي تربط سيفها المبروق بخاصرتها: لسانـه أـشـدـ فـتـنةـ مـنـ مـحـيـاهـ..

(الـشـيخـ كـهـلـانـ): وـضـربـاتـ سـيفـهـ أـشـدـ



(نافجة) تمعن النظر في الفارس أكثر وتقول له: أنت لست من «الأزد»..

(الشيخ كهلان) لـ (غسان): العرجاء من أمهر العرب فراسة

(غسان) حانياً رأسه لـ (نافجة): أصبت يا عمّة.. كيف عرفت؟

(نافجة) بتوجههم: لا تناذني بعمّة!

ضحك الشيخ (كهلان) بينما تبسمت العرجاء وقالت للفارس

الوسيم: أنت من (تغلب) أليس كذلك؟

(غسان): بلى صحيح..

(الشيخ كهلان): (غسان) أتى إلينا من قبيلته قبل عدة سنوات وتزوج

من «الأزد» وقرر البقاء معنا

(نافجة) مجازة: متزوج؟.. وكيف ستقوى زوجتك على فراقك؟

(غسان): زوجتي ماتت قبل عام..

(نافجة) محتطية فرسها: أراحت واستراحت

غطى الشيخ (كهلان) فمه كاتماً ضحكة باعترافه..

(نافجة) لـ (غسان) وهي تشد جمام فرسها استعداداً للتحرك: هيا إذاً

يا فتنة العرب لنرحل

(الشيخ كهلان) لـ (غسان): العرجاء بحرايتك يا (غسان)

(غسان): هي في عيني يا شيخ وسأفتديها بروحـي ..

(نافحة) خلال انطلاقها بفرسها: سلمت عيناك يا فقيد زوجتك .. هيا

اتبعني

انطلق الاثنان على ظهور دوابهما شرقاً وبعد عدو مستمر لأكثر من ساعة تحت السماء المتألقة بالنجوم والقمر المكتمل وابتعادهما عن ديار قبيلة «الأزد» أقبلـا على مجموعة كبيرة من الهضاب والتلال الرملية الحمراء الشاهقة في الأفق البعيد ومع اقترابهما منها لمحـت العرجاء خيال شخصٍ يقف على إحدى قممها فعلمـت بأنـها (هند) تنتظرـها كما وعدـت.

شدـت العرجاء لجام (الغبيـاء) وتوقفـت ..

(غسان) موقـفاً جـوادـه الأـحـمـر مـتسـائـلاً: لمـ توـقـفـنـا يا سـيـدـتـي؟ (ناـفـحة): أـريـدـكـ أـنـ تـعـودـ ..

(غسان) مـسـتـغـرـباً: أـعـودـ؟.. أـعـودـ إـلـىـ أـيـنـ؟

(ناـفـحة): لمـ ضـارـبـ القـبـيـلةـ.. لـقـدـ نـسـيـتـ شـيـئـاً مـهـيـاًـ فـيـ خـيـمـتـيـ وـلـأـسـطـعـ الرـحـيلـ بـدـونـهـ



(غسان): ماذا نسيت؟.. سأعود لإحضاره لك
(نافجة) وعيناها مرتكزتان على (هند) الواقفة فوق التلة البعيدة:
صرة صفراء.. ستتجدها مع الجارية التي كانت معي.. عد واجلبها لي
وسأبقى هنا في انتظارك حتى تعود

(غسان): إذا كانت صرة من المال فأنا معي بعض المال
(نافجة) السارحة في (هند) التي بدأت تنزل من قمة التلة: وهل ستنفق
عليّ الآن؟.. عد وأحضر الصرة ولا تتأخر

(غسان) ضارباً خاصرة الجواد بكتفه منطلقًا عائداً أدراجه: أمرك!
خلال اختفاء الفارس في الأفق خلف العرجاء بقيت (نافجة) تراقب
المتنورة السائرة نحوها وهي تقول محدثة نفسها: «لم أظن أنها طويلة
القامة هكذا..»

وصلت (هند) إليها ووقفت على بعد خمسة أذرع من (الغبياء) تراقب
(نافجة) بوجه خالٍ من التعابير والريح الباردة تهب محركة خصلات
شعرها الأسود المنسدل..

بعد أقل من دقيقة من التحديق بعضهما ببعض بدأت (هند) بالسير
ببطء بأقدامها الحافية نحو العرجاء حتى أصبحت أمام رأس فرسها

وأمسكت بلجامها ماسحة على رأسها قائلة: «هل أنت مستعدة
للموت اليوم يا عرجاء؟»

(نافجة) دون أن تهتز وبكلمات واثقة: نعم.. اليوم مناسب
(هند): أنت لا تخشين الموت بالفعل.. أرى هذا في لمعة عينيك وأسمعه
في نبرات صوتك..

(نافجة) دون أن تنظر إليها: «أموت مطعونه بنصلٍ عربٍ خيرٌ لي من
أن أعيش تحت ظل غريبٍ لا ينطقُ حرفٍ ولا يلحنُ لحنٍ.. أمثالك
هم من سيمكنون الغرباء من احتلال أرضنا ولا أريد أن أكون حاضرة
عندما يحل ذلك اليوم المشؤوم»

(هند) تتجهم وتشد لجام الغبياء بعنف: وما أدراك بالعروبة يا
ساحرة؟!

(نافجة) موجهة نظرها لـ (هند) العابسة: وما شأن كوني ساحرة
عروبتني؟

(هند) بنبرة ساخطة: أكره السحره جمِيعاً وكل ما يتعلق بهم.. ساحرة
هي من أغوت أختي بالهرب وساحرة هي من قتلتها وهي تسعى للثأر
لساحرات غيرها.. السحره دمروا حياتها وحياة أمي وأبي وأسرتنا

بالكامل.. فلا تظني لوهلة أني سائق بساحرة خائنة لأرضنا وأهلنا أياًً
كانت!

(نافجة): وساحرة هي من أخذت بثأرها.. أم أنك نسيت؟

(هند) بعبوس: كيف تعرفين ذلك؟!

(نافجة): اقتليني لأي سبب يرضيك لكن لا تجرئي على التشكيك
بعروبي وعشقي لهذه الأرض

(هند): جمِيعكم خبائء قتلة لا تفكرون إلا بأنفسكم حتى وإن كان هذا
على حساب أرواح غيركم فما بالك بأرضكم..

(نافجة): وماذا عن العجم الذين تخدمينهم؟.. العجم هم من اغتالوا
أختك وسيقتلون كل عربي لا ينحني لهم ولرغباتهم.. كيف كنا وكيف
أصبحنا؟.. نقتل بعضنا بعضاً لأجلهم..

(هند): حديثك هذا لن يغير شيئاً وكرهي للسحرة باقٍ ولن تكوني
استثناء.. أختي لم تكن ستسلك طريق هلاكها لو لا غواية ساحرة لها
وكونها أخذت بثأرها فهذا لم يعدها من الموت ولم يطفئ النار المتقدة في
صدر أبي حزناً عليها

(نافجة): إذا كنت تتحدثين عن (دجاجة بنت وصبان) فأنت لا تعرفينها حق المعرفة وهي ليست بغاوية

(هند) بتهمكم: ومن سيشهد للأفعى إلا أفعى مثلها؟.. لا خير فيكـ جميعاً.. سحرة قذرون تعثرون بأرواحنا بلا اكتـ

(نافجة): لا تكوني أدـة في أيدي العـجم لقتل إخـوك يا (هـند)..

(هـند) صارـحة: السـحـرة لم يـكـونـوا ولـنـ يـكـونـوا إـخـوـةـ ليـ أـبـداـ!.. استـعـدي لـلـمـوتـ يا عـرـجـاءـ!

سارت المتنورة مبتعدة عن الفرس بينما ترجلت (نافجة) من فوقها وحلـتـ وـثـاقـ عـكـازـهاـ وـعـكـزـتـ بـضـعـ خطـوـاتـ نحوـهاـ ثمـ قـالـتـ:

«مستـعـدةـ لـهـ مـنـ قـبـلـ أـنـ أـرـاكـ أـوـ أـسـمـعـ عـنـكـ يـاـ اـبـنـةـ معـنـادـ.. هـيـاـ نـفـذـيـ أـوـ اـمـرـ أـسـيـادـكـ العـجمـ»

تبـسـمتـ (هـندـ)ـ وـهـيـ تـحـركـ كـفـهاـ بـتـماـيلـ لـتـوجـيهـ ضـربـةـ قـاتـلةـ لـلـعـرـجـاءـ لـكـنـ وـقـبـلـ أـنـ تـنـفـذـ ضـربـتهاـ سـمعـتـ صـوتـاـًـ مـنـ خـلـفـهاـ يـقـولـ: توـقـفيـ يـاـ (هـندـ)ـ!

التـفـتـ (هـندـ)ـ خـلـفـهاـ لـتـرىـ أـنـ مـنـ كـانـ يـحـدـثـهاـ هوـ قـائـدـ فـرـقـةـ المـتـنـورـينـ



القتلة (فايو) وبصحبته ثلاثة متنورين آخرين. الأول هزيل الجسد
بشعرٍبني مجده لا يلبس سوى إزارٍ أبيض قصيرٍ وصدره المكشوف
وشم عليه تسع نجوم أما الثاني فقد كانت امرأة طويلة القامة مفتولة
العضلات حلقة الرأس من الجانبين وقمة رأسها كعرف الديك
الأحمر اكتست بلباسٍ نحاسي لامع مشدود أظهر قوامها المفصل ومن
يدها تدل سلسلة سميكة نهايتها كرة حديدية شائكة ولم يظهر عليها
أي وشوم حتى أخرجت لسانها من فمها وحركته كالأفعى كاشفة عن
عشرة وشوم سوداء على سطحه. المتنور الثالث كان رجلاً كهلاً يرتدي
عباءة زرقاء وعمة سوداء وملامح وجهه بالكاد تُرى خلف كثافة شعر
وجهه الأبيض لكن ما كان واضحاً هو الثلاث عشرة نجمة الموشومة
على ظهر يده المسکة بعصا خشبية اتكأ عليها.

(هند) بخليط من الصدمة والاستغراب: القائد (فايو)؟.. لم أنت هنا؟
(فايو) وهو يسير بوجهه متوجه نحو (نافجة): أتيت لأنني عارنا
بنفسي!

وجه قائد المتنورين القتلة قبضته لوجه العرجاء في نية لضربها لكنها

تفادت الضربة بإنزال رأسها وتوجيه عكازها لبطنه لكنه لم يتأثر أو
يكتثر بل ضحك قائلاً: إنها تقاوم!

نطح (فايو) برأسه الأصلع وجه (نافحة) وأسقطها أرضاً..

(هند) صارخة فيه: هذه مهمتي أنا!

(فايو) مثيراً للمتورين الآخرين بالاقتراب منه وحديثه لـ (هند): لا
تقلقي.. أنت من سيقتلها في نهاية المطاف لكنني أريدها حية لبرهة من
الوقت

(هند) بشيء من القلق: لأي غرض؟ أمر السيد الكبير كان بتصرفتها
فقط وأي عبٍ آخر لن أسمح به!

حملت المتوررة الضخمة العرجاء من الأرض برفعها من سواعدها
وأبقتها معلقة في الهواء أمام (فايو) الذي قال وهو يوجه قبضته لبطنها:

ومن أنت كي تسمحي أو لا تسمحي؟.. امثيلي لأوامر ي بصمت!

(هند) بغيظ: العرجاء يجب أن تموت بكرامة حتى وإن كانت عدوة
لنا!

(فايو) ملتفتاً إليها قبل أن يوجه لكمّة أخرى لوجه (نافحة): لا شأن



لِكِ بِذَلِكَ يَا (هند) وَلَا تُجَادِلِنِي أَكْثَرَ فَأَنَا لَا أَمْلِكُ حَلَمَ السَّيِّدِ الْكَبِيرِ
وَلَنْ أَتَهَاوِنَ مَعِكِ

صَمَتَتْ (هند) كَاظِمَةً غَيْظَهَا..

اسْتَمِرَ الْقَائِدُ (فَايُو) بِضُربِ الْعَرْجَاءِ وَالْتَّفْنِ في تَعْذِيبِهَا حَتَّى اكْتَفَى
وَأَمْرَتِ الْمُتَنَورَةَ بِرَمِيهَا أَرْضًا ثُمَّ قَالَ لـ (هند): يُمْكِنُكِ الْآنَ قُتْلُهَا..

وَقَفَتْ (هند) تَرَاقِبُ (نَافِجَة) وَهِيَ بَيْنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقَالَتْ: أَنَا لَا
أُقْتَلُ مَصَابِينَ..

(فَايُو) مُتَهَكِّمًا: هَلْ هَذِهِ مِنْ عَادَاتِكُمُ الْعَرَبِيَّةِ الْبَالِيَّةِ؟

(المُتَنَورَةُ) مُلْتَقَطَةُ سِيفِ الْعَرْجَاءِ الْمُبَرْوَقِ مِنْ خَاصِرَتِهَا كَاسِرَةُ نَصْلِهِ
عَلَى رَكْبَتِهَا: أَعْطِنِي هَذَا الشَّرْفَ يَا سَيِّدِي!

(المُتَنَورُ النَّحِيلُ): الْأَمْرُ لِيُسَّ لِكِ.. (هند) مَأْمُورَةٌ مِنِ السَّيِّدِ الْكَبِيرِ
بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ

(فَايُو) لـ (هند) بِنَبْرَةِ آمْرٍ: نَفْذِي الْأَمْرَ!.. وَكُونِي مَطِيعَةٌ يَا (هند)!

تَقْدَمَتْ (هند) حَتَّى أَصْبَحَتْ فَوْقَ الْعَرْجَاءِ النَّازِفَةِ وَالَّتِي رَمَقْتُهَا بِنَظْرَةٍ
أَتَبَعَتْهَا بِابْتِسَامَةٍ شَفَقَةٍ وَقَالَتْ: أَيُّ ذُلُّ تَعِيشِينِهِ يَا أَخْتِي..؟



(المتنور الكهل) لـ (هند): السباع تستأنس بالطريدة المصابة.. كوني
سباع فارس وأجهزي عليها

(هند) ونظرها مرتكز على (نافجة) وحديثها للمتنور الكهل: هناك
مغالطة بسيطة في كلامك..

(المتنور الكهل) متسائلاً: أي مغالطة؟

(هند) مديرة نظرها للمتنور الكهل وببرة حازمة ونظرة حادة:
«أني لست سبعاً فارسياً بل ذئبة عربية..»

و قبل أن يدرك أحد أن (هند) قد انقلبت على أعقابها باغتتهم بحركة
بأطراف أناملها أطلقت من خلالها قوساً ضخماً تمكن الجميع من تفاديها
عدا المتنور النحيل الذي طار رأسه في الهواء ليسقط جسده وعنقه يفور
دماء. صرخ (فايو) غضباً فيها وقال: لقد اقترفت أكبر خطأ يا (هند)..

العقاب سيطالك وسيطال أهلك جميعاً!

(هند) ببساطة أذرعها جانبياً بكفوف مفتوحة: لا عزة لهم وأنا رهينة..
هيا أرسل كلابك!

(فايو) صارخاً في الكهل والمتنورة: ماذا تنتظران؟!.. اقتلاها!

شدت المتنورة الضخمة السلسلة وبدأت تلف الكرة الحديدية الشائكة فوق رأسها لتشتعل وتحول للون الأحمر بينما أخذ الكهل يدق الأرض بعصاه مخرجاً مجموعة كبيرة من الجراد من بين الرمال حلقت تجاه (هند) المتأهبة. زحفت العرجاء إلى أن وصلت للغبساء ونهضت بثقل محاولة الوصول للجامها لكنها لم تستطع فأنزلت الفرس رأسها مقربة اللجام من قبضتها وقبل أن تمسكه وجدت نفسها ترتفع في الهواء حتى استقرت فوق ظهرها وشدت اللجام وقالت باسمة بوجهه دام:

«لا أحد يلمسني مثلك أيها الفارسي..»

(زبجد) وهو يتشكل خلفها فوق ظهر الفرس: لم أصدق ما قيل لي بأنك لا تزالين على قيد الحياة

(نافجة) ونظرها على المعركة الدائرة بين (هند) والمتنورين: من أخبرك؟.. وأين بناتي؟

(زبجد): أعتقد أن الوقت غير مناسب الآن للحديث.. من تلك المتنورة التي دافعت عنك؟

(نافجة): شخص يحتاج مساعدتي..



(زجد) وهيئته تحول: سأكون عكازك

تشكل الجني الأزرق كقدم العرجاء المفقودة لتضرب خاصرة (الغبياء) وتندفع نحو سرب الجراد وهي تقرأ طلسمًا شكل غيمة سوداء كبيرة أ茅طّرت عليهم أنسالًا زجاجية صغيرة بددتهم في الحال. تجهم المتنور الكهل ورفع عصاه ورمى بها كالرمح تجاه العرجاء لكن (هند) وبحركة بسيطة من يدها حطمت العصا الخشبية ومنعتها من بلوغ (نافجة) التي لم تتوقف عن الاندفاع قارئة طلسمًا آخر مخرجة سيفين بين كفيها رمت بأحد هما تجاه المتنورة وقطعت سلسلتها لتنطلق الكرة الحديدية الشائكة المشتعلة تجاه الكهل وتصيبه بضربة أسقطته أرضاً. غضبت المتنورة مما حدث لتجري نحو (الغبياء) المنطلقة وتقبض بأذرعها الضخمة على خاصرة الفرس وترفعها من على الأرض وتلقي بها مع (نافجة) التي تمنت قبل وقوعها من إحداث شق عميق بسيفها في صدر المتنورة. هبت (هند) لنجد العرجاء لكن (فايو) اعترض طريقها باسطاً كفوفه بوجهها ليصيّبها بوهجٍ معِمٍ أتبعه بركلة قوية لوجهها أفقدتها توازنها الذي لم تستعدْ في الحال لأنَّه استمر بضربها بشكل سريع ومتلاحق حتى أسقطها أرضاً.



همت العرجاء بالنهوض لواجهة المتنورة التي اقتربت منها لكنها لم تستطع الوقوف بسرعة لأنها اكتشفت أن (زبجد) قد تخلى عن تشكله واختفى. قبضت المتنورة على كاحل (نافجة) بقبضتها الضخمة وقالت بتجهم: «سأريك حيلة جميلة!»

رمت المتنورة بالعرجاء في الهواء وقبل أن تقع رفع المتنور الكهل كفيه وكأنه يدعو للسماء وأبقاها مكانها تطفو معلقة بين السماء والأرض ثم قام بتحريك أنامله ضاغطاً على جسدها والمتنورة تضحك بالأسفل.

(المتنور الكهل) لـ (المتنورة) وعيناه على نافجة الطافية أمامه: اذهبي وعاوني القائد.. هذه العربية لا تستلزم وجودنا نحن الاثنين

هزت المتنورة رأسها بالموافقة وجرت نحو (فايو) بينما استمر المتنور الكهل بتعديل العرجاء ببطء وبعد ما اكتفى قال: انتهى وقت المرح وحان الوقت لنسمع طقطقة بعض العظام..

هم الكهل بالبدء بتحطيم عظام (نافجة) المعلقة في الهواء لكنه فوجئ بسهم يرتكز في ظهره مما أفقده السيطرة عليها لتبدأ بالهبوط بسرعة لكنها وقبل أن ترتطم بالأرض وقفت على أقدامها بكل هدوء.

(المتنور الكهل) ملتفتاً خلفه: ما الذي يحدث؟!

(كُميٍت) وهي تشد سهماً آخر على قوسها: لا تقترب من عمتنا..

تجهم المتنور الكهل ورفع كفه بوجه الحجازية ليصيّبها لكنه وجد سيف (رافدة) يفصل رسغه بعد ما باعنته من الجانب. قبض الكهل على معصميه النازف صارخاً وخلال صراخه ارتكز سهم آخر في عينه اليسرى. جن جنون المتنور الذي وضع كفوفه على رقبته في نية للقيام بهجمة ما لكن العرجاء كانت له بالمرصاد وسحقته بطلسم مباغت من خلفه حوله لرماد.

(عوراء) تجري وتعانق (نافجة) قائلة: أنا سعيدة برؤيتك يا عمة!

جرت الفتاتان أيضاً وعائقتا عمتها في عناقٍ طويلٍ وقوى ولم تقولا شيئاً واكتفتا بالبكاء وهي تربت على ظهورهما باسمة..

(زمجد) وهو متشكّل كقدم العرجاء: أعتقد أننا لم ننتهِ بعد..

وصلت المتنورة الضخمة حيث كان (فايو) و(هند) يقتتلان ورأت أن الغلبة كانت لقائدها مؤقتاً قبل أن تباغته (هند) بالقفز من فوق رأسه وتوجه ضربة قاصمة لعنقه أسلق طته على ركبتيه لتقف من خلفه رافعة

قبضتها في نية لإنهائه لكنها وقبل أن تفعل وجدت أقدامها ترتفع عن الأرض بعد ما احتضنتها المتنورة من الخلف بقوة وحملتها. توهجت سواعد المتنورة العضلية وصعدت (هند) بصاعق استنزفت الكثير من قوتها ليقف (فايو) أمامها ويراهما وقد فقدت سيطرتها ليقول بعد ما بصدق بعض الدماء على الأرض:

«كان بالإمكان أن تكوني ذات شأن عظيم بالطائفة الجنوية لكن حملك قادر للبقاء في القاع مع بني جلدتك..»

(المتنورة) وهي تشد وتضغط بشكل أقوى على خاصرة (هند): امنحني شرف خدمتك أيها القائد!.. أعطني الأمر لسحقها!

(هند) ضاحكة بتهمكم لـ (فايو) وجسدها يهتز من حركة المتنورة العنيفة: امنحها هذا الشرف قبل أن تفقد عقلها!

(فايو) رافعاً سبابته أمام وجه (هند): سوف أمنحك أنت فرصةأخيرة للعدول عن خيانتك.. فقط قدمي الولاء لنا مجدداً وسوف أقتلوك فقط وأغفو عن أهلك!

(هند) مبتسمة والمتنورة تضغط أكثر على جسدها: هناك شيء لا تعرفه عن أهلي يا فارسي..



(فایو) و ذہنہ و ترکیزہ یتھستان من عدم مبالاۃ (ہند) بحدیثه: أعرف
ماذا؟

(ہند) و عیناها تحولان لوجه أحمر: أنا لسنا من نسل الهاربين..

رکلت (ہند) بمقدمة قدمها ذقن (فایو) بقوة هشمت عظام وجهه وأخرجت عينيه من محجريها ليسقط صریعاً. عندما رأت المتنورة ذلك المنظر أمامها قررت قتل (ہند) في الحال و همت بتحطيم عظامها لكن المتنورة العربية وجهت رأسها للخلف بسرعة و قوة و ضربت وجهها هي الأخرى محطمة ملامحها وبالرغم من أن المتنورة فقدت بصرها وقدرتها على التنفس والكلام إلا أنها لم تفلت قبضتها من على (ہند) واستمرت بالضغط عليها أكثر كاسرة أحد أضلاعها. بدأت المتنورة العربية تحس بالاختناق وشعرت بالقلق لأن تلك المتنورة الضخمة قد أحكمت قبضتها عليها وفي طريقها لقتلها وقبل أن يحدث ذلك حررتها فجأة وأسقطتها على الأرض تسعل بحثاً عن الهواء.

شدت (کمیت) سهماً آخر على قوسها بعد الذي أطلقته على رأس المتنورة ووجهته نحوها خلال تلویحها بأذرعها في ظلام إصابة وجهها..



(نافجة) تقف بجانبها: ماذا تنتظرين يا حجازية؟
(كميت) وهي تطلق السهم نحو المتنورة: لا شيء يا عمة.. لا شيء
على الإطلاق

أصاب السهم قلب المتنورة منهاً حياتها على الفور لتسقط بجانب
قائدها (فايو)..

نهضت (هند) واضعة كفها على صدرها متحسسة ضلعها المكسور..
(نافجة) بعد ما سارت وبناتها من خلفها ووقفت أمامها: أنا مدينة لك
يا أخي..

(هند): لم أقم بشيء لم تكوني أنت ستقومين به لأجلِي
(نافجة): أصبتِ كبد الحقيقة.. كُلُّ من تجري في عروقه دماءُ عربيةُ فهو
أخي، ونصرته هاجسي مهما كان ومهما فعل..

(هند) وهي تراقب الفتى المحيطات بالعرجاء: من هؤلاء؟
(نافجة): بناتي..

(هند): ساحرات مثلك؟

(نافجة): بل عربيات مثلك..

تبسمت (عوراء) عندما سمعت عمتها تصفها بالعربية..

(هند) لـ (كُميٰت): شكرًا يا رامية.. مهارتكم العالية أنقذتني من الموت

(كُميٰت): أي عزيز على العمدة عزيز علينا

(رافدة) معنـة النـظر بـوجه (هـند): أربع عشرـة نـجمـة .. لا بد وأنـكِ

بـذـلتـ مـجهـودـاً كـبـيرـاً للـحـصـولـ عـلـيـهاـ

(هـند) تـمـسـحـ بـأـنـاملـهاـ عـلـىـ نـجـومـ وـجـنتـهاـ وـتـبـتـسـمـ: وـسـأـبـذـلـ مـجهـودـاً كـبـيرـاً

لـالتـخلـصـ مـنـ عـارـهاـ..

(ناـفـحةـ): لا عـارـ كـعـارـ الخـيـانـةـ يـاـ أـخـتـيـ

(هـند) بـبـرـودـ وـهـيـ تـهمـ بـالـرحـيلـ: نـعـمـ.. رـبـماـ

(ناـفـحةـ): إـلـىـ أـينـ؟

(هـند): المـتـنـورـونـ بـلـاشـكـ سـيـسـعـونـ لـلـانتـقامـ مـنـيـ وـمـنـ أـهـلـيـ.. يـجـبـ أـنـ

أـعـودـ لـأـحـيـهـمـ

(ناـفـحةـ): وـلـمـ نـتـظـرـهـمـ حـتـىـ يـأـتـوـ؟

(هـند): ماـذاـ تـقـصـدـيـنـ؟

(ناـفـحةـ): أـنـاـ أـنـوـيـ نـقـلـ المـعـرـكـةـ مـنـ أـرـضـنـاـ لـأـرـضـهـمـ.. لـنـ نـبـقـىـ مـطـارـدـينـ

بعـدـ الـيـوـمـ.. المـارـانـ مـاتـ كـالـكـلـبـ لـكـنـهـ تـرـكـ خـلـفـهـ كـلـابـاًـ أـخـرىـ سـتـحاـولـ

الـنـهـشـ فـيـنـاـ..



(هند) مبتسمة بتهمكم: هل تعرفين عن ماذا تتحدثين؟.. أنت تتحدثين عن الطائفة الجحشية.. هل لديك فكرة عن مدى قوتها ونفوذها؟

(نافجة): أخبريني أنتِ..

(هند) ضاحكة: أخبركِ بماذا أيتها مجنونة؟!

(نافجة): أنتِ الوحيدة بيننا التي يمكنها حصر قوة عدونا وشرح ما نحن مقبلون عليه كي تكون أكثر حذراً

(هند): حذر؟!.. لا تجعلي نصرك اليوم يوهمك أنكِ قادرة على مجاوبتهم.. أنتِ تتحدثين عن مجموعة من القتلة المرضى والكهنة المجانين وأعدادهم بالألاف!

(نافجة): هدفي لن يكون سوى كبيرهم.. موته هو أقوى رسالة أريد إرسالها لهم من أرض العرب

(هند): ستموتون جمِيعاً حتى قبل أن تصلوا لحيال الملحق..

(نافجة): أنا مستعدة للموت..

صمتت (هند) واكتفت بالنظر لوجه (نافجة) الثابت والعازم..

(نافجة) لفتياتها ونظرها لـ (هند): ماذا عنكِ يا بنتي؟



نار نجد

«هل أصابك الحرف أخيراً يا ابنة النخيل..!»

قالتها كبيرة سحرة «اليمامة» الملقبة بـ(القيقبون) بعد ما دخلت عليها العرجاء مع (زجد) في منزلا الطيني بأحد أزقة «اليمامة» الضيقة في محاولة منها لإقناعها بالانضمام لمجموعتها الساعية لقتل كبير المتنورين بـ«جبال الملح».

(نافحة): لا تتظاهري بأنك لا تكرثين لعبث العجم بأرضنا.. أنا أعرفك جيداً وأعرف أن خلف هذا الوجه القبيح قلباً عربياً أصيلاً لا يرضى بالذل والمهانة خاصة من الغرباء



(القيقبون) وهي متقرفة عند قدرها: أنا متعجبة من أنك لم تموي حتى الآن.. بعد أن سمعت بمقتل الماران تيقنت من أنك هالكة لا محالة لأن دمه لن يُترك

(نافجة): لست أنا من قتله.. ثم إني لا أخشى الموت
(القيقبون): أنا أخشاها.. ما زلت في ريعان شبابي.. أليس كذلك يا (زبجد)؟

(زبجد) بارتباك: صحيح يا سيدة (قيقبون) فأنتِ كالزهرة التي لا تموت

(القيقبون) بندم: ليتنى لم أفرط بك لمن لم تدرك.. وجهك مخطوف
(نافجة): وجهه كما هو يا عجوز القدر.. ولا تحيد عن الموضوع
(القيقبون) وهي تنھض مدیرة ظهرها لها: لا يوجد موضوع يا ابنة أملج.. إن كنتِ تريدين الموت في «فارس» فهذا شأنك ولا تقحميني معكِ في جنونك

(نافجة): حسناً.. لا تأتي معي.. لكن أغيريني علمكِ
(القيقبون) ملتفة إليها بتجهم: ماذا تريدين؟!



(نافجة): عصبتي التي سأرحل بها لـ «فارس» بالخارج.. ألقى نظرة
عليهنّ

(القيقبون): عصبة؟.. ولمَ ألقى عليهنّ «نظرة»؟

(نافجة): فقط لتسدي لهنّ بعض النصح من علمك الغزير
(القيقبون) بريبة: ماذا تخططين له يا ابنة التخيل؟

(نافجة) تعكر خروجاً من منزل ساحرة اليهامة: لا أخطط لشيء يا
عجوز القدر..

تابعت (القيقبون) العرجاء وعند مرورها بالجني الأزرق مسحت على
ظهره قائلة بحسرة: تقدم يا فقيدي..

خرج (زبجد) ومن خلفه (القيقبون) التي رأت مجموعة من الفتيات
 أمامها تتواطهن امرأة طويلة القامة وما أن رأتها حتى قالت بجزع:
 هذه متنورة!

(نافجة): وستكون معنا خلال رحلتنا فعروبتها أبنت إلا أن تجبرها على
 الوقوف في صف أخواتها

(القيقبون) وهي تجول بنظرها بين الفتيات: العصبة لا بد وأن تكون
 من مضاعفات الثلاثة



(نافجة): نحن لسنا عصبة ساحرات

(القيقبون) بتجهم: عصبة ماذا إذًا؟.. هل هؤلاء من سيطِّحنَ بالطائفة الجنتية؟!.. مجموعة نساء وطفلة بائسة تقودهن عجوز خرفة؟!

(نافجة) مت Hickمة: هل معنى ذلك أنك ستتنضمين إلينا؟

(القيقبون) وهي تهم بالعودة لمنزلها عابسة: اذهبن جميعاً للجحيم الذي اخترتنه..

أوقفت العرجاء تقدم ساحرة اليهامة بوضع يدها على كتفها وقالت:
مهما ادعى عدم الاهتمام فأنا أعرفك يا ابنة «نجد».. أنت أكثر من
تضرك من هؤلاء العجم ودماؤك تغلي مثلثي.. رافقيني.. رافقينا جميعاً..
كوني عوناً لنا.. نحن بحاجتك

صمتت «القيقبون» وأغمضت عينيها آخذة نفسها عميقاً زفرته قائلة:
دم رقبي سيكون في رقبتك يا ابنة النخيل..

(نافجة) تهز كتفها مبتسمة بسعادة وبصوت مسموع للجميع: دماونا
واحدة يا ابنة الصحراء!

(عوراء) تقفز مبتهجة: عجوز القدر ستأتي معنا!

(القيقبون) بتجهم لـ (نافجة) وهي تدخل منزلها: أبعدي هذه الصبية
عني قبل أن أضعها في القدر!

أشارت العرجاء للجميع بالدخول وراءها لمنزل (القيقبون) حيث
اجتمع الجميع حولها وهي تشعل النار تحت قدرها وتقول: الدم هو
الدم لا مناص من ذلك.. بعض الدم فاسد ويجب أن يُفصّل..

(نافجة): دم العربي معصوم إلا من خان..

(القيقبون) تهز رأسها للرجاء موافقة وتقول: دم العربي معصوم إلا
من خان..

(رافدة): ما الذي يحدث؟

(هند) تشير لها بالصمت..

أمسكت (القيقبون) بخنجر كان معلقاً خلفها ووضعته تحت قدرها
المشتعل ثم أشارت لـ (هند) بالاقتراب منها..

سارت ابنة (معناد) ووقفت أمام ساحرة «اليمامة» التي سحبت الخنجر
المتوهج وبدأت بكى وجنتيها طامسة نجومها دون أن تبدي (هند) أي



جزع أو إحساس بالألم بل بقيت تحدق بأعين (القيقبون) بحدة خلال
قيامها بذلك.

(عوراء) مختضنة (كُميٰت) الجالسة بجانبها: ما الذي تفعله؟!
(كُميٰت): تطهرها..

(نافجة) برضاء: الآن عدت إلينا..

أومأت (القيقبون) لـ (نافجة) بصمت ففهمت العرجاء مقصدتها
وقالت محدثة فتياتها: قفن بعضكن بجانب بعض..

نفذ الجميع كلامها عدا (هند) التي أشارت لها (القيقبون) بالبقاء
مكانها وسارت نحو الفتياـت المصطفات واستهلت بـ (كُميٰت) حيث
قبضت حفنة من التراب من بين أقدامها ورفعتها فوق رأسها وهي
تحدق بأعينها قائلة:

«أنت العين.. روح الصقر المحلق فوقنا..»

هزت (كُميٰت) رأسها بالتأييد ففتحت (القيقبون) قبضتها ناثرة التراب
فوق رأسها..

كررت (القيقبون) الأمر ذاته مع (رافدة) وقالت لها وهي تقبض
التراب فوق رأسها:



مئات القتلة والكهنة من المتنورين الذين يتعجبون بالمكان لكن بخطبة
محكمة قد نتمكن من التسلل و..

(القيقبون) مقاطعة وهي تجلس أمام قدرها: لو كانت من تتحدث هي
العجز التي لا تشيخ لعذرت جهلها لكنك متنورة وترغبين ما نحن
مقبلات عليه وأن مكان إقامة كبير المتنورين حصن منيع لا يمكن
اختراقه.. لا أحد يصطاد الأسد بالدخول لعرشه..

(هند): وكيف يتم اصطياد الأسد؟

(نافجة): بأن نستدرجه للخارج أولاً..

(القيقبون): ومع ذلك المهمة شبه مستحيلة والمرأة الطويلة تعرف هذا
جيداً

صممت (هند) لأنها بالفعل تدرك أن مجرد الاقتراب من «جبال الملح»
سيعرضهنّ لمخاطر مواجهة الحراس والقتلة المحترفين المنتشرين في
تلك المنطقة..

(نافجة): سنكون بخير.. لا تبني اليأس في صدورنا يا عجوز القدر

(القيقبون) وهي تعبت في نار القدر بعصا: إذا لم تحدث معجزة فلا
تطلبي مني التفاؤل

تبسمت العرجاء ولم تقل شيئاً..

(القيقبون) لـ (زبجد) الواقف خلفها: ظهري يؤلمني.. ادعكه لي كما
كنت تفعل سابقاً

(زبجد) لـ (عوراء): هل تأذنين لي يا سيدة (عوراء)؟

(القيقبون) بعصبية: ولم تسألها هي؟!

(عوراء): نعم لا بأس.. حتى وإن كانت بغية

(القيقبون) صارخة في (زبجد): لا أريد منك شيئاً!.. ابتعد عني!

ضحكـت العرجـاء وخلـال ضـحـكـها دـنـتـ منها (هـنـدـ) وـهـمـسـ لها:
الـعـجـوزـ مـحـقـةـ.. نـحـتـاجـ مـعـجـزـةـ لـمـجـرـدـ الـاقـتـراـبـ منـ «ـجـبـالـ المـلـحـ»

زـفـرتـ العـرـجـاءـ وـقـالتـ: سـنـرـىـ..

كتـابـ يـرـمىـ دـاخـلـ الغـرـفـةـ قـادـمـاـ مـنـ مـدـخـلـ المـنـزـلـ..

يـصـطـدـمـ بـالـقـدـرـ وـيـقـعـ بـجـانـبـهـ..

تنهض (القيقبون) من أمام القدر وتسير بخطواتٍ حذرة..

تلتقط الكتاب بوجهٍ متعجب..

تفتحه.. تقع عيناهَا على إحدى صفحاته..

تقول منبهرة:

«كتاب سليمان الحكيم!.. هذه هي المعجزة التي كنا بانتظارها..!»

وجه الجميع أنظارهم نحو مدخل المنزل ليروا امرأة تغطي رأسها
بخمارٍ أسود أخفى ملامحها تقف صامتة..

(هند) رافعة كفها مستعدة لمواجهةٍ لها: خذوا الخذر منها!

(كميٰت) تشد سهماً..

(رافدة) تسل سيفها..

(عوراء) المرعوبة تختفي خلف (زبد) المتوجه..

(القيقبون) منادية على المرأة الغريبة: من أنتِ يا أخت العرب؟!

رفعت المرأة الغطاء عن رأسها كاشفة عن وجهها موجهة نظرها

للرجاء..

(القيقبون): مازلت لا أعرفك يا أختي.. عرفينا بنفسك!
(نافجة) وقد تعرفت على المرأة وبابتسامة دامعة: «المعروف لا يُعرف
يا عجوز القدر..»

شمس وسبعة سباع

الوزير (روشنی) يطلب اجتماعاً عاجلاً مع السيد الكبير لمناقشة آخر التطورات في «عربستان» بحضور وزير الكهنة (آغ)..

يجتمع الثلاثة وحدهم بقاعة العرش مع حضور حرس السيد الكبير فقط..

(السيد الكبير) بصوته الغليظ: أرى في وجهيكما الكثير من الخيبات (روشنی) حانياً رأسه: أنا والسيد (آغ) نريد تقديم تقريرنا لك (السيد الكبير): أنا منصت

هم (روشنی) بالكلام لكن كبير الكهنة رفع كفه مشيراً له بالتمهل وقال: لنبدأ بما هو إيجابي أولاً..

صمت (روشنی) وأعطى المجال لـ (آغ) بالحديث..

(آغ): لقد نجحنا أخيراً في قتل الساحرة الهجينة يا سيد

(السيد الكبير): تقصد التي قتلت الكثير من أتباعنا في «عربستان»؟

(آغ): نعم هي بعينها.. الكاهن الذي كلفته بتعقبها والتخلص منها أرسل لي رسالة بعد عدة أشهر من سفره لـ «عربستان» وقد أفادني بأنه أنجز مهمته

(السيد الكبير): قتلتك الكهنة عجيبون يا (آغ).. مهما طال الانتظار فهم يحققون غايتهم ولو بعد حين

(آغ): جمیعنا نستمد الحکمة والقوة من عظمتك.. (مايزك) في طريق العودة لـ «فارس» ويستحق مكافأة

(السيد الكبير): عند وصوله أرسله لي.. سوف أكافئه بنفسي

(آغ) حانياً رأسه: أمرك

(السيد الكبير): ماذا لديكما أيضاً؟

وجه وزير الكهنة نظره لـ (روشني) في إشارة منه للحديث فقال: لقد قُتل (فايو) في أرض «عربستان» خلال محاولته تصفيه العرجاء بنفسه

(السيد الكبير) ضارباً بقبضتيه على أطراف عرشه بغضبٍ شديد:

ماذا؟!.. ألم أنه عن الذهاب؟!.. كيف حدث هذا؟!

(آغ): انقلبت (هند) علينا وعاونتها وقتلته مع ثلاثة متورين آخرين
رفقوه

(السيد الكبير) وهو يتنفس بثقل: هذا ما جنينا من الثقة بالعرب!..

فلتذهب للجحيم هي وتلك العرجاء!

(روشنی): في الواقع هما ليستا ذاهبتين للجحيم.. بل إلى هنا

(السيد الكبير) متوجهًا: هنا أين؟!

(روشنی): لـ «جبال الملح».. لقد عقدتا العزم على مواجهتنا في عقر

دارنا.. جواسيسی أبلغوني بذلك لتو بعد ما رصدوهما بـ «اليامنة»

وتعقبوهما لمنزل كبيرة السحرة هناك

بدأ السيد الكبير يضحك بشكل مفرط والوزيران ينظران بعضهما

بعض باستغراب..

(السيد الكبير) بکبریاء: فلیأتین إلى مثواهن الأَخِير!.. هؤلاء العرب

يُبَتُّونَ لِي حماقتهم كل يوم!

(روشنی): سوف أنشر أسراب الجراد لاستدعاء جميع القتلة خارج

البلاد للعودة والمشاركة في الدفاع وصد هجومهن

(السيد الكبير): ولم كل هذا الحشد؟.. لدينا ألفاً مقاتل هنا ناهيك عن
الكهنة الأقواء

صمت الاثنان متزلين رؤوسهما ولم يردا..

(السيد الكبير) بخلطٍ من العجب والغضب: ما بكما!.. لم كل هذا
الخوف من العربيات؟!

(روشنبي) ورأسه لا يزال متزالاً: كتاب سليمان الحكيم بحوزتهن..

(السيد الكبير) وكأن صاعقة قد ضربته: ماذا؟.. الكتاب..؟.. كيف
حصلن عليه؟

(روشنبي): هذا الخبر بالذات ليس مؤكداً حتى الآن لكن هناك توافراً
في معلومات الجواسيس وكلها تشير إلى أن قاتلة (الماران) والتي
سرقت منه الكتاب ظهرت في «اليهامة» وكانت تتبع العرجاء ومن
معها

(السيد الكبير) بغضب متفجر: وأين أنتم وكل هذا يحدث؟!.. أين
الجواسيس؟!.. أين القاتلة؟!

(آغ): كل شيء تحت السيطرة يا سيدي

(السيد الكبير) بعصبية: عن أي سيطرة تتحدث؟!.. الماران يذبح
وكتابه يسرق!.. وزير القتلة يقتل مع مجموعة من المتنورين بكل
سهولة!.. وأين؟!.. بأرض العرب!.. العرب دونَ كل الشعوب!
(روشنبي): يجدر بنا الآن تحديد..

(السيد الكبير) ينهض صارخاً بحق مقاطعاً (روشنبي): اخرس!..
لا تتحدث بتخاذل؟!.. سأواجههن بنفسي إن كنتما تخشيان الموت يا
جبانان!

(آغ) بهدوء: لن يكون ذلك ضروريّاً يا سيدي ففي جعبتنا الكثير
(القائد الكبير) بتجهم شديد: هل تلمح إلى أنني لا أستطيع قتل هؤلاء
البهائم بحركة من طرف إصبعي؟!
(آغ): العفو يا صاحب العظمة لكن..

(السيد الكبير): لكن ماذا أية الفاشل؟!.. كل ما حصل وسيحدث
بسبب فشلك في إتمام مهمتك أنت والأحمق بجانبك!

(آغ) محاولاً الحديث بهدوء خلال ثورة السيد الكبير: سوف نضع
رؤوس العربيات تحت أقدامك في اليوم نفسه الذي تحط فيه أقدامهن

على أرض «فارس» ولن يستلزم الأمر تحريك قاتل واحد من «جبال الملح» أو من خارجها

(القائد الكبير) وقد بدأ يهدأ قليلاً: لم ينتابني شعور بأنك تخفي علينا أمراً ما يا زعيم الكهنة؟.. ما الذي يدور برأسك؟

(روشنبي) منصتاً باهتمام لحديث (آغ) والذي بدا أنه سيكون أمراً جديداً عليه ولا علم له عنه..

(آغ): (كلكامش).. أعز صديق لي.. بل كان أخي.. المتنور العظيم الذي قدم لنا خدماتٍ جليلة طيلة حياته وجند أهم المتنورين والكهنة في طائفتنا

(القائد الكبير) بتهكم: ومات مدفوناً تحت ركام الجبل.. نهاية لا تليق برجل بتاريخه

(آغ): العظماء يخلدون بالإرث الذي يخلفونه بعد مماتهم أيها القائد العظيم..

(السيد الكبير): وما الذي خلفه (كلكامش) بعد موته المهين غير غبار لحمه المحروق؟.. أم أنك تقصد جثث تلاميذه المقتولين؟.. نحن حتى

لا نعرف حقيقة ما حدث ذلك اليوم وكل ما بحوزتنا مجرد تكهنات
(آغ) مبتسماً مشيراً بيده لشخص بالدخول عليهم: سأترك الحديث
لآخر تلاميذه ليشرح لك ما حدث

وجه الجميع أنظارهم لدخول قاعة العرش ليروا فتاة حافية بملابس
خفيفة جداً بالكاد غطت جسدها تسير نحوهم بأعين مشعة وعند
بلغها عرش السيد الكبير انحنى بركتها أمامه وبقيت تحدق فيه
بأعينها المتوجة بنورٍ أبيض قوي ولم تقل شيئاً.

انبهر السيد الكبير من الطاقة القوية الصادرة من تلك الفتاة الحافية
وقال ونظره منصبٌ عليها وحديثه لـ (آغ): من هذه الفتاة يا وزير
الكهنة؟

(آغ) مبتسماً باسطاً كفه المفتوح فوق رأس الفتاة المنحنية على ركتها
وبنبرة فخورٍ: إرث (كلكامش) يا سيدي.. إرثه الذي تركه لنا بعد
رحيله.. الإرث الذي سيسحق (هند) وساحراتها العربيات..
(مهرناز).. أول هالة نجمية مفعلة في تاريخ الطائفة
(السيد الكبير) لـ (مهرناز): إذاً أنتِ من قتل (كلكامش)؟

(مهرناز) تقف وتقول له بأعين تتوهج نورًا وابتسامة مخيفة:

«حاول أن يحاكي الشمس فاحترق..»

تختتم المغامرة في الجزء الثالث والأخير من ثلاثة «العرجاء»
وال السادس من ملحمة «بساتين عربستان»

عرين الأسد

«إذا لم يُقدّر لنا أن ننجو معاً فلنحترق سوياً..»

القيقبون

الروائي

أسامة المسلم



